الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالى

جامعة الجزائر

المعهد الوطنى للدراسات التاريخية

عنوان البحث

الأوضاع الإجتماعية و الاقتصادية للدولة الزيانية

633 ـ 962 هـ/ 1235 ـ 1554 م

رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة

الطالب :
حسانى مختار

الاستاذ المشرف الدكتور :
محمد علي عبد الساقى

السنة الجامعية 1985 ـ 1986

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

الحمد لله فهو أحق بالحمد على نعمه التي تفوق الحصر وأخصها نعمة العلم والبحث والتأمل والنظر ، والصلاة والسلام على رسول الله والذي قال : " انما بعثت معلما "

وبعـــــد

فان هذه الدراسة التاريخية انما هي اطروحة أتقدم بها الى المعهد الوطني للدراســـات التاريخية ، بالجزائر للحصول على الدكتورة الحلقة الثالثة وموضوعها : الحياة الاجتماعيـــة والاقتصادية في عهد الدولة الزيانية من 633 الى 962 هـ/ 1235 ـ 1554 م " وهي قرابـــة ثلاثة قرون وسبعة عشر عاما في منطقة المغرب الأوسط ، وهي بهذا الاعتبار تشتمل على الجزء الأكبر من القطر الجزائري حاليا ، ، ود واعية الاختيار ، ان بلادنا بصدد تأكيد الوضعية التاريخيـة والحضارية لكل ما اتصل بالتراب الوطني الجزائري ، واعادة تصنيف هذا التراث تثبيتا للواقـــع المعاصر والوحدة الوطنيـــة

هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية المضمون ، فان الاتجاه السائد الآن في الدراســـات التاريخية في العالم الاسلامي عامة والمغرب الاسلامي خاصة هو ابراز الجوانب الحضاريـــة بدراسة الأطـــر الاجتماعية ، والاقتصادية الهامة التي مازالت في حاجة الى مزيد من العنايـة والبحث رغم ماكتب من دراسات ، الا أنها لم تعط نتائج هامة لهذه الجوانب التي تناولهـــا البحـــث ، وكان ماقدمه عطاء الله دهينة من خلال بحثه الذي تناول فيه بعض لمحات ذات طابع اقتصادي ، واجتماعي كان أثرها في اعطاء دفع نحو هذه الدراسات المتخصصة وكذلـك الدكتور حاجيات قد أشار هو الآخر للجانب الاقتصادي والاجتماعي ، كما كان للدكتور الجنحاني دورا بالنسبة لهذا النوع من الدراسة الذي تناول الجوانب الاقتصادية للمغرب الاسلامـــي وبخاصة مقاله نحو نظام ملكية الأرض في تونس وبقية بلدان المغرب الاسلامي ، وفي ذلك يقـــول مؤكدا ماأشرنا اليه بالرغم من تزايد العناية خلال السنوات الأخيرة للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، فان كثيرا من القضايا الكبرى ماتزال مطروحة ولانعرف عنهـــا

الاقليـــم مثل البنية الاقتصادية والاجتماعية لما تحمل [illegible] وسيط،
فاذا كانت معلوماتنا عن المدن متوفرة وتتناول تفاصيل لدينا [illegible] المدينة
فان ماتحمله عن الحياة الزراعية في الريف مايزال قليلا مشتتا لايسمح بالتعمق في تحليـــل
الهياكل انطلاقا من نصوص قيمـــة ولاسيما خلال القرون الخمسة الاولى أي قبل بروز ظاهرة
كتب الفتــــاوى

ومن المشكلات التي تعترض الباحث في هذا المجال وبخاصة ماتتصل بالملكية ، خاصـــة
كانت أو عامـــة

أمـــا المشكلة الاولى فهي محاولة التعرف الى الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع
الزراعي المغربي هي نظام ملكية الارض ، فاذا كانت كتب الجغرافيين العرب تمدنا ببعـــض
المعلومات عن المناخ وعن الموارد المائية ، وعن زراعة البستنة في الواحات وفي ضـــواحي
بعض المدن وعن أنواع الزراعات وعن تربية الماشية فانها لاتفيدنا شيئا ذا شأن عن نوع
ملكية الارض وأوجه انتقالها وأساليب استغلالها ، يضـــاف الى ذلك مشكلة التحول تبعا للانتقال
خلال القرون التسع التي سبقت تأسيس الدولـــة الزيانية من هنا يتبين لنا أن ملكيــــة
الارض لم تعرف الاستقرار بتغير أنظمة الحكم بالطريقة التي عرضها ابن خلدون في نظـــام
الحكم القائم على العصبية فيما عدا عصر الولاة في القرن الاول الهجري ، وقد أعطى الجنحاني
عدة ملاحظات في هذا الجانب في توجيه الدراسات في الجانب الذي عرضه منها معرفة
الواقع التاريخي وواقع تجاوز نظرية الاسلام في ملكية الأراضي ، كما كان لكتب الفتاوى ذات
المعلومات الدقيقة عن أساليب انتقال ملكية الارض أثر كبير في توجيه هذا النوع من الدراسة
وقد سار الى ذلك عدد من الباحثين الاوربيين نذكر من بينهم جاك بيرك

ومن الصعوبات التي تواجه الباحث الخصائص الجغرافية ومميزاتها الديموغرافية التـــي
الذي كان له تأثير عميق في اكتساب الملكية الخاصة للارض الزراعية الذي ميز قيام نظـــام
اقطاعي يختلف عن الذي قام بالمشرق العربي ، وبالتالي ، فان معرفة أساليب ملكية الارض
وخصائص البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الزياني ، هي التي حددت العلاقـــة

ماتمتعت به منذ هجرتها من الأندلس ذات الحضارة العربية المشرقة الى تلمسان وغيرها من الدولة ، وقد أثرت تأثيرا كبيرا في نطاق العلاقات الاجتماعية والثقافية والفكرية والفنيـــة ، وكذلك العنصر الكردي الذي لعب دورا هاما في الجيش والادارة الزيانية

أما العناصر غير الاسلامية فقد اشتملت على عنصريـــن :

الجالية اليهودية وقد تعرضت الى تاريخ وجودها في المنطقة قبل تأسيس الدولـــة الزيانية ، أوبعد هجرتها الى هذه المناطق من الأندلس والدول الأوروبية المسيحيـــة وكان ذلك نتيجـــة لعاملين أساسييـــن

أولهما : أنهم وجدوا في أراضي الدولة الزيانية ماكانوا يطمحون اليه من رواج مصالحهم التجارية وأصبحوا وسطاء بين الزيانيين ، والأوروبيـين ، وكذلك بين الزيانيين والأفارقة ومارسوا الحرف والصناعة التقليدية التي اشتهروا بها مثل الصياغة ، وتجارة الذهب والعبيد فراجت هذه التجارة على أيديهم وتمكنوا من فرض سيطرتهم على الأسواق ، وأصبحت لهـم ثروة طائلـــة ، ومكانة ملحوظة في الدولة

ثانيهما : أضطهاد هؤلاء اليهود في هذه الدول السالفة الذكر ، وقد تتبعت هجرتهم الى الدولة الزيانية وبخاصة سنة (790 هـ/ 1391م) من أرجون ARAGON وقشتالة CASTILLE وكذلك سنة (890 هـ/ 1492م) من أراضي الدولة الناصرية تحت وطأة اضطهـــاد فرديناند FERDINAND وايزابيلا ISABEL

وتأتي في المرتبة الرابعة الجالية المسيحية وهم ينقسمون بدورهم الى قسمين رئيسيين :

الأول : يشتمل على التجار المستقرين في الموانئ وبعض المدن الداخلية كتلمسان وكانت لهم فنادق خاصـــة

الثاني : الجنود المرتزقة (الميليشيا) الذين استعانت بهم الدولة الزيانية في حروبهـا مع جيرانها

ففي المدخل حددت الملامح الجغرافية للدولة الزيانية ، وتناولت الصعوبة التي يتعرض

لها الباحث في هذا الاطار ، حيث أن الحدود السياسية للدولة الزيانية كانت في حالة مد وجزر ، والسبب في ذلك ماكانت تمر به المنطقة نتيجة للحروب والصراعات التي قامت بها الدولة الزيانية محاولة التوسع على حساب جيرانها ، وبخاصة الدولة الحفصية ، كما أن هذه الدولة واجهت من الطرف الآخر وهو الدولة المرينية هجمات ساحقة تحاول القضاء عليها وعلى وجودها السياسي

فاذا أضفنا الى ذلك ماقام داخل اطار الدولة أو الأسرة الحاكمة من خلافات وصراعات وما كان بين القبائل المؤيدة والمناوئة من استقطاب وانتصاب ، فان الصورة بدت من هذه الناحية قاتمة ، ولكن العجيب أن هذه الوضعية السياسية لم تؤثر كثيرا على التطور والتقدم الاجتماعي ، وتفصيل ذلك على الوجه التالي :

الفصل الأول من الباب الأول خصصته للمتشكلة السكانية وركزت فيه على مناطق النفوذ للقبائل وبدأت بدراسة للعنصر البربري ، ومن أبرز قبائله خلال هذه المدة قبيلة بني عبد الواد فتناولت هذه القبيلة منذ ظهورها على المسرح السياسي ، ثم مضاربها قبل انتقالها الى المناطق الشمالية واقطاعها الأراضي المحيطة بتلمسان ، والعلاقة بينها وبين البطون الزناتية الأخرى من بني توجين ومغراوة وبني راشد وبني منديل ، وأماكن تواجد هذه القبائل وكيفية انتقالهم من السهوب الى التل ، واستقرارهم بالأراضي الخصبة ، مثل حوض الشلف وسهل متيجة ، والصراع بينهم وبين الدولة الزيانية

كما تناولت في هذا الفصل أيضا هجرة الهلاليين واستقرار بعض قبائلهم في المغرب الأوسط ، وعلى الخصوص بطون زغبة والمعقل ، وأماكن انتشارهم وزحفهم على الأراضي الخصبة وانتزاعها من القبائل البربرية لحاجة الزيانيين اليهم ومناصرتهم لهم سياسيا وعسكريا في حروبهم مع المرينيين وغيرهم

والفصل الثاني خصصته للجاليات الأجنبية وهي عناصر ليس لها أصالة في المجتمع الزياني ، فيما عدا الجالية الأندلسية التي كان لها أثر كبير في المجال الاجتماعي بعظم

بين الباديــة والمدينة ما عدا الجهد المبذول في تحليل [illegible] الاجتماعيــة يختلف في أنماطه بين نمط الانتاج الزراعي والانتاج الرعوي ، [illegible] بموارد المياه وحتى النشاط الحرفي فهو الآخــر يواجه فيه الباحث صعوبات كبيرة لعدم توفــر المصادر التاريخية وكل ما هو متوفر هي اشارات خفيفة ، فالوزان تعرض للحرف بمدينة فاس ، الا أنــه بالنسبة لتلمسان اكتفى بقوله انها لا تختلف عن الأولى

واذا كانت التجارة قد حظيت في المغرب الاسلامي بتطوير في الفترات التاريخية التي سبقت العصر الزياني فانها اثرت على الحركة العمرانية الكبيرة وقيام مدن تأثرت بالحركة التجارية كتلمسان ووهران وهنين لما تمتع به المغرب الأوسط من شبكة مسالك وطرق نشيطة عبر الصحراء واتصال بالبحر الأبيض المتوسط هذه الآثار تمد حياة المجتمع الزياني بقدر كبير من التنميــة الاقتصادية والاجتماعية بالرغم من المجتمع الزياني كان مجتمعا متصارعا واجه مشكــــلات داخلية وخارجيــة نتعرض لها في البحث

لذلك تبين لي أن الحياة الاقتصادية والاجتماعية لم تسلط عليها الأضواء لدرجة كبيــرة ولم تعالج في دراسة مستقلة ، مما حفزني اختيار هذا الموضوع

وقد واجهتني بعض الصعاب في جمع المادة العلمية المتناثرة في المصادر والمراجع المختلفة وقد كانت سرعــة التحرك وحركة الأحداث في المنطقة التابعة للدولة الزيانية أحد الصعوبات التي واجهتني في حركة القبائل داخل المنطقة ما بين عرب وبربر

فالناظــــر لأول وهلة لهذه الدولة من الناحية العسكرية والسياسية يخيل اليه أنها لم تكن تعرف معنى للتقدم الاجتماعي والحضاري ، ولكن في بعض الفترات شهدت تقدما

واذا كنت قد اخترت البدء بالحياة الاجتماعية ، فذلك لأن الجانب الاقتصادي لن يتوفر الا من خلال مجتمع منظم تحكمــه علاقــات اجتماعية منظمــة ، وقد قامت خطة البحث على تقسيم هذه الدراسة الى مدخل وبابين :

فالباب الأول خصصته للجانب الاجتماعي والباب الثاني للأوضاع الاقتصادية ثم اتبعت ذلك بخاتمــة ، وتفصيل ذلك على الوجــه الآتي :

أما الفصل الثالث فتناولت فيه مدن الدولة الزيانية ونشاط السكان بها ، فدرست في البداية عاصمة الدولة تلمسان وأهم مرافقها ، ثم تعرضت بعد ذلك الى المدن الداخلية والساحلية

وتناولت في الفصل الرابع الطبقات الاجتماعية في المدن والبوادي وكذلك أثر التنمية في الوعي الاجتماعي بالمجتمع الزياني ، ثم ختمت الفصل بالأمراض الاجتماعية التي أصابت الأسرة والمجتمع والانحرافات عن منهج الكتاب والسنة

أما الفصل الخامس فتعرضت فيه الى المسكن والأطعمة والملابس ودور الأسرة في المجتمع والعلاقات بين أفرادها ، والحالة المدنية من الزواج والطلاق والاحتفالات العائلية والمناسبات الدينية

أما الباب الثاني من هذه الدراسة فقد تناولت فيه الحياة الاقتصادية ، وقد قسمته الى خمسة فصول :

في الفصل الأول مقدمة عن الأوضاع الاقتصادية على شكل تمهيد ثم تناولت الجانب الخاص بالزراعة على أنها أهم مصدر من مصادر الانتاج ، ففي البداية تعرضت للتربة ومصادر المياه، وأهم المحاصيل الزراعية مثل الحبوب ومناطق زراعتها ، والفواكه والتوابل والخضروات ، والثروة الحيوانية

وفي الفصل الثاني تناولت الصناعات مثل صناعة المنسوجات ، وأهم مراكز تصنيعها ودور الأسر المنتجة في هذا الاطار ثم انتقلت الى صناعة الحديد والأواني الخشبية والفخارية وصناعة الأثاث ، والجلود ودور الجاليات الأجنبية في ترقية هذه الصناعات ، وبخاصة صناعة وصياغة الذهب ، والفضة والنحاس

والفصل الثالث خصصته للتجارة الداخلية ، وقد توفرت لدي المادة العلمية من المراجع العربية وخصوصا كتب الرحالة التي تناولت هذا النشاط في الأسواق المحلية الداخلية وكذلك الموازين والمكاييل ، وارتباط الأسعار بالظروف التاريخية والطبيعية ، ومراقبة الأسواق من قبل المحتسب

أما الفصل الرابع فقد خصصته للتجارة الخارجية ، ووجدت في المراجع الأجنبية مادة وافرة تتعلق بموضوع العلاقة التجارية مع السودان الغربي ، والمشرق ، والمغرب الاسلامي والاندلس ودول أوروبا المسيحية في حركة الاستيراد والتصدير ، وأغلب المواد المصدرة لأوروبا هي السلع القادمة من السودان الغربي كالذهب والعبيد وكذلك منتوجات أراضي الدولة مثل الحبوب والجلود والصوف في مقابل إستيراد الورق والعبيد والمنسوجات

وأما الفصل الخامس والأخير من هذا الباب فقد خصصته للنظام المالي والعملات المحلية تناولت فيه الايرادات والمصروفات وعملة النقود من الذهب والفضة

وفي الخاتمة تناولت أهم ماتوصلت اليه من نتائج خلال دراستي هذه

نقـد المصادر وتحليلها :
=====================

وقد اعتمدت على مصادر ومراجع عربية وأجنبية بالاضافة الى دوريات ومحادثات مع بعض أساتذتنا المختصين في تاريخ المغرب الاسلامي داخل الوطن وخارجه ، الأأنني حاولت دراسة ماجمعته من مادة تاريخية علمية موضوعية محايدة حسب اجتهادي ، ومن بين هذه المصادر الفقهية :

1 ـ كتاب : (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) (1) متعلق بالنوازل الفقهية ، ومحويتألف من جزئين عالج فيه صاحبه مجموعة من النوازل لهاعلاقة بالميدان الاجتماعي ، والاقتصادي خلال العصور الوسطى ، ولذا استفدت منه في نقاط عديدة ، في احدى نوازله ، يرى أن الجهاد في الحرب أفضل من الكفار (2)

---

1 ـ الدرر المكنونة في نوازل مازونة في جزئين مخطوط المكتبة الوطنية ، بالجزائر تحت رقم 1335 ـ 1336

2 ـ المازوني : المصدر السابق ، ج 1 ، ورقة 287

ومن المصادر :

كتب الرحالة

==================

- اليعقوبي توفي (284 هـ/ 897م) وهو رحالة مشرقي زار المغرب الاسلامي ، ومن آثاره كتابه القيم في جغرافية المغرب وتاريخه (1) ، وقد سجل الشيء الكثير عن طبيعة المغرب الأوسط ومنتوجاته الزراعية ومنشآته العمرانية (2) ، حيث وصف المدن والمسالك والانهار وحدد المسافات بالمراحل معتمدا على الأيام ، وهي وحدة المقاييس المستعملة في هذا الزمان (3)

- ابن الفقيه : صاحب كتاب " مختصر البلدان " (4) وهو معاصر لليعقوبي ، وقد اعتمد عليه في موضوع المسالك التجارية وهو الذي وجه الأنظار الى غناء بلاد غانا (معدن الذهب) فقد شبهه بالجزر " (5)

- ابن حوقل (6) : مشرقي الأصل استطاع أن يسجل معلومات قيمة ودقيقة عن مدن واقتصاديات المغرب الاسلامي الكبير ، وأن ينقل لنا صورا متكاملة عن مدن المغرب الأوسط وأهم منتوجاته الزراعية وثروته الحيوانية ، ومنها مدينة وهران (7) وتنس (8) وتيهرت التي قال عنها : "أنها احدى معادن الدواب والماشية " (9)

---

1 - كتاب البلدان ، ط 3 ، : النجف الأشرف ، 1957 ، ص 176.
2- نفسه : ص 177
3- نفس المصدر : ص 107
4- المكتبة الجغرافيا : طبعة ابريل ليدن 1967 ، ص 166
5 - نفس المصدر : ص 87
6- كتاب صورة الأرض : ط بيروت ، 1962 ، المكتبة الجغرافيا ، بريل ، ليدن 1967
7 - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 86
8 - نفسه : ص 77
9- نفسه : ص 86

لـ البكري [1] " ت 487 هـ/ 1094 " وهو أندلسي ، كتب عن المغرب من خلال الأخبار التي وصلت اليه ، بالاضافة الى الوثائق التي أستفاد منها باعتباره موظفا في الدولة واحتكاكه ببعض التجار القادمين الى الاندلس من بلاد المغرب ، فقد اعتمدنا عليه أيضا في كتابه (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) على الوراق المتوفي سنة (363 هـ / 973 ـ 974م) وهذا الكتاب الأخير لم يصل الينا كله ، فقد استفدت من البكري [2] فيما يتعلق بوصف مدن الدولة الزيانية ، وتحديد أبواب عاصمتها [3] ، وهذا الكتاب رغم أهميته العلمية ، فان معلوماته تنقصها الدقة [4]

وربما عاد ذلك الى أنه سجل معلوماته عن بعد مما جعل بعض هذه المادة التاريخية لا يطمئن اليها ، وذلك أنه اعتمد على الرواة من التجار والمسافرين ، وذلك لا يكفي وحده ، في وصف الطبيعة وأحوال السكان والجوانب الاقتصادية التي لم يرها رأي العين

ـ "كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار" [5] لكاتب مراكشي مجهول من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، والكتاب ينقسم الى ثلاثة أقسام مختلفة هي الأماكن المقدسة ومصر وبلاد المغرب والقسم الأخير خاص ببلاد المغرب والسودان يفوق في أهميته ماسبقه من الأقسام [6] ، لكن الملاحظ عليه أنه لم يختلف عن البكري في مستوى المعلومات ولم يضف شيئا جديدا بقدر ما تخلف معه في ترتيب المادة ، لكن ميزته أنه على عكس البكري

---

1 ـ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 87

2 ـ طبع مكتبة المثنى ، بغداد بدون تاريخ

3 ـ الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مجريط : 1884 ، ص 131

4 ـ البكري : المصدر السابق ، ص ص 66 ـ 68

5 ـ حققه ونشره : سعد زغلول عبد الحميد : الاسكندرية سنة 1958
توجد منه مخطوطتان بالمكتبة الوطنية ، تحت رقم 2325 و 5867

6 ـ نفسه : ص 244

وصف بلاد المغرب بعد أن زارها مع تقديم تطبيقا عمليا لما جاء في كتاب المسالك للبكري (1) وقد رجعنا اليه فيما يتعلق بالطرق التجارية (2) وكذلك النشاط الزراعي والمناطق التابعة (3) للدولة الزيانية

ـ الادريسي عبد الله محمد الشريف السبتي توفي حوالي 548 / 1154 كتابه : وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس" وهو جزء من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) (4) ومعلوماته أخذ الكثير منها من كتب الجغرافيا السابقة كالبكري ، والتقارير التي كان يتلقاها من المسافرين فضلا عن المناطق التي ارتحل اليها بنفسه مثل منطقة المغرب ، ومنها أراضي الدولة الزيانية ، لهذا كانت المعلومات التي أوردها عن الزراعة والتجارة مهمة للغايــــة لذلك رجعنا اليه في دراستنا للنشاط الزراعي والحيواني (5) أو الثروة الحيوانيـــة (6)

ـ العبدري : القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (7) لم يقدم لنا سوى صورة قاتمة عن أهم حواضر الدولة الزيانية ، ومنها تلمسان التي زارها أثناء توجهه الى المشرق في عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن " 681 ـ 703 هـ/ 1282 ـ 1304م " (8)
وفي تلمسان لم ير ما يشار اليه بالنباهة والعلم سوى الشاعر ابن خميس (9) رنزعة هذا الرسالة

---

1 ـ سعد زغلول عبد الحميد : المغرب العربي ، ص 244
2 ـ نفسه : ص 119 ـ 159
3 ـ نفسه : ص 67
4 ـ مطبعة بريل ليدن ، 1968 ، وعن ترجمته ، أنظر زكي حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ، 1945 ، ص 103
5 ـ حسين مؤنس : الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس ، مقال بصحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مج 7 ـ 8 ، مدريد 1959 ص ص 59 ـ 60
6 ـ الادريسي : نفس المصدر ، ص 152
7 ـ نفسه : ص 101
8 ـ الرحلة المغربية : تقديم وتحقيق ، وتعليق أحمد بن جدو ، مطبعة البعـــث ، قسنطينـــة ، 1964 ـ ص 12
9 ـ نفس المصدر : ص 14

(1)

أنه يروي عن علماء كل بلد، وفقهائه ويسجل مروياته عنهم ضمن رحلته، كما أبرز لنا أ نعدا

(2)

الأمن لوجود قطاع الطرق، وتعتبر هذه الرحلة من بين المصادر الهامة (3)

ـ التيجاني : أبو عبد الله بن محمد التيجاني، توفي حوالي سنة 717هـ/1317م وقد

(4)

رجعنا الى رحلته فيما يتعلق بالطرق التي تربط بين المغرب والمشرق، ودور القبائـــل

(5)

العربية المتمركزة على أطراف الطرق وتأثيرها على النشاط التجاري سلبا وايجابا

كما تحتوي الرحلة على معلومات هامة تتعلق بانتقال المماليك من مصر الى بلاد المغرب

(6)

ودورهم في الصراع بين الموحدين وبني غانية من ناحية أخرى نجد هؤلاء قد اتصلوا

(7) (8)

بيغمراسن بعد سقوط الدولة الموحديـــة، وقد لعبوا دورا هاما في عهد سلاطيـــن

(9)

الدولـــة الزيانية، حيث تقلد البعض منهم مناصب سياسيـــة

(10)

ـ العماري : صاحب مسالك الأبصار، واستفادت منه فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي

---

1 ـ الرحلة المغربية : المصدر السابق، ص 18 وما بعدها

2 ـ العبدري : المصدر السابق، ص 17

3 ـ نفسه : ص 19

4 ـ رحلة التيجاني : 706 ـ 708 هـ/ 1306 ـ 1308 م، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1378 هـ/ 1958 م

5 ـ التيجاني : نفس المصدر، ص 200

6 ـ نفس المصدر، ص 217

7 ـ عن ثورة ابن غانية : أنظر ابن خلدون، العبر مجـ 6

8 ـ سقطت الدولة الموحدية، سنة 669 هـ/ 1269 م

9 ـ ابن خلدون : العبر مجـ 7، ص 240، ابن خلدون يحيى : بغية الرواد، تحقيق د. بوبة مجاني، الجزائر، 1980، جـ 1، ص 158

10 ـ موجود بمكتبة القسطنطينية، كما توجد نسختان منه بالمكتبة الوطنية بباريـــس تحت رقم 1325 و 5867، نشر وحقق جزء : أحمد زكي باشا، القاهـــرة 1924 لمزيد من المعلومات عنه أنظر : بروكلمان : تاريخ الآداب اللغة العربية تعريب، منير البعلبكي ونبيه فارس، بيروت، ص 396

حيث تعرض لمواني الدولة ، كما تعرض أيضا الى مملكـــة مالي [1] ووصف الممالك ... ق وصفا دقيقا وهاما لأقاليمهـــــا ومدنها وقبائلها ، وبناء دورها [2] وأقواتها [3] وثمارها وحيواناتها ، وعاداتها [4] ، كما تناول النشاط التجاري بينها وبين الدولة الزيانية [5].

ـ ياقوت الحموي : (626 هـ/ 1229م) رحالة مشرقي آخر لا يقل من حيث الأهميـــة [6] عن العماري ، وقد كانت معرفته بأحوال المشرق الاسلامي أفضل بكثير من معرفته بأحوال المغرب.

ـ ابن سعيد المغربي ت (673 هـ/ 1275) دون رحلته وأفاد من مشاهداته فيما ألف من كتب التاريخ ، وقد خلف تواليف كثيرة معظمها مخطوط الى الآن ، وقد اعتمد ابن سعيد بالنسبة لافريقية عن ابن فاطمة الذي قام بأسفار طويلة في افريقية ، ولعله كتب أخبار هذه الرحـالات [7] ولكن شيئا من آثاره لم يصل الينا ، وقد رجعنا اليه في مجموعة من النقاط مثل العلاقـــــة بين مواني الدولـــة الزيانيـــة والأندلس [8].

ـ ابن بطوطة : القرن (8 هـ/ 14م) يعتبر من أعظم الرحالة المسلمين قاطبة وأكثرهم طوافا [9]

1ـ العماري : المصدر السابق ، ج1 ورقة 28

2ـ نفسه : ج 1 ورقة 30

3ـ نفسه : ج 1 ورقة 31

4ـ معجم البلدان : ط 6 ، ص190

5ـ زكي حسن : المرجع السابق ، ص126 .

6ـ ابن سعيد الأندلسي : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتب التجاري بيروت ، وهناك دراسة قيمة عنه في 2 . أ . ج3 ، ص950 ـ 951 صاحب المقال : CH PELLATE وأنظر أيضا ARABIKA مجلة ، 13 مقال PAWREONT عنوانـــه : ابن سعيد المغربي : باريس 1966 ، ص ص142 ـ 967

7ـ نفسه : ص 150 .

8ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المعروفة برحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت 1960 .

9ـ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص665 .

في الآفاق وأوفرهم نشاطا واستيعابا للأخبار واشدهم عناية بالتحدث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي تجول فيها (1). غادر ابن بطوطة بلاد المغرب الأقصى الى الأراضي الحجازية فمر ببلاد الدولة الزيانية (2). وقد تعرض للنشاط التجاري بين الدولة الحفصية وبني زيان (3) كما تكلم عن الطريق البري الذي مر به فقال عنه: أنه لم يكن آمنا (4).

أما الرحلة للسودان فكانت سنة (753هـ/ 1352م) (5) وقد تعرض فيها ابن بطوطة الى احوال السكان في السودان الغربي وعاداتهم البدائية (6)، وأعجب بقلة الظلم في بلادهم وشمول الأمن (7) بحيث لا يخاف المسافر فيها والمقيم من سارق ولا غاصب (8) كذلك تناول العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي، فذكر بعض التجار ومن بينهم الفقيه عبد الواحد المقري (9) في ولاتة (10).

ـ عبد الباسط خليل: (9هـ/ 15م) (11) وهو رحالة مشرقي لا يقل أهمية عن ابن بطوطة وقد اشتغل بالتجارة والتأليف، ومن آثاره كتاب "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم" وهو يعالج تاريخ الدول الاسلامية ولا سيما مصر وسوريا، ولم يصلنا من كتابه أجزاء في مخطوطتين بمكتبة الفتيكان وتشمل احداهما الكلام على الحوادث التي عاشتها

---

1 ـ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 665

2 ـ نفسه: ص 16 وما بعدها

3 ـ نفسه: ص 17

4 ـ نفسه: ص 18

5 ـ نفسه: ص 675

6 ـ نفسه: ص 676

7 ـ نفسه: ص 677

8 ـ نفسه: ص 684

9 ـ نفسه: ص 685

10 ـ نفسه: ص 684

11 ـ عبد الباسط خليل: روض الباسم، مخطوط بمكتبة الفاتيكان: مخطوط تحت رقم 729، نشر من قبل روبير برونشفيك، بعنوان Deux recit, de voyage, inèdit enAfrique,du Nord Abdelbassid; Ben Khalil et Adorne Paris I936? P.46.

ماكتبه كودير COUDRAY عن العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي وقد استفاد من هذا المقال من كتب الرحالة ، وماكتبه الباحثون الذين سبقوه من قبل . كما رجعنا أيضا الى ماس لوطري MAS LATRIE(L.de) في كتابه

Traitès de Paix et de commercè concernant les relations des Chrety avec les Arabes de l'Afrique Septentrionale au moyen Age, et un autre Vol. de supplement et Table

الذي تناول فيه النشاط التجاري ، ونوعية السلع والمعاهدات التجارية والضريبة الجمركية التي كانت تستفيد منها هذه الدول ، وقد اعتمد فيها على الوثائق الاوروبية في ايطاليا وأسبانيا وأرجون (2) حيث لجأ الى ترجمتها الى اللغة الفرنسية ، ثم دراستها .

يضاف الى ذلك المؤرخ الفرنسي DUFOURCQUE (ch.E) المهتم بالعلاقات التجارية بين بلدان المغرب الاسلامي واسبانيا ESPAGNE أرجون ARAGON قاطالونة CATALANE. وميورقة MAYORQUE فيمايتعلق بالفترة الممتدة مابين القرن السابع والثامن الهجري / الثالث عشر والرابع عشر الميلادي ، ولهذا رجعنا الى أغلب كتبه ومقالاته في المجلات التي استطعنا الحصول عليها وقد استفدنا منها فائدة معتبرة لما احتوته من معلومات وما تضمنته من استنتاجات .

ومن المراجع الحديثة أيضا ماكتبه أستاذنا الدكتور عطاء الله دهينة من خلال رسالته سلطنة بني عبد الواد .

ATALLAH DHINA: Le Royaume ABDELOUADIDE

A. L'Epoque d'Abou Hammou Moussa 1er et D'Abou Tachfin 1er .

(1 Les Etrangers à Tlemcen dans l'Algerie nouvelles 2éme Annèe Alger I397. C.F Relation commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le soudan.dans B.S.G.A. 2éme Annèe I397 .

(2 Paris I366 dans le même Vol une introduction Pagincè à part et un autre vol. de supplèment et table Paris I372.

(3 Office des publications Universitaires Alger

وكذلك دراسته الأخيرة دول المغرب الاسلامي في القرن السابع والثامن والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (نظم الحكم والادارة) وهذا البحث أعده من جامعة نتير NANTERRE بباريس PARIS

Les Etats, de l'occident Musulmans au XIIIe et XIV et XVe Siecles. Institutions gouvernementales et Administratives.

(2 ومن المراجع الحديثة : كتاب روبير برونشفيغ ، وعنوانه : البربرية الشرقية في ظل الحفصيين من أصولها الى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي

وهذا المرجع يزخر بالمعلومات الهامة التي تخص الدولة الحفصية .

وأخيرا فقد مرت هذه الرسالة ، بعدة مراحل بالنسبة للأعداد والاشراف عليها في مرحلتها الأولى الدكتور عطاء الله دهينة ، وكان فضل التوجيه الأول ثم تخلى نتيجة ، تقاعده ، فله شكري واحترامي مع ماقدم من توجيهات ومتابعة ، ثم في المرحلة الثانية ، جاء دور الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي قرأ الرسالة ، وقدم ملاحظاته القيمة التي كان لها أثر كبير في توجيه البحث ، الا أنه اعتذر عن متابعة الاشراف ، فجاءت المرحلة الثالثة ، حيث قرر مسؤولي المعهد بتحويل الاشراف مع الدكتور عبد الباقي علي محمد الذي صادف وجوده بالجزائر في ذلك الوقت وفي الحقيقة أن المشرف الأخير لم يكن بعيدا عن التوجيه ، بل كان في جامعة قسنطينة يتابع البحث ، فاجعل مهمته سهلة ، فلم تستغرق عملية التوجيه والاشراف سوى مدة قصيرة كثف فيها الجهود معي بحيث تمكنت من تقديم البحث في أول هذه السنة .

وللجميع شكري وتقديري واحترامي ولكل من مد يد العون في هذا المجال وأخص بالذكر الدكتور سعيدوني نصرالدين ، مدير المعهد والأستاذ بلخروف نائب المدير المكلف بالبحث العلمي ، كما أشكر القائمين على المكتبات الجامعية في الجزائر وقسنطينة ، ودور الكتب

(1 Office des Publications Universitairés Alger.

(2 Office des Publications Universitairc Alger

بالقاهرة وجامعاتها والاسكندرية وجامعاتها ، والمكتبات الوطنية بباريس ، ودور الوثائق

ببرشلونة ومكتبة الأسكوريال بمدريد ؛

وذلك غاية الجهد أردت ولكل مجتهد نصيب فان كنت قد وفقت [illegible] إليه من

المساهمة في مد جسور البحث العلمي لجامعتنا الجزائرية وان كان قد نال عملي هذا

بعض القصور فذلك ما اتركه للجنة المناقشة مع تقديم احترامي وتقديري للجميع .

المدخــــــــل :

الأحوال السياسية : 633 ــ 962هـ/ [illegible]

تأسيس الدولة :

(1)

أولا ـ من أبرز العوامل التي أدت الى تأسيس الدولة الزيانية ضعف الدولة الموحدية بعد معركة العقاب (2) (609 هـ / 1212 م) لأنها أدت الى انهيار الدين الموحدين

ثانيا ـ تأزم الوضع بين الأسرة الحاكمة نتيجة للصراع بين السادة أمراء الدولة وأشياخ القبائل المناصرة للدولة الموحدية ، وبخاصة بعد وفاة الخليفة العادل (624 هـ / 1226 م) وتولى الخلافة ادريس المأمون

ثالثا ـ ضعف النفوذ الموحدين بالمغرب الأوسط حيث لم يبق لهم سوى مدينة تلمسان بينما المناطق الأخرى أصبحت تحت نفوذ شيوخ زناتة (مغراوة ـ بنو توجين ، بنو عبد الواد) وهذا ما جعل بنو عبد الواد يغتنمون هذه الفرصة لتأسيس دولة لهم فجعلوا من الصراع الذي عاشته مدينة تلمسان سببا في التدخل في شؤونها واقامة دولة لهم ، وقد لعبت هذه الدولة (633 ـ 962 ـ 1235 ـ 1551) دورا هاما في الحياة السياسية

---

1 ـ يطلق عليها دولة بني عبد الواد نسبة الى قبيلة عبد الواد وقد تعرض لذلك الأب برجيس BARGES في مقاله المنشور بدائرة المعارف الاسلامية مادة (زيان بنو) مجا 10 ، ص 473 ـ 474 ، قال بأن الفرع العائلي الذي ينتمي اليه أبو يحيى يغمراسن بداية اطلاق دولة بني زيان على دولة بني عبد الواد وهذا الرأي ينقصه السند التاريخي

2 ـ معركة العقاب وقعت سنة (608 هـ / 1211 م) بالقرب من مرتفعات جبل الشارات سيرامورينا ، انظر ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص 155 ـ 159 ـ 160 ، انظر أيضا حاجيات : السلطان أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره ، الجزائر ، 1974 ص 12 ـ 13

ثالثا – ان هذه المنطقة كانت قبل قيام الدولة الزيانية خاضعة للدولة الموحدية ظاهريا لانتهاء الصحيفة كانت موزعة على عدة قبائل بحيث يصعب تحديد سلطة الدولة باستمرار، لكن يمثل الثغور من هذا الغرب (1) المصعب اذا ما اعتبرنا حدود هذه (2) الدولة قد حددت طبيعيا فيما لنا وادي ملوية وعلى وجه الدقة مدينة تاوريرت (3) حدا غربيا لهذه الدولة، وجعلنا الحدود الشرقية تمتد الى جبل الزان (الاقاص المتاخمة لامارة بجاية

وقد تبين لنا من خلال دراستنا أن هذه الجهة الشرقية قد عرفت حالات مد وجزر خلال الفترة التاريخية التي عاشتها الدولة الزيانية حيث عرفت هذه المنطقة تقهقرا وتقهقرا بارزين منذ اعتلاء السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن عرش تلمسان سنة 681 – 703هـ / 1282 – 1303م كان ذلك تطبيقا لوصية مؤسس الدولة

---

1 – وادي ملوية : ينبع من جبال الأطلس المغربية ويصب في البحر المتوسط بالقرب من مدينة مليلة، عنه أنظر الحسن الوزان : وصف افريقية تحقيق د حميدة، الرباط 1980، ص 566، العبر ج 7، ص 222

2 – هذه المدينة توجد الآن غرب مدينة وجدة على بعد 136 كلم من هذه المدينة وكانت محل صراع بين المرينيين والزيانيين، ومن المؤرخين الذين جعلوها حدا غربيا للدولة الزيانية ابن خلدون عبد الرحمن، الذي قال عنها : (كانت تاوريرت مقرا لنصف من بني مرين، وبني عبد الواد في جانب منها عامل السلطان أبي يعقوب، وفي الآخر عامل عثمان بن يغمراسن، انظر العبر، ج 7، ص 319 – 354 وأنظر أيضا رضوان رضوان : المرجع السابق ص 23

3 – جبل الزان : المعروف اليوم بجبل القادوا، والذي يشكل جزءا من جبال جرجرة، أنظر التنسي : نظم الدر والعقيان، مخطوط بالمكتبة الوطنية، بباريس تحت رقمي 1875 – 1876 ورقة (3)

يغمراسن بن زيان (1) (633 ـ 681هـ/ 1236 ـ 1282م) بسياسة توسعية (2)
فقد ركز اغلبية سلاطينها على تحديد واحد هو العمل على توسيع رقعة دولتهم
على حساب جيرانهما وبخاصة امارة بجاية الشرقية مما ساعد على توسيع
هذه الحدود الى جبل الزان كما سبق أن أوضحنا

أما الحدود الشمالية فكانت تصل الى البحر المتوسط حيث شملت مدن حنين
ووهران وأرزيو ومستغانم وتنس وبرشك ، وشرشال ، والجزائر ، ودلس
أما الحدود الجنوبية فقد امتدت حتى توات ووارجلة ووادي ميزاب وغيرها من الواحات
وأما عاصمتها تلمسان فتقع في منطقة استراتيجية بالغة الأهمية لتحكمها في الطرق
التجارية الكبرى

---

1 ـ هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت من بني طاع الله العبد الوادي رأس الأسرة الزيانية ، ولد سنة (603 هـ / 1206م) وقد بويع بالملك بعد أن توفي أخوه الأمير أبو فرة زيدان في 24 ذي القعدة 633 هـ / 31 جويلية 1236 ووصفه ابن خلدون : يحيى بقوله " أول من خلط زي البداوة بابهة الملك وأشعر القبيل لباس الشريعة على المنار وبهد الخلافة وأوثر الاريكة وأسمع أهل المشرق والمغرب صوت الدعوة" أنظر بغية الرواد ، ج 1 تحقيق الدكتور حاجيات : الجزائر 1980 ، ج 1 ص 505

2 ـ عن وصية يغمراسن : أنظار العبر ، مجا 7 ، ص 149 ، أنظر أيضا عبدالله دمينة : وصية يغمراسن ، مقال ، بمجلة تاريخ وحضارة المغرب ، ع 7 جويليه 1969 ص 19 ـ 22

3 ـ عن حنين : انظر ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، ط ، بيروت 1962 ، ص 70 البكري : المغرب ، في وصف بلاد افريقية والمغرب ، نشرة ، دوسلان ، ط 2 الجزائر ، 1911 ، ص 77 ،

4 ـ عن وهران : صورة الأرض ، ص 78 ، المغرب ، ص 70 ـ 71

5 ـ عن أرزيو : المغرب ، ص 60

6 ـ عن تنس : انظر صورة الأرض ، ص 76 المغرب ، ص 61

(1)
وبضاعة التي تربط موانيء البحر المتوسط بالسودان الغربي جنوبا وبالمشرق شرقا

الأدوار التاريخيـــــــــــــة

ـ الـــــدور الأول :

يعتبر أهم الأدوار وأطولها في تاريخ هذه الدولة منذ قيامها حتى سقوطهـــــا على يدي أبي الحسن المريني (737هـ/ 1337م) بعد مقتل السلطان أبي تاشفين الأول (2)

وقد بدأ هذا الدور بعد أن استولى بنو زيان على تلمسان سنة (627 هـ/ 1229م) فقد تبدلت موهبة شيوخهـــــم في الخطـــة التي رسموها لأنفسهم للمحافظة على بقية الأمور بأيديهم فقد اظهر شيخهم جابر حنكتـــه السياسية حيث أثر الاستمـــــرار في العلاقة الحسنة عند ما فضل ذكر المأمون (635 ـ 639هـ/ 1230 ـ 1232م) على منابر تلمسان ، وضرب الدرهم باسمه ، الا أنه قتل بعد المعارك التي خاضهـــا ضد المناطق المجاورة لتلمسان فتولى ابنه الحسن ، ثم ابن عمه زيدان بن زيــــان الذي قتل هـــو الآخر فتولى مكانه أخوه يغمراسن بن زيان الذي توسع على حساب بني توجين ، ومغراوة ، مما جعلهم يتصلون بالدولة الحفصية لمساعدتهم في مواجهة بني عبد الواد

1 ـ البكري : المغرب ، ص 76 ، الادريسي : صفة المغرب ، ص 17 ـ 82

2 ـ ان الدولة الزيانية في هذا الدور خاصة المرحلة الأولى منه كانت تدعوا على منابرها لسلطان الموحدين في مراكش في البداية ، ثم نقلت دعوتها الى الحفصيين في تونس وكان ذلك حتى عهد السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن ، أنظر العبــر : مجلد 7 ، ص 163 ـ 204 ، أنظر أيضا حاجيات : المرجع السابق ، ص 14 أنظر أيضا - BARGES (J) : Tlemcen Ancienne Capitale des Royaume de ce Nom P. 16.

وقد أ.اب أبوزكرياء الحفصي طالبهم[(1)] فهاجم تلمسان، ثم استولى عليها سنة (639 هـ / 1241م) مما جعل يغمراسن يتركها ويتحصن بالقلعة منها الا أن السلطان الحفصي قد تركها له مقابل الدعوة الحفصية على منابرها الا أن تمسكه بالدعوة الحفصية دفع بالخليفة الموحدي[(2)] أن يشن هجوم على أراضي الدولة الزيانية لكنه قتل بتمزيز دكت[(3)] سنة (646 ـ 1248م)

ومن هنا يتبين لنا أن تعاون بني زيان مع الحفصيين لم يكتمل الا في عهد الخليفتين الموحدين المرتضي " 646 ـ 665 هـ/ 1248ـ 1266 وأبي دبوس 666ـ 669/ 1266 ـ 1269م " "

ففي عهد الأول نصر بنو زيان فانقضوا على رباط تاز وأحس بنو مرين بالخطر فتوجهوا لهم حيث دارت بين الجانبين معركة ايسلي (643 هـ/ 1251) التي انهزم فيها يغمراسن وعندما تولى أبو دبوس الحكم بدأ عهده بمخالفة بني مرين حيث تمكن عن طريق مساعدتهم أن يستولي على عرش الدولة بعد مقتل المرتضي ولكن سرعان ما اختلف

---

1 ـ أبو يحيى الأول : تولى الحكم في نهاية رجب سنة (625هـ/ 1228م) ويعتبر المؤسس الأول للدولة الحفصية وحاول احياء الدولة الموحدية ، وفي اطار هذه السياسة ، قام بحركة توسعية على حساب الدولة الزيانية ، انظر : العبر ، مجا 6، ص 594 ـ 595 ومجا 7 ص ص 164 ، الفارسية ، ص 109 أنظر أيضا الدكتور حاجيات : المرجع السابق ، ص 14

2ـ لمزيد من المعلومات عن محاولة محاصرة تلمسان من قبل السعيد الموحدي أنظر : العبر ، مجا 7 ، ص 168 ـ 171 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص 206 القلقشندي : صبح الأعشى ، ط حديثة ، مصورة ، دار الكتاب ، 1915م، جـ5 ص192

3ـ شيدها أبوتاشفين الأول سنة (727 / 1327م) بالقرب من وادي الصوما غير بعيدة عن مدينة القصور الحالية ، أما الواردة في المتن فهي عبارة عن حصن يقع جنوبي وجـدة ، أنظر العبر ، مجا 7 ، ص 207 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص 206

أبود بوس (1) مع بني مرين الذين زحفوا اليه في حشود ضخمة ، وحاصروا مراكش ثم نسفوا ماحولها من زرع ، فأرسل أبود بوس الى بني زيان لانقاذه ، ومن ... مرين مما جعل يغمراسن يسن ا غارات على أطراف الأراضي التابعة لبني مرين خاصة منطقة ملوية فاضطر بنو مرين أن يرحلوا عن مراكش ويتجهوا صوب بني زيان وذلك سنة (666هـ/ 1258م) فاندلع القتال بين المتصارعين عند وادي تلاغ (2) انتهى بهزيمة يغمراسن (3)

ولعل هذه الهزائم المتواصلة هي التي دفعت يغمراسن ابن زيان أن يوصي خلفاءه على التوسع نحو المناطق الشرقية من دولته ، ومن يتبين لنا أن هذه اللقاءات العسكرية مع الموحدين ، والمرينيين أملتها ظروف عداوة الدولتين له

أما حروبه مع بني توجين ، ومغراوة والتي تمثل القسم الثاني من حروبه مع بني زيان خلال عهد يغمراسن ، فلم تفرض عليه ، وانما أملتها ظروف تأسيس الدولة الزيانية اذ قام بنو زيان بعدة غارات داخل المغرب الأوسط نفسه ، وبذلوا قصارى جهدهم من أجل اخضاع القبائل المتواجدة في مدن المغرب الأوسط ، وجباله ، ويذكر صاحب " بغية الرواد " أن غزوات يغمراسن " بلغت اثنتي وسبعين غزوة (4) سوى غزواته مواطن توجين ومغراوة"

---

1 ـ هو أبو العلاء : الملقب بأبي دبوس بن عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن الذي ثار ضد المرتضى ، وبعد مقتله استقل بالأمر وتلقب بالواثق والمعتمد على الله وفي عهده دخل يعقوب بن عبد الحق مراكش سنة (668 هـ/ 1269م) انظر : العبر مجـ 7 ، ص 176 ، وأنظر أيضا : الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث ط 1963 ، جـ 2 ص

2 ـ وادي تلاغ أحد الوديان الصغيرة التي لاتبعد كثيرا عن مدينة وجدة وعن هذه المعركة انظر العبر مجـ 7 ص 371 ؛ أنظر أيضا الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ط 2 ، بيروت 1965 ، جـ 2 ، ص 135

3 ـ مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص 131 ، ابن أبي زرع ، المصدر السابق ص 198

4 ـ بغية الرواد ، جـ 1 ، ص 207

والملاحظ أن ذكر هذا العدد بالرغم من أنه مبالغ فيه إلا أنه يوضح إنا شدة العداوة بين بني عبد الواد وهذه القبائل

إضافة الى العامل الحربي فان يغمراسن عمل على تحصين دولته بما يدرأ عنها (1) أخطار عدوه شرقا ممثلا في الحفصيين وغربا في المرينيين ، ويذكر ابن خلدون أن يغمراسن جلب بعض القبائل العربية الغير المستقرة ، ووطنها في المناطق التابعة للدولة الزيانية (2)

ويبدو أن هذه التجربة لم تنجح تماما ، لأن هذه القبائل صارت تغادر موطنها في مواسم الرعي ، وتتبع الكلأ ، والمرعى ومياه المطر (3)

بالاضافة الى ماعرف من اخلاق البدو ، وتقلبهم سياسيا ، مما جعلهم يتحالفون مع أعدائه في بعض الأحيان لتحالفهم كل من القوتين المرينية ، والحفصية (4)

ومن هنا كانت أغلب المعارك التي خاضها لصالح أعدائه ، ولا عجب اذا وجدنا

---

1 ـ لمواجهة الأخطار الخارجية عمد يغمراسن بن زيان الى تحصين عاصمة دولته فقد ذكر يحيى بن خلدون : أنه شيد الأسوار الشاهقة القريبة من باب كشوطة انظر : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 207 ، انظر أيضا حاجيات ، المرجع السابق ص 14 ، ويبدو أن سبب النزاع بين يغمراسن وبني مرين يرجع الى الجوار في الموطن والمنافسة على رئاسة قبائل زناتة وقد أفاد الموحدون من ذلك الفراغ فاستمالوا بني عبد الواد الى جانبهم دون بني مرين ، أنظر ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 360

2 ـ ابن خلدون : العبر ، مجلد 6 ، ص 105

3 ـ نفسه : مجلد 6 ، ص 61 ، ومجلد 7 ، ص 85

4 ـ نفسه : مجلد 7 ، ص 137 ، روض القرطاس ، ص 197 ، السلاوي : الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج 3 ، ص 69 ، انظر أيضا ، رضوان محمد رضوان ، المرجع السابق ، ص 60

أن سياسة يغمراسن خلال هذه الفترة استطاعت رغم المعوقات أن توسع رقعة دولته رت في المغرب الأوسط من الخطر الحفصي في البداية (1) ثم المرينيين بعد سقوط الدولة الموحدية (2)

حتى لا يراوده القونيين في آن واحد عمد الى التقرب من الحفصيين ، والابتعاد عن المرينيين في المغرب ، وتنفيذا لهذه السياسة الحكيمة أستمر في ولائه للدولة الحفصية ، ولم يكتف بهذا ، بل عمد الى مصاهرة الحفصيين بتزويج ابنه أبي سعيد من الأميرة الحفصية بنت أبي اسحاق الحفصي (3)

لكنه قبل وفاته وضح حد لهذه العلاقة فقد أوصى أولاده بالتخلي عن مواجهة المرينيين ، والتوسع على حساب الدولة الحفصية في المشرق (4) ، لأنها تتخبط في مشاكل داخلية نتيجة الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة ، وتماشيا مع تلك الوصية فان خليفته أبا سعيد عثمان بن يغمراسن ((682-703 هـ / 1282 - 1303م)) استهل عهده بمسالمة بني مرين ، حيث أرسل رسالة الى أبي يوسف يعقوب أثناء وجوده بالأندلس يعرض عليه عقد الصلح بين الدولتين (5)

الا أن الحرب عادت من جديد مع الدولة المرينية ، وقد حدث أن ثار الأمير أبو عامر

---

1 - العبر : مجـ 7 ، ص 163 - 166 ، أنظر أيضا حاجيات : المرجع السابق ، ص 15

2 - سقطت الدولة الموحدية سنة (668هـ/ 1269م) أنظر العبر : مجـ 7 ، ص 551 روض القرطاس ، ص 188 ، الاستقصاء ، جـ 2 ، ص 209

3- هو ابراهيم بن الأمير أبي زكرياء بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص تولى الحكم من سنة (678 - 681 هـ / 1279 - 1282م) وعن ذلك الزوال انظر بغية الرواد ، جـ 1 ، ص 106 ، العبر : مجـ 6 ، ص 593 ، أنظر أيضا الجيلالي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 133

4 - ابن خلدون : العبر مجـ 7 ، ص 189 - 190

5 - العبر : مجـ 7 ، ص 204 ، بغية الرواد ، جـ 1 ، ص 208 ، السلاوي : جـ 1 ، ص 56 ، أنظر أيضا رضوان محمد رضوان : المرجع السابق ، ص 30

في سنة (698 هـ / 1298م) كان أبو يعقوب القضاء على الدولة الزيانية حيث بدأ به اسرة تلمسان، وقد استمر هذا الحصار الفترة ... [illegible] المريني معه الى تشييد عاصمة جديدة هي مدينة المنصورة[1]، وقد أدى الى وقوع خسائر بشرية، ومادية هامة بالنسبة للدولة الزيانية، وقد توفي السلطان أبو سعيد خلاله (703 هـ / 1303م) وترك لخليفته أبي زيان[2] محمد مواصلة القتال ضد المرينيين المحاصرين للمدينة، فاستبسل أبو زيان محمد في الصمود لكي لا تقع تلمسان في قبضة المرينيين، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان اذ توفي السلطان المريني في أنه في شهر ذي الحجة (707 هـ / 1307م) فارتفعت معنويات المحاصرين وعاد الأمل الى نفوسهم بسبب النزاع بين أفراد الأسرة المرينية، مما اضطرهم الى رفع الحصار والعودة الى فاس.

أما أبو حمو موسى الأول[3] فقد اغتنم هذه الفرصة المتاحة له في مقابلة اعدائه

---

1 ـ المنصورة : مدينة بعيدة عن تلمسان أسسها يوسف بن يعقوب كمعسكر لقواته أثناء فرضه الحصار على تلمسان، انظر، العبر مج 7، ص 196

2 ـ أبو محمد بن أبي سعيد : تولى الحكم بعد وفاة ابيه (703 هـ / 1304م) كانت ولايته أثناء الحصار المريني (707 هـ / 1307م) انظر بغية الرواد، ج 1، ص 210، العبر مج 7، ص 196 ـ 201

3ـ أبو حمو موسى الأول : بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن رابع سلاطين بني عبد الواد حكم بعد وفاة أخيه أبي زيان المتوفي في 21 شوال (707هـ / 14 أفريل 1307) وتوفي سنة 718 هـ / 1318) انظر العبر، مج 7، ص 203 ـ 215، انظر أيضا، حاجيات، المرجع السابق ص 17، الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 14

من العرب الذين تحالفوا مع المرينيين من زغبة (1) والسويد (2) والديلم (3)

ولم يكتف بهذا بل عمد الى مد مخازن تلمسان بالتموين ، و... الجزيرة
تقع في الجانب الذي ذكره ابن خلدون باسم المعمر

وفي سنة (716هـ/ 1316) أرسل جيشه الى نواحي تازا (4) فاستباحها واستبق مزارعها ثم عاد الى تلمسان

لم يكتف أبو حمو بمواجهة بني مرين فقط بل وجه أيضا جيشه نحو حدوده الشرقية فقد خرج من تلمسان متوجهـا الى بجاية فهاجم في طريقه بني توجين ومغراوة ، كما استولى على امارة مليانة التي انفصلت عن الدولة الزيانية تحت امارة محمد بن يوسف وهو من أفراد الأسرة الحاكمة ، كما استولى على مدينة الجزائر ، التي كانت تشكل امارة صغيرة بقيادة ابن علان ، وذلك سنة (712هـ/ 1312) ثم حاول الاستيلاء على امارة بجاية فوجه جيشه اليها سنة(715هـ/ 1315) فحاصرها الا أنه فشل في السيطرة عليها ، لأن الاختلاف الذي حدث بين قادة جيوشه حال دون ذلك (5)

أما ابنه أبو تاشفين الأول (718 ـ 737هـ / 1318 ـ 1337) (6) فقد اتفق

---

1 ـ عن زغبة : انظر العبر ، مج 6 ، ص 85 ـ 111 الميلي : المرجع السابق جـ2، ص 151
2 ـ عن سويد : انظر العبر مج 6، ص 95 ـ 105، انظر ايضا الميلي ، المرجع السابق جـ ص 251
3 ـ عن الديلم : انظر العبر ، مج 6 ، ص 102
4 ـ تازا : معناها الصخرة وتقع شرق مدينة فاس بنحو 127كلم في منتصف الطريق المؤدي الى وجدة ، وتمتاز بموقعها الهام ، عنها انظر المغرب ، ص 142 .
5 ـ العبر ، مج 7 ، ص 213، انظر ايضا حاجيات ، المرجع السابق ، ص 17، الجيلالي المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 146
6 ـ هو عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول كان في الخامسة والعشرين عندما تولى الحكم بعد مقتل ابيه سنة (718هـ/ 1318) ، ومن ابرز اعماله مد حدود دولته على حساب اراضي الدولة الحفصية ، كما شيد مجموعة من القصور والحد رسغالتاشفينية ، توفي (737هـ/ 1336) انظر العبر مج 7 ، ص 216 ـ 238 انظر ايضا الجيلالي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 147 ، الميلي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 379

الاخوان عبد الرحمن ، ويحيى بن خلدون على أنه كان يتسور من سنة بشارات على بجاية ، ولم يكتف بهذا بل تحالف مع ملوك قشتالة وجزيرة أيبريا لإستعمال أساطيلهما لضرب مدينة بجاية من البحر ، مما جعل الدولة الحفصية تتحالف مع بني مرين ضد بني زيان فأرسل نفس من السلطان عبد العزيز المريني ، وابنه أبي الحسن (1) رسائل الى أبي تاشفين البين منه وقف أعماله الحربية ، وعند ما رفض الطلب قاد السلطان المريني جيوشه ، وتوجه الى تلمسان فاستولى عليها سنة (737 هـ/ 1337م) بعد أن قتل السلطان الزياني ، والحسن بيده مدافعا عن دولته هو وأبناؤه

وأما الدور الثاني من عمر الدولة فقد بدأ بعودة الأميرين أبي سعيد عثمان وأبي ثابت من تونس بعد الهزيمة التي الحقتها القبائل العربية بالجيوش المرينية من القيروان (746 هـ / 1347م) وكان من نتائج وصول هذين الأميرين أن تمت أول بادرة اتفاق وسلام بين القبائل الزناتية ، مغراوة ، بني توجين ، بني عبد الواد حيث انطلقوا معا من القيروان ، وعند وصول بني توجين ومغراوة الى مضاربهما انفصلوا عن الأميرين ، الا أن هذا لم يقف حائلا دون اصرار أبي سعيد وأبي ثابت (2)

---

1 ـ وقع التحالف بين المرينيين والحفصيين سنة 730هـ/ 1329م) انظر: بغية الرواد جـ1 ، ص 218 ، انظر ايضا الفريحلي : المرجع السابق، جـ2، ص 156 الناصري ، جـ 3 ، ص 57

2 ـ السلطان أبو سعيد وأبو ثابت ، ابنا الأمير أبي زيد بن أبي زكرياء بن يحيى بن يغمراسن وقد تم نقلهما مع شيوخ بني عبد الواد الى تونس من قبل أبي الحسن المريني بعد سيطرته على الدولة الزيانية وحضرا معه معركة القيروان (746هـ/ 1347م) وقد تمت مبايعة أبو سعيد سلطانا للدولة الزيانية سنة (749هـ/ 1348م) حسب يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ 1 ، ص 236 ، وتوفي الأخوان سنة (753هـ/ 1352م) انظر : العبر جـ 7 ، ص 253 ، بغية الرواد : جـ 1 ، ص ص 236 ـ 237 ، أنظر ايضا : حاجيات : المرجع السابق ، ص 29

علـــــــــى مواصلة عطيهما من أجل اعادة احياء الدولة الزيانية من جديد خاصـــة وأن القوات المرينية كانت قد ضعفت نتيجة للمعارك التي خاضتها ، سواء ضد الزيانيـين أو الحفصيين أو القبائل العربية اضافة الى ذلك انتشار مرض الطاعون الذي فتك بعدد هام من قادة الدولة ، وكذلك الخلافات التي قامت بين السلطان أبي الحسن وأبنائـه (1) والتي استغلت من طرف الزيانيين ، وبالرغم من التفاف عدد كبير من عرب السويـــــد والديالم ، والعطاف ، وحصين بقيـــادة ونزدار السويدي ومن التف حوله من عـــرب الشمالية فزحف بهم الى تلمسان ، والتقى بقوات بني عبد الواد ، و لفائهم من عرب بني عامر بقيادة الأمير أبي ثابت الزياني ، فانهزمت القوات المرينية وقتل الناصر (2)

وبعد احياء الدولة الزيانية من جديد عاد الصراع مع القبائل وعلى الخصـــوص المغراويين حيث تحولت الصداقة الى عداوة ، ويرجع ذلك الى عاملين أساسيين :

أولهما : أن قبيلة مغراوة التي تحالفت مع أبي ثابت وأبي سعيد بعد عودتهما مــــن القيروان لم تتمسك بالحلف الذي ربطها بالدولة الزيانية ، وأول عمل لنقض ذلك التحالف انها رفضت مساعدتها خلال الصراع الذي وقع بينهما وبين القبائل العربية حليفة بني مرين (3)

ثانيهما : يتمثل فيما وقع لأحد أبناء قبيلة بني عبد الواد أثناء اجتيازه مضارب مغراوة

---

1 ــ قبل مواجهة الزيانيين أنصار السلطان المريني أبو الحسن من القبائل العربيـــة تحصل أبو سعيد على حمليين من الذهب من أبي عنان ، انظر بغية الـــرواد ، ج 1 ، ص 242 ، انظر : يحيى بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 127

2 ــ العبر : مجا 7 ، ص 246 ــ 247 ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحســـن في مآثر ، ومحاسن مولانا السلطان أبي الحسن ، تحقيق ، ماريا خيسوس فيغيرا الجزائر ، 1401 ــ 1981 م ، ص 200

3 ــ العبر ، مجا 7 ، ص 250 ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 236 ، انظر التنسي : نظـــم الدر والعقيان : تحقيق الدكتور بوعياد ، لنيل شهادة الدكتوراه ، ا حلقـــة الثالثـــة ، الجزائر ، 1968 ، ص 208 ــ 214

بمنطقـــة الشلف بعد عودتــه من تونس، وأثناء مروره بمازونـــة قتل معاجعـــل ابن خلدون يعتبره السبب الرئيسي في خروج أبي ثابت سنة (751 هـ / 1350م) (1) عندما علموا بتحركاته اعتصموا بالـ بســال القريبة من مدينة تنس، فلم يحاول مطاردتهم بل ارتحل عنهم لئلا ستيدء على مدنهم، فاستولى على برشك وشرشال ومليانة ثم زحف الى متيجـــة فاستولى على مدينة الجزائر، ثم عاد الى مهاجمة المغراويين فاعتصم علـــي ابن راشـــد وقومه بتنس فحاصره أبوثابت أياما ثم اقتحم المدينة في 16شعبان 752هـ/ 1351م، وقبض عليه وسجنه لأن علي المغراوي لم يتحمل مذلة الهزيمة فذبح نفســـه بسيفـــــه (2)

فالملاحظ على هذه الحركة التي قام بها أبوثابت أنها سمحت له باسترجاع نفـــوذ الدولة السابق بالمغرب الأوسط والتخلي عن الولاء والتبعية للدولة المرينية، ونســـتذا نستخلصه من خلال رده على رسالة من السلطان أبي عنان معرفا له بوفاة والده وشافعـــا عنده لمغراوة في الابقاء عليهم، فلم يقبل شفاعته، وبهذا تكون الفترة قد عرفت تطـــورا في شكـــل سيادة الدولة اذ أصبحت لا تذكر على المنابر غير سلطانهــــا (3)

---

1 ــ منطقة الشلف: هو البسيط الممتد بين مدينة مستغانم وجبال الأطلس الصحراوي، ويجتازه وادي الشلف الذي يعتبر من أكبر وديان الجزائر، عنه انظر التعريـــف بابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا، تحقيق ابن تاويت، 1951، ص 29، وأنظر أيضا، حليمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر، ط 2، 1968، ص 57

2 ــ العبر: مجا 7، ص 251، وأنظر أيضا حاجيات: المرجع السابق، ص 29 ــ 30، يعلق ابن خلدون عن هذه الحروب التي وقعت بين بني عبد الواد ومغراوة فيقول: افترقت مغراوة من بعده وصارت أوزاعا في القبائل، انظر العبر مجا 7، ص 251

3 ــ بغية الرواد، ج 1، ص 244 ــ 245، وانظر أيضا بوزياني الدراجي: تطور نظام الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقـــة، الجزائر، 1981، ص 54

وأما الطور الثالث فيبدأ بعودة السلطان أبي حمو موسى الثاني الى احياء الدولة من جديد، منتهزا فرصة الصراعات التي تخبطت فيها الدولة المرينية بعد وفاة أبي عنان 27 ذي الحجة 759هـ/ 30 نوفمبر 1358م (1). فسعى الى استعادة أملاك آبائه من المرينيين، واستعان في هذا المجال بالعرب خاصة أولاد عثمان بن سباع من الدواودة (2) وعرب بني عامر فانطلق مع هؤلاء من أراضي الدولة الحفصية حتى وصلوا الى وادي المغصين، فالتقى أبو حمو موسى الثاني وحلفاؤه من العرب مع حامية تلمسان المرينية فانهزمت ولاذت بالفرار الى تلمسان محتمية بأسوارها وذلك في 25 صفر 760هـ/ 25 جانفي 1359م ثم حاصر العاصمة وتمكن من السيطرة عليها في ربيع الأول 760 هـ/ فبراير 1359م بعد أن استسلمت الحامية المرينية الموجودة بداخلها (3)، الا أنه لم ينعم بهذا الانتصار حيث ارسل بنو مرين جيشا بقيادة مسعود بن رحو الذي تمكن من استعادة المدينة، الا أن السلطان الزياني استعاد مدينته من جديد بعد انتصاره على مسعود بن رحو في معركة أنجاد (4)

---

1 ـ ابن خلدون : العبر، المصدر السابق مجا 7، ص 621 أنظر أيضا رضوان محمد رضوان المرجع السابق، ص 46

2 ـ الدواودة : قبيلة عربية كانوا مستقرين بنواحي قسنطينة، وبجاية، والزاب، وريغ وورجلان، وقد تحالف أولاد سباع مع يغمراسن بن زيان انظر العبر: مجا 6، ص 72

3 ـ بغية الرواد، جـ2، ص 28 ـ 30، العبر، مجا 7، ص 256 ـ 257، أبو حمو موسى بن يوسف : واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، طبعة الدولة التونسية، 1279 هـ/ 1862، ص 13 ـ 14، أنظر حاجيات : المرجع السابق، ص 88 ـ 89 وانظر ابن الخطيب : نفاضة الجراب، تحقيق العبادي، بدون تاريخ ص 25 ـ 220، العبر، مجا 7، ص 302

4 ـ ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة نشرها عبد الله عنان، القاهرة، جـ 1، ص 308

أما السلطان المريني أبو سالم فقد نهض هو الآخر سنة (761هـ/ 1360م) بجيوشه وتوجه نحو تلمسان ففر منها أبو حمو، وتوجه نحو الصحراء فدخلها أبو سالم

أما بالنسبة للمناطق الشرقية من دولته فكان الوضع السياسي في عهد أبي حمو موسى الثاني أبعد ما يكون عن الاستقرار آنذاك، لأنه لم ينجح في معظم محاولاته لبسط سلطته على كل أراضي الدولة والقضاء على منافسيه (1)

فالصراع بين السلطان الزياني، وابن عمه أبي زيان القبي كان سببا قويا في ضعفه لأنه جعل أبا حمو يخوض غمار حرب في بيئة سياسية مضطربة، ويلقي بنفسه في عمليات مغامرات لم تؤد الى الأهداف المرجوة، ومن بين نتائجها هزيمته في معركتي البطحاء وبجاية (767هـ/ 1366م) (2)

كما أن تعاونه مع بني عامر قد أدى الى اشتداد التنافس بين هؤلاء وسويد الذين وقفوا هم الآخرون الى جانب أعدائه (3) وبذلك زاد في خطورة الوضع بالمنطقة

ومما زاد في خطورة الوضع خروج الأمير أبي تاشفين عليه، ويعتبر هذا من أنشط أبنائه في قيادة الجيش، ويذكر بعض المؤرخين، ومن بينهم عبد الرحمن بن خلدون: أنه أعلن الثورة ضد أبيه عندما حاول هذا الأخير نقل أخيه أبي زيان من المدية الى وهران، مما جعل أبا تاشفين يغضب لهذا التعيين، ويرفضه طالبا من أبيه أن يعينه مكان أخيه في هذا المنصب بالرغم من موافقة الأب على ذلك فان الابن قام بثورة ضد أبيه وتحالف مع أعدائه من بني مرين الذين أرسلوا له جيشا

---

1 ـ بغية الرواد : ج2، ص 308، العبر، مج 7، ص 268 ـ 292، انظر ايضا حاجيات : المرجع السابق، ص 30 ـ 31

2 ـ بغية الرواد : ج 2، ص 150 ـ 198، العبر، مج 6، ص 101 ـ 102
أنظر أيضا حاجيات : السلطان ابو حمو موسى الثاني، حياته وآثاره، مقال بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع 9، سنة 1970، ص 44

3 ـ العبر : مج 6، ص 101 ـ 102، بغية الرواد، ج 2، ص 205 ـ 208

بقيـــادة أبي فارس، فتمكن من اقتحام تلمسان سنة (791هـ/ 1389م) ففر أبو حمو منها، وبعد ذلك قتل من طـــرف الموالين لابنه أبي تاشفين (791هـ/ 1389م)(2)

وقد تميز هذا الطور الأخيـــر من حياة الدولة الزيانية بضعف كبيـــر، فلو نظرنا الى الدولة الزيانية منذ أواخر عهد أبي حمو موسى الثاني (760هـ/ 791 – 1359–1389م) لوجدناها قد تفاقمت فيها المشاكل بسبب التكالب على السلطة حيـــث وقف أبو تاشفيـــن الثاني في وجـــه أبيه معتمدا على أعدائه من بني مريـــن حيث تمكن من القضـــاء عليه، أوقع الدولة في مأزق حيث عادت خاضعة في سلطتهـــا لبني مريـــن

أما الحفصيون فانهم سلكوا طريقا عكس بني مرين، حيث تكررت غاراتهم على الدولـــة نتيجة لتداخلهم في شؤونها الداخلية، الا أن بني حفص قد تقربوا من بعض أمـــراء الدولة فأيدوهم مقابل الدعاء على المنابر لأمير المؤمنين من بني حفص(3)

---

1 – يطلق المؤرخون على يوسف اسم يوسف ابن الزابية وهذه التسمية نسبة الى أمه لأنها ابنة يحيى الزابي، ومن بين أبناء أبي حمو موسى الثاني أبو تاشفين أكبر أولاده، والمنتصر وأبو زيان وعمر، وكان أبو تاشفين والاخوة الثلاثة الآخرون من أم أخرى، وقد تولى منهم المنتصر على ناحية مليانة واعمالها، وولى أبا زيان على المدية وولى يوسـف على تدلس، ثم عمل على نقل ابنه أبي زيان من المدية الى وهران، انظر العبر مج 7 ص 291

2 – العبر: مج 7، ص 305، بغية الرواد، ج 2، ص 313، نظم الدر والعقيان ص 336، أنظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية، مج 2، مقال عن أبي تاشفين الثاني ص 319، انظر ايضا القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص 202، السلاوي: المرجع السابـــق، ج 4، ص 76

3 – العبر، مج 7، ص 306، الاستقصا، ج 4، ص 76
من الملوك الذين أيدهم الحفصيون أبو العباس العاقل (834هـ/ 1430م) وأبو ثابت بن قلموس الملقب بالمتوكل على الله، انظر التنسي: ص 360

ومن ناحيـــــة أخرى فانه بعد مقتل السلطـــان أبي حمو موسى الثاني أصبـح كل أمير زياني يريـــــد الوصول الى الحكم يترتب عليه تنحية السلطان الحالي وازاحته عن الحكــــم

وتفشت هذه الظاهرة منذ العقد الأخير من القرن الثامن الهجــري / الرابع عشر الميلادي ، فأبو الحجاج يوسف بن أبي حمو موسى الثاني (796هـ/ 1394م) قتل أبا ثابت بن أبي تاشفين الثاني (796هـ/ 1394م) ووصل الى الحكم الا أنه تلقـــى نفس المصير من قبل أخيــــه (1) أبي زيان سنة (796هـ/ 1394م) (2) وبمساعدة بني مرين ، ومنذ سنة (834هـ/ 1431م) الى (890هـ/ 1485م) أخذت الدولة تتماسك شيئا نسبيا فلم يجلس على كرسي الحكم سوى سلاطين فقط هما أحمد بن زيان (834هـ/ 1431) (3) ومحمد بن أبي تاشفين الثاني 827هـ 831هـ/ 1424ـ1428 (4)

ثم عادت الدولة بعد فترة الهدوء هذه الى دوامة التيارات التنازع على السلطة لتغيير من جلس على كرسيها منذ سنة (890هـ/ 1485م) حتى سنة (957هـ/ 1550م) مايقرب من اربعة عشر أميرا ، ولاشك أن كثرة التغيير في السلاطين تدل دلالة قاطعة على ضعف الدولة الزيانية وأنها ماضية الى الانهيـــار

---

1 ـ أبو زيان محمد بن أبي حمو الثاني المعروف بابن الزابية تولى الحكم سنتي (795 هـ / 1393م) الى (796هـ/ 1394م) انظر العبر : ج7 ، ص307ـ308

2 ـ نظم الدر والعقيان : ص286

3 ـ وهو الذي قام بخزانة الجامع الأعظم ووقف عليها الأوقـــاف ، انظر التنســي ص331

4 ـ تميزت هذه الفترة بنوع من الاستقلال المطلق خلال حكم السلطان أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو موسى الثاني الذي اعتلى سرير الحكم في تلمسان سنـــة (814هـ/ 1411م) فانتزع المناطق الشرقية كذلك استولى على تونس ونصب عليها حاكمـــا مؤيدا لدولته ، عنه انظر التنسي : نظم الــدر والعقيـــان ، ص167

والى جانب الصراعات الداخلية وجدت أخطار خارجية كان لها دورها في انهيار الدولة ، حيث ظهر الاسبان فرسوا أرضا خصبة يبذرون بها بذور أطماعهم فقد أخذ الاسبان يخططون لتنفيذ أطماعهم ، فما أن حل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حتى كانوا على أهبة الاستعداد لمهاجمة موانئ الدولة الزيانية وبدأوا في تنفيذ مخططهم سنة (911 / 1505م) عندما هاجموا ميناء وهران والمرسى الكبير واستبكوا مع مسلمي المدينة في معارك طاحنة تم لهم بعدها احتلالها (1)

وفي سنة (915هـ / 1509م) أبحرت حملة اسبانية أخرى تجاه المغرب الأوسط تمكنت من السيطرة على شرشال ودلس، وفي الوقت الذي هاجم فيه الاسبان سواحل الدولة الزيانية كانت سلطة سلاطينها في ضعف مستمر نتيجة للتطاحن على الحكم ولذا لم يستطع أبو حمو الثالث (909هـ / 923هـ / 1503 1517م) رد العدوان الاسباني على البلاد ، وبذلك أوقع المغرب الأوسط في مشكلة كبرى حينما وضع نفسه في احضان اسبانيا وأدى لها ضريبة سنوية (2)

لم يرض السكان عن سياسة أبي حمو واتهموه بخيانته للاسلام واحتمائه بالنصارى واثقاله كاهل الناس بالضرائب فاستغاثوا بالاتراك لصد الزحف الاسباني ، وطلبوا النجدة (3) من الأخوين عروج وخير الدين ، فكان عليهما ارضاء الأمة الزيانية بازاحة أبي حمو الثالث

---

1 ـ الزيلاني : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 198 ، الميلي : المرجع السابق ، جـ 2 ص 386

2 ـ مؤلف مجهول : غزوات عروج وخير الدين ، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1320 ورقة 20

3 ـ يحيى بوعزيز : المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية مقال بمجلة الاصالة ، ع 26 سنة 1975 ، ص 136 ، وانظر مولاي بلحميسي نهاية دولة بني زيان ، مقال بمجلة الأصالة ع 26 سنة 1975 ، ص 137

عن الحكـــم ، وقد التجأ الى وهران طالبا النجدة من الاسبان، وتولى العـــرش (1) بعد أبي زيان احمد سنة (928هـ/ 1512م) (2). بمساعدة الاتراك ان القوة الاسبانية (3) لم تقف مكتوفة الأيدي أمام تدخل الاتراك في شؤون الدولة ، لذلك أرسلت اسبانيا امدادات قوية لم يسبق لها مثيل في حملاتها ضد أراضي الدولة الزيانية

ومن هنا يتبين لنا أن من أبرز العوامل التي أدت الى سقوط الدولة الزيانيـــــة

أولا : الظروف الداخلية التي لم تكن تسمح بقيام دولة قوية

ثانيا : صراعها مع الدول المجاورة مما جعل الدولة الزيانية تظل طيلة حياتها محصـــورة مهددة على الدوام من جيرانها تخضع أحيانا للحماية والاحتلال

ثالثا : واجهت الدولة الزيانية صراعات داخل الأسرة الحاكمة منها الصراع بين السلطان أبي موسى الثاني ، وأبي زيان ابن السلطان ابي سعيد والخلاف الذي دب بين أبي تاشفين ، وابيه السلطان ابي حمو ، وتلك الصراعات التي عاشها البلاط بعد هذه الفترة الحرب ومقاومة الاتراك للاحتلال الاسباني ومحاولة كل منهما السيطرة على أملاك الدولة الزيانيـــــة

بعد أن قدمنا هـــــذه المقدمة التاريخية السياسية واستعرضنا فيها الأطـــــوار التي مرت بها الدولة الزيانية نلاحظ انها قد أخذت في عمق التاريخ فترة زمنية بلغـــت ثلاثة قرون ، وهي بهذا الاعتبار تعتبر فترة قياسيـــة اذا قسناها باعمار الدول الاسلامية التي قامت في المغرب فهي أطول من مثيلاتها في المغرب الاسلامي كدولة الرستميين والمرابطين والموحدين ، كما أنها كانت ابعد أثرا في وضع الملامح الاساسية للمغرب الأوسط (الجزائر) كما أنها من حيث الاطار الزمني قد مرت في مراحلها التاريخية بنفس الأطوار المعروفة بالدورة التاريخية لقيام الدولة وسقوطها فهي حسب نظرية ابن خلدون قد مرت بفترة الصبا والشباب .

---

1 ـ لمؤلف مجهول : المصدر السابق ، ورقة 23 انظر أيضا توفيق المدني : تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين ، مقال بمجلة الأصالة ، ع 26 ، 1975 ، ص 34

2 ـ لمؤلف مجهول : نفس المصدر ، ورقة 26

3 ـ توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، 1492 ـ 1792 ، الجزائر ص 533

الباب الأول : الحيـــــــــــاة الاجتماعيـــــة

================================

الفصل الأول : عناصـــــــر السكـــــان

الفصل الأول : عناصر السكان

المدخل

يصعب على الباحث تحديد الخريطة السكانية للدولة الزيانية وذلك لعدة أسباب جوهرية :

أولها ، ان هذه الدولة كانت في حركة مد وجزر مستمر بسبب كثرة توسعها على حساب جيرانها وخصوصا في الشرق ومايقوم به خصومها الاقوياء من بني مرين من هجمات على اطرافها الغربية (1)

ثانيها ، حركة القبائل وهجرتها داخل الاطار السياسي للدولة ، ويتبين هذا بوضوح من خلال وصف أراضي الدولة الزيانية من قبل الحسن الوزان الذي أشار الى فراغ مجموعة من المناطق من سكانها كالاراضي المحيطة بمدينة البطحاء (2) وشرشال (3) ومستغانم (4) وتنس (5)

ثالثها ، الصراع القبلي الذي كان قد اشتد آنذاك لأسباب داخلية وأخرى خارجية فعلى سبيل المثال نلاحظ أن فروع زناتة كبني توجين ومغراوة اللتين كانتا تقومان باضطرابات متواصلة ضد الدولة حيث وقفتا الى جانب أعدائها من المرينيين والحفصيين وانخرطتا في صفوف جيوشهما خلال اغارتهما على اراضيها (6) ، وهذا ما دفع

---

1 ـ بغية الرواد ، ج1 ، ص ص 212 ـ 204 ، العبر ، مجلد 7 ، ص ص 196 ـ 201
الاستقصا ، ج 3 ، ص ص 118 ـ 119 وانظر أيضا حاجيات : السلطان أبو حمو موسى الثاني ، حياته وآثاره ، مقال بمجلة تاريخ وحضارة المغرب ، ع 5 / 1970 ص 29

2 ـ وصف افريقيه ، ص 497

3 ـ نفسه : ص 405

4 ـ نفسه : ص 411

5 ـ نفسه : ص 486

6 ـ العبر ، مجلد 7 ، ص ص 213 ـ 215 ، الاستقصا : ج 3 ، ص 69

سنذكرها الى حين غارات دفترا لقبائل ... بعض بطونها الى الهجرة

توزيـــع السكـــان :

ويبدو ربنا زال القاعدة أن نتوقف أن يكون توزيع السكان داخل المجتمع الزيانــي على أساس عرقي فعلى الرغم من ملاحظاتنا تواجد عناصر ونسبيات عديدة داخل الحسن الجغرافي لأراضي الدولة الزيانية فاننا نجد أن العنصر البربري من السكان الأصليين والعنصـــر العربي على ... عنصر السكان ، ويأتي في الدرجة الثانية العنصر العربي وبالاضافة الى ذلك فاننا نلاحظ وجود جاليات من الأندلسيين والسودان الغربـــي واليهود ، والنصارى

القبـــائل البربريـــــة :

اختلف النسابون في أصل البربر فقال السهيلي (1) والمسعودي (2) والقضاعي (3) هو واحــد بربر بن كنعان بن حام ، وقال الطبري مثلـــه وورد أيضا أنهم من ولد بربر بن نفسان بن ابراهيم الخليـــــل (4) (ص)

---

1 ـ ابوزيد عبد الرحمن بن احمد بن ابي السهيلي : ت 581هـ/ 1192 ،
انظر ابن فرحون الذيباج المذهب في أعيان المذهب ، ط1 ، القاهرة 1929 ، ص220
وانظر ايضا ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 181
ياقوت الحموي : معجم البلدان : دار صادر ، ج 5 ، ص 147 ـ 149
2 ـ الزركلي خير الدين : الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجـــال والنســـــاء
من العرب والمستعربين والمستشرقيـــن ، الطبعة الثانية ، ج 5 ، ص 89
أنظر ايضا بغية الرواد ، ج 1 ، ص 181
3 ـ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ت 454
أنظر السبكي ، طبقات الشافعية ، تحقيق الطناحي ، القاهرة 1963 ، ج4 ، ص63
ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت 1971
4 ـ مروج الذهب ومعادن الجوهـــــر : طبعة بولاق ـ الطبعة الحديثـــة
المصـــورة منها ج 2 ، ص 94 ـ 96

وقال الصولي هو ولد بربر بن اسلام بن بربر بن مصرائيم بن حام، وزعم[1] بعض المؤرخين أنهم من ولد سام بن نوح عليه السلام، ثم اختلفوا فقالت فرقة هم ولد بربر بن تملا بن مازين بن كنعان بن عمرو بن عملاق بن لاود بن سام، وعلى هذا القول الأخير يعدون من العمالقة.

وقال مالك بن المرحل: البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعماليق وكنعان وقريش تألفوا بالشام ولغطوا فسماهم افريقش بن قيس البربر لكثرة كلامهم.[2]

واختلف الناس أيضا في سبب خروجهم الى المغرب فذهب المسعودي، والطبري والسهيلي الى أن افريقش بن قيس بن صيفي هو الذي استقدمهم لغزو افريقية وسماهم البربر.

وذهب البكري الى أن بني اسرائيل هم الذين أخرجوهم عند قتل داود عليه السلام[3] جالوت ملكهم المذكور في القرآن، وقال ابن قتيبة هو جالوت بن جالود بن ديال بن قحطان[4] بن فارس، وذكر ابن خلدون أن جالوت اسم ملكهم ويقال انه وجالود بن جريس بن طاريس بن قيس بن عيلان بن مضر[5]

---

1 ـ ابوبكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي، ت 335هـ/ 946م، انظر الزركلي الاعلام، جـ 8، ص 4، كحالة عمر رضا تراجم مصنفي الكتب العربية مكتبة المثنى بيروت، جـ 2، ص 105
بروكلمان تاريخ الادب العربي، ترجمة النجار، جـ 3، ص 51 ـ 54
انظر ايضا زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص 81

2 ـ عن افريقش انظر، مروج الذهب، جـ 2، ص 13
ابن خلدون عبد الرحمن العبر مجـ6، ص 176 ـ 177، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، تحقيق محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، 1962، ص 495

3 ـ أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب البكري ت 487هـ/
انظر ابن بشكوال: كتاب الصلة مراجعة عزت العطار الحسيني، مكتبة المثنى، بغداد 1374هـ/ 1955م، رقم الترجمة 633، ص 287، الزركلي: الاعلام، جـ4، ص 223، كحالة نفس المرجع، جـ 6، ص 76

4 ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة 276 هـ/ 889م، عنه انظر، بروكلمان: تاريخ الادب العربي، جـ 1، ص 221 ـ 230

5 ـ ابن خلدون يحيى: بغية الرواد، جـ 1، ص 179

هذه هي أغلب الروايات التي تناولت البربر ، ومن بين المؤرخين الذين تناولوا (1) هذه النقطة استاذنا الدكتور لقبال الذي يرى بأن دور العرب المسلمين في اطلاق اسم البربر على سكان المغرب الاسلامي لا يتعدى تبني مصالح جامع لدى السكان محاكاة لمن سبقوهم في المنطقة ، ولكن من خلال دراستنا للكتب المغربية التي تعرضت للموضوع نلاحظ أن نسابة البربر قد استساغوا الكلمة وأخذوا بها وأقروها في نسبتهم علما أن هذه الكتب لم توضع الا في العهود المتأخرة ، حيث تردد صداها فيما دونه المؤرخون المسلمون منذ حركة التدوين في المغرب الاقصى تلك الحركة التي كان رائدها أبو القاسم الزياني ت (1249هـ/ 1809م) (2)

ومن اشهر نسابة البربر الذي تناولهم ذلك المؤرخ الرحالة المغربي سليمان بن اسحاق المطماطي (3) وكذلك تاريخ العتباني عن بني زيان وابن مرزوق صاحب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا السلطان أبي الحسن

بالاضافة الى بعض الفقرات لمحمد بن يوسف الوراق وابن حزم وابن عذاري وابن عبد الحكم الذي يظن أنه صاحب الانساب والذي اختيرت منه نبذة عن مفاخر البربر وابن خلدون (4) والسلاوي (5)

---

1 ـ لقبال : المرجع السابق ، ص 48
2 ـ الترجمانة الكبرى في اخبار المعمورة برا وبحرا ، ص 144 ، نشر دار الفيلالي الرباط 1967 ، انظر أيضا لقبال : نفس المرجع ، ص 49
3 ـ ابن مرزوق : المسند الصحيح ، الحسن ، ص 107 ـ 113
4 ـ ابن خلدون : العبر ، م 7 ، ص 5 وما بعدها وص 61 ، ص 178 ـ 179
5 ـ السلاوي : الاستقصا ، ج 1 ، ص 36 ، انظر أيضا ، شارل أندريه جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى ، ترجمة محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1978 ، ج 1 ، ص 67

والملاحظ أن كلمة البربر أستهوت الباحثين المحدثين في المشرق والمغرب وترددت كثيرا مع أن مقابلها كلمة أمازيغ ومشتقاتها التي تطلق على البربر بالبادية وتحضن الحضرية لم تحظى بهذا القدر من الاستعمال

وان كلمة البربر قد تعني الغالبية على سكان المغرب الأقدمين اعتمادا على الروايات السابقة التي ذكرناها من قبل ، بالاضافة الى ما أورده بعض المؤرخين الأوروبيين عن أصل الكلمة وقالوا بأنها يونانية أو لاتينية وأن الاغريق اطلقوها على الشعوب الرومانية المتوحشة الذين اشتهروا بالتخريب للحضارة والعمران في كثير من ولاية الامبراطورية الرومانية الغربية والشرقية ومن ضوء لاء الوندال الذين مارسوا أسلوبا غير انساني مع سكان شبه جزيرة ايبيريا والمغرب الاسلامي (شمال افريقيه) وبعد انتزاع الوندال من شمال افريقية حيث سيقوا الى القسطنطينية في عصر جستنيان بقيت كلمة البربر في ذاكرة التاريخ منسوبة لغير أهلها (1)

---

1 ـ امين واصف : الفهرست والخريطة التاريخية للممالك الاسلامية
ص 16 ـ 17 انظر ايضا سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى
ج1 ، الطبعة الثانية ، 1961 ، ص 65 ـ 66 ـ 89
انظر ايضا لقبال : المرجع السابق ، ص 52
عن انساب البربر واختلاف رأي النسابة ، انظر الطبري : تاريخ الرسل والأمم
والملوك : تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ـ مصر 1960 ، ج1 ، ص 106 ،
ابن خلدون عبد الرحمن : تاريخ الدول الاسلامية ، ط دي سلان ،
ج1 ، ص 115 ـ 117 ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص 461 ، ابن حوقل
صورة الأرض ، ص 97
اليعقوبي : البلدان ، ط 3 ، النجف 1377هـ / 1957 ، ص 97
ابن منصور : القبائل المغربية
انظر ايضا : سعيد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 28
لقبال : نفس المرجع ، ص 53

وقد كان الاعتقاد عند المؤرخين المسلمين في بعض الأحيان على سيرة الأنساب الواردة في التوراة ، وانه بدا لبعض المتأخرين من المغاربة كالمؤرخ ابن المرحل أن يوافق بين هذه الآراء ، وأن البربر خليط من عدة أجناس ما بين سامية وحامية

ويرى الدكتور القبالي أن الباحثين أجمعوا أن البربر بحث عقيم اللهم الا اذا كان البحث يدرسون نوع السلالات والشعوب التي اتصلوا أو اختلطوا بالمنطقة والتي امتزجت بهما ، واندمجت مع السكان الأصليين ، وأن ما ذهب اليه بعض الدارسين الانثروبولوجيين حول موضوع أصل الانسان في شمال افريقية ، وأن أهم سمات هذا الانسان الشعر وبروز الأنف ، وسواد العيون واعتدال القامة (1) لا تختلف كل هذه الصفات على المجموعة التي تميز بها الانسان في حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوب آسيا ، واذا كانت المنافذ التي من الممكن أن تكون طريقا للهجرات على الصحراء والبحر هي باب المندب وبرزخ السويس وسينا ومضيق جبل طارق ، ومعنى ذلك أن امتزاجا حدث بين الساميين والحاميين عن طريق التزاوج والاختلاط ، وهذه السمة هي الغالبة مع اختلاف العصور وخصوصا في المناطق الحساسة من العالم مثل حوض البحر المتوسط (2).

وقد تفرعت القبائل البربرية الى مجموعتين أساسيتين : البرانس ، وهم مستقرون بالقرى الساحلية والبتر وهم منتشرون في السهول ، والبتر يتميزون بالرحلة ، وينتشرون بالمناطق التلية والسهوب (3)

---

1 ـ شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ج1 ، ص67 ـ 68

2 ـ دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، ج1 ، ترجمة حسن حبشي ، كامل محرز ومختار العبادي ص 140 ـ 141 ، القاهرة 1963 ، ماجد عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج 1 ، 226.

3 ـ ابن منصور : القبائل العربية ، ج 1 ، ص 223 وما بعدها ، انظر أيضا ، القبائل ، نفس المرجع ، ص 54 ، شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 166 وما بعدها ، حليمي عبد القادر ، جغرافية الجزائر ، ص 223

ومن أبرز القبائل البربرية خلال فترة موضوع البحث كتامة وزناتة (1) وتقطن بالمغرب الأوسط ، ومعنى ذلك أنها داخلة في الاطار الزمني ... يقول ابن خلدون : ان المغرب الأوسط ينسب اليها ويعرف بها فيقال وطن زناتة وهي أقوى القبائل البربرية البترية عدة وعددا وتنتسب الى مادغيس الأبتر (2) والادريسي يرى أنها تنسب الى جانا بن دغس ، وهو جالوت الذي قتله داود عليه السلام ، ومعنى ذلك أنه يرى أنها تعود في أصل نشأتها الى العرق الكنعاني من العمالقة (3) ، ويتفق معه أبو الفداء في نسبتها الى العرب ، ويرى بأنها عدنانية أو قحطانية (4)

وأهم مناطق سكنى زناتة هي وهران وتلمسان ومعسكر الى تيهرت ، ويمكن تحديد مضاربها من تلمسان غربا الى نهر شلف شرقا ، ومن ساحل شرشال ، ووهران

---

1 ـ العبر : مج 7 ، ص 203 ـ 204 ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص 95 ، دور قبيلة كتامة ، ص 62 ، مرمول محمد الصالح : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، الجزائر 1983 ، ص 156 ـ 162 انظر أيضا

- E.I.T.C. Art. Ketama p. 909.

2 ـ العبر : مج 7 ، ص 178 ، الميلي : تاريخ الجزائر ، ج 2 ، ص 171

3 ـ الادريسي : المصدر السابق ، ص 61 ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ج 1 ، ص 97 .
الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ص 125

4 ـ الادريسي : نفس المصدر ، ص 98 ، انظر ايضا الميلي ، المرجع السابق ج 2 ، ص 171 ، ابن حزم ، نفس المصدر ، ص 495
القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 1 ، ص 162 ، ابن خلدون : العبر مج 7 ص 4 انظر ايضا ، محمد الصالح مرمول : المرجع السابق ، ص 178

شمالا الى تيهرت مغربا (1) ، وقد كانوا ينوبون بالمراعي بين التل والسهوب والواحات الصحراوية ، ويتنقلون من أغدامهم في المغرب الأوسط حتى المغرب الأقصى غربا ووزعهم ابن خلدون الى قسمين :

الأول ، جراوة (2) بالأوراس الذين كانوا تحت قيادة الكاهنة خلال الفتوحات الاسلامية للمغرب وبني يفرن (3) ومغراوة (4) وبني ورانوا (5) وبني يلومي

وأهمها مغراوة التي كانت تحت قيادة بني خزرون في القرنين (الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين) وكانوا متمركزين بالسهول الغربية المغرب الأقصى وحوض الشلف ، كما تواجدت مضارب بني يعلى في تلمسان ، وبني خزرون في سجلماسة (6) ، وتعتبر من أقوى القبائل الزناتية ، خاصة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) حيث تمكنت من تحطيم حركة التوسع الفاطمي نحو المغرب وكان هذا بقيادة آل الخزر

وخلال الفترة موضوع البحث برزت الى الوجود أسرة أولاد مندبل (7) الذين أسسوا

---

1 ـ الاصطخري : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العالي ، بدون تاريخ ص 36 ، الادريسي : صفة المغرب ، ص 36
ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ، ج ، س كولان ، وليفي بروفنسال ، بيروت ، 1967 ج 1 ، ص 200
لقبال : المرجع السابق ، ص 59 ، محمد العالي مرمول : نفس المرجع ص 178
بن عميرة : المرجع السابق ، ص 126

2 ـ عن جراوة : انظر العبر ، مج 4 ، ص 159 ، انظر أيضا الميلي ، ج 2 ، ص 172

3 ـ العبر ، مج 7 ، ص 135 ، لقبال : المرجع السابق ، ص 59 ـ 60

4 ـ نفسه : مج 7 ، ص 134 ، البيان المغرب ، ج 1 ، ص ص 189 ـ 200

5 ـ نفسه : مج 7 ، ص ص 114 ـ 119 ، الميلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 174

6 ـ نفسه : مج 4 ، ص البيان المغرب ، ج 1 ، ص 200 ، الجيلالي ج 2 ، ص 256

7 ـ نفسه مج 7 ، ص 131 ، انظر أيضا حاجيات : أبو حمو موسى الثاني ، مقال بمجلة تاريخ وحضارة المغرب ، ع 5 ، السنة 5 ، 1978 ، ص 16 ـ 26 ، الميلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 349

لهم امارة بناحية الشلف ، في نفس المنطقة التي كانت تنتشر فيها مغراوة منذ قرون عديدة ، وبعد أن تمكن بنو مندين بنو الذي ملك شلف بعد أن تقلص نفوذ الدولة الموحدية ، بعد معركة العقاب ، وبلدوا جبل الونشريس والمدية ، ثم أغاروا على متيجة تسيطروا عليها ، الا أنهم اصطدموا ببني غانية ، ووقعت معركة بين الجانبين قتل فيها منديل سنة (622 هـ/ 1224م)[1]

وكانت لهذه الهزيمة نتائج سلبية ، اذ وضعت حدا لتوسع منديين ، وقوة مغراوة وأرغمتهم على التخلي عن متيجة ، وأضعفتهم الى حد أنهم أصبحوا لا يقوون على الدفاع عن جبل الونشريس ، اذا زحف اليه بنو توجين ، وحتى المدية ، وبقي أولاد منديين ، منحصرين في منطقة شلف ، وأهم مدنها شرسال ، ومليانة ، وتنس الا أنهم في هذه الاثناء استطاعوا أن يقتطعوا مازونة في النهاية كما سنوضح ذلك في محله[2]

أما بنو ومانو ، وبنو يلومي[3] فكانا بين القبائل التي كانت تستقر بتلك المنطقة ، وفي مدينة البطحاء[4] ، وأراضي سيق وسيرات ، ومما يذكر أنهم كانوا على اتصال

---

1 ــ العبر : مجا 7 ، ص 134 ، الميلي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 369 ، الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، جـ2 ، ص148 دائرة المعارف م. 14 ، ص 360

2 ــ تأسست في العصور الوسطى من قبل المغراويين ، وقد لعبت دورا هاما من الناحية السياسية والدينية ، وانجبت مجموعة هامة من العلماء ابرزهم المغيلي

أنظر : - Lou Kil Manographie de Mazauna Alger 1912.

3 ــ بنو ومانو وبنو يلومي قبيلتان تنتسبان الى زناتة كانت مضاربهم بوادي الشلف ، أنظر العبر : مجا 7 ، ص 114 ، 119 ، أنظر أيضا الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 174

4 ــ البطحاء : كانت تقع بالمنطقة المحصورة بين الهبرة وسيق ، وبالتحديد ببلدية سيدي موسى القريبة من وادي مينا ، وقد كانت أطلالها موجودة خلال زيارة الحسن الوزان لها سنة 51 9هـ/ 1540م وانظر وصف افريقية ، ص 416

بسلطان الموحديـن ، وذلك منذ عهد عبد المؤمن الكومي (1) (545هـ/1154م) حيث كانوا يدفعون الضرائب لـه

الثـاني : أما الجنس الثاني فقد برز بالدرجة الأولى في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ويتألف من بني واسين (بني مرين وبني عبد الواد) التي يندرن تحتها بنو زيان ، وقد أكد يحيى بن خلدون ، أنهم من البربر حيث قال : ومن أبناء زناتة فمن ولد زناتة بنو عبد الواد وبنو مرين ، وتوجين ، ومليكش ، الا أنه عاد فقسمهم الى فخذين ينسب أولهما الى البربر والثاني الى ادريس بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب (2) ، وأرجع التنسي نسبهم الى رسول الله (ص) (3) على أن عبد الرحمن بن خلدون رد على هذا الزعم بأنه لا سند له ، ولو كان الأمر كذلك لافتخر به يغمراسن بن زيـان ، لأن سنده الأ برلما علم بذلك قال برطانتهم : "ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله ، وأما الدنيا فاننا نلناها بسيوفنا " (4)

ويبدو أن الشيء الذي دفع بهذين المؤرخين أن يربطا نسب بني عبد الـواد الى بيت النبوة ، أن كلا منهما ألف كتابه ، وقدمه الى لسلاطين الدولة ، فابن خلدون يحيى كتب كتابه وقدمه للسلطان أبي حمو موسى الثاني ، ونفس الشيء التنسـي الذي ألف كتابه في عهد المتوكـل (5)

---

1 ــ عبد المؤمن الكومي : انظر المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب ليدن 1847 ص97 ، ابن صاحب الصلاة المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادي التازي 1969 ص412ــ413

2 ــ العبر : مج7 ، ص114 انظر أيضا الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص174 بغية الرواد : ج1 ، ص186

3 ــ نفسه ج1 ص190 ، الميلي : المرجع السابق ج2 ، ص347 المصدر السابق ورقة 3 ، يحيى بوعزيز : المرجع السابق ، ص125

4 ــ العبر مج7 ، ص149 ، الميلي : ج2 ، ص437 ، الجيلالي : ج2 ، ص132 بغية الرواد ، ج1 ، ص119 انظر دائرة المعارف الاسلامية (مادة زيان) ص418

5 ــ عن المتوكل : وعهده ، انظر التنسي نظم الدر والعقيان ، ص236 ، يحيى بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ص125 ، المصدر السابق ، ص36 ، الجيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص195

ومن هنا يتبين لنا أن أهم قبائل زناتة بالمغرب الأوسط هي :

أولاً : بنو عبد الواد كانوا يعيشون قبل الفتح الاسلامي للمغرب في جبال الأوراس وقد تحدث عنهم الادريسي في رحلته فذكر أنهم من بين سكان الأراضي المحيطة بمدينة بسكرة ، ثم انتقلوا نحو السهول التلية في عهد الدولة الموحدية ، ثم تمركزوا بالأراضي المحصورة ما بين نهر الشلف وتلمسان الى جوار اخوانهم من الزناتيين مثل بني توجين ، ومغراوة (1)

ثانيا : قبيلة مغراوة التي كانت تسكن وادي الشلف ومليانة ، وبرشك ، وشرشال ، ومازونة

ثالثا : بنو توجين ، وقد انتقلوا من الواحات الصحراوية نحو الشمال فسيطروا على أراضي صنهاجة (2) مثل المدية (3) ، كما أخرجوا الثعالبة من تيطري (4) وينقسمون بدورهم الى مجموعة من البطون :

1 ــ بنو تيغرين : وكانوا قد سيطروا على جبل الونشريس منذ أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، بعد أن تخلى عنهم بنو مرين عقب الحصار الطويل لمدينة تلمسان

---

1 ــ هذه القبائل ، كانت تقيم بمنطقة الزيبان ، وتتقسم فيما بينها سفوح جبال الأطلس الصحراوي من جبل عمور حتى المغرب الأقصى ، وتم رحيل يتجهون في فصل الخريف الى الواحات ، وعلى وجه التحديد المنطقة المحصورة بين ميزاب وسجلماسة ، وصيفا الى المناطق التلية
انظر العبر : مج 7 ، ص 321
العبر مج 7 ، ص 4 ــ 5 انظر أيضا حاشيات : نفس المقال ، ص 57
2 ــ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 102 ، ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 141
ابن خلدون : العبر ، مج 7 ص 316 ــ 319 ، انظر أيضا حاشيات نفس المقال ، ص 39
3 ــ المدية : من بين المدن الجزائرية ، وهي الآن عاصمة لولاية تيطري ، وقيل انها تنسب الى احدى بطون صنهاجة ، انظر العبر مج 6 ، ص 314 ، الحسن الوزان : وصف افريقية ، ص 407
4 ــ نفسه : مج 6 ، ص 164 انظر الميلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 370

(698هـ / 1298م) (707هـ / 1307 ـ 1308م) [illegible] الونشريس [illegible] ـك (1)

تحت سلطـــة ابناء محمد بن عبد القوي المنتمين الى بني [illegible] ع آخـر من بني توجيـــن ، وكان تواجدهم بجبل الونشريس ومنطقـة السرسو (2)

2 ـ أولاد عزيز : الذين استوطنوا المنطقة الممتدة ما بين المدية ومضارب بني دمنكوس (3) وقد وفدوا من موطنهم الأصلي ماسون ، وكذلك بنو يدللتن (4) الذين هم أيضـــا من بني توجين ، وقد استولت قبيلـة بني توجين على حصن الحصبات ، وقلعـــة تاغزورت ، وبذلك أصبحت المناطـق الواقعة ما بين موطن بني راشد ومنها جبـــة بنواحي المديـــة ، وبلاد السرسـو ز باله ملكـــا لبني توجين قبل انتقال القبائل العربيـــة لهذه المنطقـــة

3 ـ بنو ورنيد : الذين هم فرع من بني توجين ، فقد كانوا هم الآخرون يقطنـو ن بجنوب الونشريـــس ، ثم سيطروا على الحقادان البربليســة منه (5)

4 ـ بنو سلامة : تمركزوا في المنطقـــة المحصورة ما بين تاغزورت والونشريـــس (6)

---

1 ـ بنو دمنكوس : كانوا يقطنون المنطقة المحصورة ما بين المدية ، وجزائر بني مرغنايى، أنظر العبر : مجا 7 ، ص 320

2 ـ بلاد السرسو لا تزال الى يومنا هذا تحمل نفس الاسم وهي غير بعيدة عن قلعة بني سلامة

3ـ العبر: مجا 7، ص 321ـ323، انظر ايضا حاجيات : نفس المقال ، ص 37

4ـ نفسه : مجا 7 ، ص 320، انظر الميلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 371

5ـ العبر : مجا 7 ، ص 315، حاجيات نفس المقال ، ص 36

6 ـ تنسب لهذه القبيلة قلعة بني سلامة التي نزل بها ابن خلدون أربع سنـــــوات 776ـ 780هـ/ 1375ـ 1379م وكتب فيها مقدمته المشهورة وتسمى ايضا بقلعـــة تاغزورت تبعد بنحو ستة كلم الى الجنوب الغربي من مدينة فرندة ، أما سلامة الذي تنسب اليه القلعة أيضا فهو سلامة ابن علي بن ناصر أحد شيوخ بني توجيـــن ، سكن تاغزورت واختط بها القلعة فنسبت اليه ، انظر التعريف بابن خلـــــدون ورحلته غربا وشرقا تحقيق ابن تاويت القاهرة 1951 ، ص 228 العبر مجا 6 ص 335

رابعا : بنو راشــــد ، الذين كانوا يرتادون منطقة . بل بني راشـــد (جبل عمور)

الذى يحمل اسمهم وذلك لأنهم خلال المرحلة الأخيرة من حياتهم ...ـــة

الصحراوية توجهوا نحو المناطق الشمالية لأهميتها من الناحية الاقتصادية وبخاصـة

النشاط الزراعي ، فخصوبة الأرض تساعدهم على ايجاد الكلأ والماء لمواشيهم ، وقد

أغاروا على المنطقة التي كانت لقبيلة مديونة الواقعة ما بين وادي مينا ووادي سيـن

فتغلبوا عليها واختطوا بها القلعـــة التي أصبحت تحمل اسم قلعة بني راشد ، كما (1)

توجهوا كذلك نحو المنطقـــة التي كانت في الماضي ضمن مضارب بني يفـــرن (2)

وهناك قبائل أخرى كانت مستقرة بأراضي الدولة الزيانيةمثل الصنهاجيـــيـــن

وقد كان هؤلاء يعيشون بالونشريس ، وذلك منذ بداية التوسع الصنهاجي خلال عهد

بلكين بن زيري (368هـ/ 978م) 979 بن مناد الذي قام بتحديد مدن مليانة (3)

والمدية التي كانت تحمل اسم قبيلة صنهاجية ، ونفس الشيء بالنسبة لجزائر بني مزغنة

(الجزائر) وكذلك بنو يندل (مندل) ومتيجة الذين ينتسبون بدورهم لنفس القبيلة (4)

---

1 ـ نفسه : ج1 ، ص315 انظر ايضا MARCAIS (J) OP. cit P 58I
الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 349 ، العبادي : احمد مختار : دراسات
في تاريخ المغرب ، الاسكندرية ، 1968 ، ص197 ، وأنظر ايضـــا :
- Marçais J. op.cit P : 583

2 ـ صنهاجة تشكل أكبر مجموعة من البرانس ، وقد اختلف المؤرخون والنسابـــون
حول نسبها ، فالبعض يرجعها الى أصل عربي والبعض الآخر يرى انها بربريـــة
ومن ابرز بطونها تلكاته التي تنتسب اليها الدولة الزيرية ، والحمادية ، ولمتونـــة
التي يعود اليها المرابطون ، لمزيد من المعلومات عنها ، أنظر العبر مج6
ص ص 312 ـ 370 انظر ايضا القبال : المرجع السابق ص ص 80ـ81ـ82ـ83
الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 174

3ـ ابن عذاري : البيان ، ج1 ، ص ص 330 ـ 341 لقبال : المرجع السابـــق
ص 371 ، الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 175 R. CAPOT - REY

4 ـ عن بني مندل انظر ، - Les Migration de Saïd Otba, dans Revue Africaine 1940 P : 194.

ومن القبائل التي عاشت بالشلف حديبون حيث كانت مضاربهم في منديلاس(1) بين بني يفرن من الناحية الغربية ومراته في الشرق ، وبين مطماطة والسرسو والونشريس ، الا أنهم كانوا في صراع مع مراته مما أدى الى ضعفهم ، وتسهيل مهمة بنو يلومي ، وبنو ومانوا في السيطرة على أرضهم الا أن وجودهم رغم ذلك استمر بتلك المنطقة الى أن تغلب عليهم بنو عبد الواد وبنو توجين

أما سنجاس فكانوا هم الآخرون يتمركزون أيضا بالشلف ، ويشير ابن خلدون الى مذهبهم فيقول انهم معتنقون للمذهب الخارجي ، لكن يبدو أنهم تخلوا عنه بالتدريج ، لأن مضاربهم التي ذكرها ابن خلدون مثل جبل بني راشد والشلف ينعدم فيها هذا المذهب(2) كذلك توجد في نفس المنطقة قبيلة لماية وهم من بني فاتن ، وقد لعبوا دورا هاما في تكوين دولة الرستميين ، وخلال عهد ابن خلدون كانت مضاربهم بجبل الونشريس، وبالتحديد بأراضي السرسو قبلة منداس(3) حتى جبل كزول ، واذا انتقلنا الى شمال الشلف نجد من بين قبائله مضيلة(4)

---

1 ــ العبر : مج 6 ، ص 412 ــ 414 ، الادريسي : المصدر السابق ص 89 البكري ، نفس المصدر ، ص 76

2 ــ العبر : مج 6 ، ص 97 ، انظر الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 175

3 ــ وطن منداس ، حسب بعض النسابين البرابرة انه ينتسب الى منداس بن مغر بن أوريغ بن كبوريين بن المثنى ، وقد تركوا مضاربهم وتوجهوا الى جبل الونشريس قبل وصول بنو توجين الى مضاربهم ، انظر العبر مج 6 ص 254 ويقع غربي تيهرت ، انظر الجيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 13

4 ــ مضيلة تنتسب الى بني فاتن كانوا مستقرين بجبل سوفجج ، يقول الباروني انه لم يتمكن من تعيين هذا الجبل الذي يعرف اليوم بسوفكيك جنوب تيهرت ، حيث موطن لماية ، انظر الباروني : الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية بدون تاريخ مصر ، ص 3 ــ 4 ، العبر مج 6 ، ص 254 ــ 255

التي استقرت بجبل الجيهورة ، وبالتحديد من مصب الشلف حتى عاروضـــة ومن القبائل المحيطة بجبل الونشريس هوارة (1) ومن بطونها زارة التي تنسب اليهـــا جبل زكارة بدائرة مليانة ، وخلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميـــلادي أسس شيخ هوارة محمد بن اسحاق قلعة هوارة ، ويرى ابن خلدون أنهم يتمركـــزون بالمغرب الأوسط خاصة بجبل هوارة القريب من مدينة البطحاء ، كما يقول عنهم : انهم وجدوا في البداية بنواحي طرابلس ، وبرقة ، ثم توزعوا في منطقة أوراس ، وكذلك بين عنابة وتيفاش (2) ، وبين وهران وتيهرت وعلى مسافة غير بعيدة من أشير يوجــــد ســــوق هوارة (3)

ومن الملاحظ أننا نجد بعد تأسيس الدولة الزيانية ان بعض شيوخ هــــوارة قد تحالفوا مع ملوكها مثل يعقوب ابن يوسف الذي عاش خلال عهد السلطان الزياني أبو تاشفيـــن الأول (718 هـ ـ 737 هـ) (1318 ـ 1337 م) وقد عينـــه على قبيلـــة بني توجين (4) ، وهذا يجعلنا نرجح ان القبائل البربرية المتواجـــــدة بأراضي الدولة الزيانية كانت تظهر الطاعة لهم ، لكن لا تلبث أن تنقلب عليهم عند ما يتعرض ملكهم لأخطار خارجيـــة وفي كثير من الأحيان كانت هذه القبائل البربريـــة تمد العون لأعدائهم في الداخل والخارج ، ومن بطون مطماطة بني يلسن الذيـــن استقروا بالونشريس ، وقد هاجروا مع الزناتيين من بني توجين وتمركزوا بناحية منداس

---

1 ـ عن هوارة انظر : العبر مجا 6 ص 283 ، الميلي نفس المرجع ، ج2 ، ص 249

2 ـ تفاش مدينة رومانيـــة قديمـــة توجد بالقرب من مدينة قالمة الحالية ، وقـــد وصفهـــا البكري (بالغاالمـــة) عنها أنظـــر المغرب ، ص 53

3 ـ المغرب ، ص 60 ، كتاب الجغرافيـــا ، ص 145 ، انظر أيضا الميلـــي : المرجع الســـابق ، ج 2 ، ص 349 ـ 350

4 ـ بغية الرواد : ج 1 ، ص 230 ، العبر : م 7 ، ص 313 ـ 309

5 ـ العبر : مجا 7 ، ص 158 ومج 6 ، ص 254

بالقرب من بلديـــة عمي موسى الحاليــة ب. وأرمذناسة التي لاتزال بقايا منهــــا
تقطن بجانب الطريق الذي يربـــط تيهرت بها على ... جبال الونشريس

وأما منطقة تيهرت فكانت منذ تأسيس الدولة الرستمية (144 هـ/ 761 م) مركزا لتوافــد البدو والقبائل الرحل عليها ، واصل هذا راجع الى السياسة الاقتصادية الجديدة التي نهجتها الدولة الرستمية و ... ما يتعلق بالنشاط الزراعي ، وتربيــة المواشي ، وقد نوه بهذه التحركات البشريـــة الوافدة ابن الصغير (1) ، حيث ذكــر من بين تلك القبائل مزاتة (2) وسدراتــه التي كانت خلال عهد الدولة الزيانيـــة لاتزال موجودة في المناطق المجاورة لمدينـــة تيهرت

اذا كان هذا ما يتعلق بمزاتة وسدراته ، فان قبيلة مكناسة هي الأخرى قــد انتقلت الى منطقـــة تيهرت خلال العهد الفاطمي ، فقد عين الخليفة عبيد اللـــه المهدي (3) (297 ـ 334 هـ/ 911 ـ 934 م) في هذه الفترة مصالة بن حبوس على ولاية تيهرت وبنو مكناسي مما جعل بني المكناسيين يستقرون هناك ، وبالاضافة الى مكناسة مطماطة التي كانت هي الأخرى بالجبل المقابل لمدينة تيهرت والذي يعرف

---

1 ـ اخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق ونشر موتلنسكي ، اعمال المستشرقين ، 14 لسنـــة 1905 ق 2 مجلد 3 ، ص 16 ، أنظر أيضا

Marçais et Desus lamare, Tihert-Tagdemt, Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occ musulman T.I PP. 173 - 199.

دائرة المعارف الاسلامية ، مادة رستم بنو مجلد 10 ، ص 94، أنظر أيضــــا
بورويبـــة رشيــد : تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر ، مقال بمجلة الثقافة ع 82 ، ص 14

2 ـ عن مزاتة : انظر اليعقوبي البلدان ، ص 97 ـ 90

3 ـ مصالة بن حبوس تولى ولاية تيهرت للفاطميين ، ولعب دورا بارزا في التوسع الفاطمي ، وتوفي سنة 312 هـ/ 928 م
أنظر ابن عذارى : البيان ، ج 1 ، ص 198

4 ـ عن مطماطة انظر البكري : ص 166 الادريسي : ص 185 ابن خلدون العبر ج6 ص 250

(1)
وقد استمر تواجدهم بهذه المنطقة حتى سنة (460 هـ / 1067 م) وهو عصر البكري ولكن يبدو وأنهم كانوا ضعافا ، لذلك لم يشاركوا في الأحداث التي شهدتها المنطقة خلال القرون الثلاثة من سياة الدولة الزيانية ، والى الشرق من مضارب
(2)
ازداجة توجد قبيلة مديونة وبالتحديد بين وادي مينا ، ووادي سيسن وقد تأثرت القبيلة بالحركة التوسعية التي قامت بها زناتة خلال العهد الموحدي حيث استقرت في تلك المنطقة بطون من بني راشد وبني عبد الواد ، والى جانب مديونة
(3)
وجدت قبيلة كومية وولهاصة التي تصل مضاربها المنطقة من تلمسان حتى حنين
(4)
وفي الجبال المطلة على مدينة تلمسان نجد مضارب بني ورنيد الذين لا يزالون يسيطرون
(5)
لحد الآن على تلك المنطقة ، كما نجد بني يزناسن الذين تمتد مضاربهم حتى حدود الدولة الزيانية من الناحية الغربية

---

1 ـ ونستدل على ذلك من قوله : " ثم غلب على بلد الثغور يعلى ابن الفتوح الازدجي ، وأخرجوا بني برثم ، انظر المغرب ص 99 ،

2 ـ البكري : المغرب ، ص 125 ، ابن الخطيب : اعلام الاعلام ، ق 3 ، ص 192 ، العبر ، مج 6 ، ص 256 ـ 257 ، انظر أيضا سعد زغلول : المرجع السابق ص 93

3 ـ ولهاصة : تتألف من بطنين الأول كان يتمركز بالمناطق المحيطة ببونة (عنابة) وقد تأثرت بالهجرة الهلالية ، حيث تخلت عن لهجتها ، والثاني بساحل تلمسان ، انظر ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 231 ـ 233 ، الميلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 181

4 ـ العبر : مج 7 ، ص 224 ، التنسي : نظم الدر والعقيان ، ص 256

5 ـ بنو يزناسن : كانوا بالجبال الواقعة في الغرب الشمالي لمدينة وجدة شرق نهر الملوية ، انظر التنسي : المصدر السابق ، ص 331
الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص 112 ـ 113

العلاقات بين القبائل البربرية والدولة الزيانية :

من الضروري التعرف في نطاق هذا البحث على طبيعة العلاقات السائدة بين الدولة الزيانية ، والقبائل البربرية الداخلة في اطارها السياسي ، حيث نرى أن هذه العلاقات كانت من طرف الدولة قائمة على التسلط والسيطرة ومن الجانب الآخر نجد أنهما علاقات قبلية لم تصل الى درجة الانتماء الوطني وانما تخضع الى لون من العصبية احيانا للدولة واحيانا للقبيلة ، ومن ثم فاننا نلاحظ أن هذه العلاقة لم تأخذ طابع الاستقرار طوال الفترة التاريخية للعصر الزياني ، ومن هنا انقسمت الى قسمين :

أولا ـ علاقة القبائل البربرية بالدولة الزيانية (1) ، وهذه العلاقة تخضع لعدة اعتبارات منها المصلحة الاقتصادية والتعصب العرقي ، وكان العامل الأول أكثر قوة ذلك أن التأثير الأكبر لمصالح القبيلة ودليلنا على ذلك أن قبيلة بني توجين (2) كانت علاقاتها عدائية مع الدولة ، وذلك أنهم في هذه الفترة كانوا كثيرين الحركة كما كانوا على اتصال بالمغراويين الذين يجاورونهم ، ويجوبون معهم سهول وادي الشلف وقد حاولوا أن يحافظوا على المنطقة ضد التدخل الخارجي ، مما جعلهم يتصدون

---

1 ـ عن علاقة الدولة الزيانية بالقبائل البربرية انظر العبر مج 7 ، ص 200ـ 201،
بغية الرواد : جـ 1 و 2 انظر أيضا حاجيات : أبو حمو موسى الثاني ، حياته
وأثـــره ، مقال بمجلة التاريخ وحضارة المغرب ، ع 9 ، 1970 ص 29 ـ 54
أنظر أيضا
وأنظر ايضا بوزياني الدراجي : المرجع السابق ، ص 236

2 ـ شارل عما نوئيل ديفورك .(ch. E) Dufourcq مكانة الونشريس والجهات المجاورة له في تاريخ المغرب الأوسط عبر الألفية الأولى من التاريخ الهجري محاضرة القاها في ملتقى الفكر الاسلامي بالجزائر 1980 ، ص 9

في مواجهة الزيانيين رغم رابطة العمومة من الأسرة الحاكمة في تلمسان

ومن جهة أخرى فان بني زيان لم يحاولوا التفاهم معهم لاستمالتهم [illegible] العرقية ذلك أن بني توجين نفسوا عليهم ما آل اليهم من سلطان، وفي ذلك يقول ابن خلدون : " استقل يغمراسن ابن زيان بأمر تلمسان، والمغرب الأوسط وظفر بالسلطان، وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة، نفسوا عليه ما آتاه الله من العز وأكرمه به من الملك، فنابذوه العهد وساقوه المناصبة، وركبوا له ظهر الخلاف " (1)

الا أن هذه العلاقة اختلفت عقب الحصار المريني الذي قام به المرينيون ضد الزيانيين من سنة (698هـ / 707هـ / 1298 – 1307م) (2) قد مالت الى الود والصفا بعد ذلك، ولعل هذا الموقف يرجع الى أحد احتمالين :

أولا – أنهم وجدوا أن بني زيان وصلوا الى درجة عالية من التفوق العسكري خلال عهد أبي تاشفين الأول ((717 – 737هـ/ 1317 – 1337))

ثانيا – أن بني توجين وبني عبد الواد وبني مرين كانوا من أصل واحد الا أن بني توجين من جد أقرب، ولذا نجد العصبية القبلية تسيطر على بني توجين فينحازون الى بني زيان ومما يؤكد الاحتمال الأول أنه خلال سنة (749هـ/ 1348م) وبعد أن التف بنو عبد الواد وراء أبي سعيد وابي ثابت الملقب بالزعيم استطاعوا احياء الدولة من جديد

---

1 – العبر : مج7، ص164

2 – العبر : مج7، ص201، بغية الرواد، جـ1، ص215، التنسي : المصدر السابق، ص156، الاستقصا، جـ3، ص126، انظر أيضا بوزياني : نفس المرجع، ص154 وعن عهد أبي تاشفين الأول، وعلى الخصوص حركته التوسعية انظر العبر : مج7، ص ص213 – 215، بغية الرواد : جـ1، ص ص215 – 219 روض القرطاس ص300، انظر أيضا الميلي : المرجع السابق، ط1976، ص797 واحسن مثال على ذلك أن بني توجين وقفوا الى جانب الدولة بعد هزيمة السلطان أبي الحسن المريني في معركة القيروان سنة 748هـ/ 1347 انظر العبر مج6 ص567 بغية الرواد، جـ1، ص242، انظر أيضا حاجيات، أبو حمو موسى الثاني ص29، رضوان محمد : المرجع السابق، ص216

حيث تحالفوا معهم بنو توجين بعد ذلك، وهم من الشيعة[1] ويبدو لذلك أيضا أنه خلال حكم أبي حمو موسى الأول كان شيخهم نصر بن عمر التوجيني أميرا على جبل الونشريس للزيانيين بعد ما أعلن طاعته، وقد قدم لهم جماعة من المقاتلين اتصلا بهم في الحروب التي تخوضها الدولة[2].

ويتبين لنا من خلال ما أوردناه أن سياسة بني توجين كانت تهدف الى مسالمة كل من ظهرت غلبته، وقوي أمره، واعلان الطاعة، والانحياز الى من فرض سلطته على هذه الدولة مقابل المحافظة على ولايتهم بجبل الونشريس، ولذلك وقفوا الى جانب أبي زيان ضد أبي حمو موسى الثاني الذي عندما اشتد جانبه أخذ أشياخ بني توجين كافة، وساقهم في ركابه تحطمهم البخال المبردعة[3]، وهكذا خضعوا من جديد لأبي حمو، وان خضوعهم هذا ينم عن ضعفهم، وميلهم الى الاستسلام للغالب من السلاطين مما كان يحط من شأنهم، ويخل بما عرفه قومهم قبل ذلك من عزة وكرامة، ومما زاد في انحلال قوتهم أن السلطان الزياني أبا حمو اقطع أراضيهم لقبائل العربية، ومن بينها قلعة بني سلامة أعطاها لأولاد عريف، وذلك منذ اسروا اجارتها، وقد علق ابن خلدون على هذه الوضعية التي صاروا اليها قائلا: " أصبحت بنو توجين لها خولا وعبيد الجبايتهم[4]، الا بني الونشريس فانه لم يزل لبني تيغرين[5]

---

1 ـ العبر: مجـ 7، ص 196، بغية الرواد، جـ 1، ص 236، انظر أيضا حاجيات: السلطان ابو حمو موسى الثاني، حياته وأثره، ص 31

2 ـ العبر: مجـ 7، ص 240، بغية الرواد: جـ 2، ص 148 ـ 149 انظر أيضا حاجيات نفس المقال، ص 37

3 ـ بغية الرواد، جـ 2، ص 200 انظر حاجيات: نفس المقال، ص 37 ـ 38

4 ـ العبر: مجـ 6، ص 182

5 ـ بنو تيغرين: احدى بطون قبيلة توجين عنهم انظر العبر، مجـ 7، ص 320

ويتجلى لنا من النص أنهم فقدوا أغلب الأراضي الزراعية وأصبحوا مطالبين بتقديم الضرائب عما بقي بأيديهم منها للقبائل العربية التي استقرت بينهم . على أن مغراوة في الأطراف الشرقية اصطدمت مرارا بدولة بني عبد الواد التي كانت تحاول السيطرة عليها ، لذلك استولى يغمراسن على بعض مدنهم كتنس ، وبعد وفاته حاربهم ابنه أبوسعيد فسيطر على أملاكهم ، مما جعل أميرهم ثابت بن منديل يلجأ الى المغرب الأقصى سنة 694 هـ/ 1294م طالبا المساعدة من بني مرين واثر محاصرة هؤلاء لتلمسان سنة 698 – 707 هـ/ 1298 – 1217 اغتنم راشد بن محمد الفرصة فعاد لاحياء امارته ، الا أنه اضطر بعد ذلك الى مغادرة المنطقة بعد فك الحصار خوفا من انتقام بني عبد الواد (1) وكذلك فعل ابنه علي بن راشد ، فقد قام هو الآخر بمحاولة احياء امارته ابان الاستيلاء المريني على تلمسان في عهد السلطان أبي الحسن المريني " 737 هـ/ 1336م " وتوجه معه الى القيروان حيث شارك الى جانبه في المعركة التي انهزم فيها الجيش المريني سنة " 748 هـ/ 1347م " (2) وعاد مع شيوخ زناتة الى المغرب ، وكان له دور بارز في اعادة النفوذ الزياني حيث وقف الى جانبهم لعهد تم بين الطرفين ، ثم مالبثت مغراوة أن نقضت هذا العهد أكثر من مرة عندما رفضت مساعدة بني زيان في حربهم ضد الناصر بن أبي الحسن المريني سنة ((749 هـ/ 1347م)) وهذا الموقف من جانب مغراوة أذكى العداء بينها وبين الدولة الزيانية ، ولم تنفرد قبيلة مغراوة بموقفها العدائي من بني زيان بل وقف بنو توجين وقبائل زناتة ضدهم في حربهم ضد أبي الحسن المريني سنة ((750هـ/ 1349م)) (3)

---

1 – العبر : مج 7، ص 138 [illegible]

2 – العبر : مج 7 ، ص 143 ، انظر أيضا حاجيات : ابوحمو موسى الثاني ، ص 29 ، رضوان محمد رضوان : المرجع السابق ، ص 226

3 – نفسه : مج 7 ، ص ص 192 – 194 ، انظر أيضا حاجيات : نفس المرجع ، ص 30 رضوان محمد رضوان : نفس المرجع ، 236

ولم يمر موقف مغراوة من الدولة الزيانية دون عقاب ، فقد قاد أبو ثابت بنفسه عدة حملات تأديبية لهذه القبائل حيث استطاع هزيمتهم [illegible] بنو راشد والسيطرة على مليانة ، والمدية ، وبرشك وشرشال (1) وتكرر هذا فلما ضعف شأن الدولة الزيانية ، وتلاشى سلطانها تابع أمراء مغراوة الى احياء مجدهم بمساعدة بني مرين ، وطالما كان بنو عبد الواد يسترجعون ملكهم ، ويستعيدون السلطة لهم ، وبذلك قضوا على آمال المغراويين به (2)

وأما بنو راشد فقد تعاونوا مع الزيانيين في مواجهة بني مرين وانحازوا الى جانبهم في معركتي ايسلي ووادي تمسن (3) وكونوا امارة صغيرة موالية للدولة الزيانية

ولما استولى أبو الحسن على تلمسان سنة 737 هـ / 1336م وجد بها بعض أشياخ بني راشد فنقلهم مع شيوخ بني عبد الواد الى المغرب الأقصى ، وعندما قام أبو سالم بمنافسة أبي حمو موسى الثاني قدم زيان بن يحيى الراشدي الى وطن بني راشد داعيا لأبي زيان القبي فيها (4)

---

1 ـ العبر : مج 7 ، ص 209 ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 144 ، نظم الدر والعقيان : ص 215 ، انظر ايضا الميلي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 349 ، الجيلالي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 168 ، انظر ايضا : حاجيات : فهرس المقال ، ص 31

2 ـ العبر : مج 7 ، ص 315 ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 245 ، انظر أيضا تلمسان ، شارل دوفورك CHARLE DUFOUCQ نفس المحاضرة ص 10 ، انظر ايضا حاجيات : المرجع السابق ، ص 29 ، انظر ايضا رضوان محمد رضوان : المرجع السابق ، ص 237

3 ـ العبر : مج 7 ، ص 277 ـ 279 ، انظر ايضا حاجيات : السلطان أبو حمو موسى الثاني ، حياته وآثاره ، ص 39

4 ـ العبر : مج 7 ، ص 316 ـ 536 ، الاستقصا ، ج 3 ، ص 126 ، بغية الرواد ، ج 1 ، ص 219 ، انظر ايضا ، المؤلف مجهول : الذخيرة السنية ، ص 83 ، رضوان محمد رضوان : نفس المرجع ، ص 25

وفي ربيع الأول سنة (761 هـ/ سبتمبر 1360) أثار الأمير أبو تاشفين الثاني رفقة الشيخ عمران بن موسى الجلولي على أراضي بني راشد قبل ... والتجأ (1) عند أولاد عريف من سويد ، ثم عاد الى وطنه ، وقام بدعوة بني مرين مما جعل عمران بن موسى الجلولي يتجه اليه ، ويهزمه هزيمة أكبر من الأولى مما جعله يتجه مرة أخرى الى المغرب الأقصى (2)

وعندما عاد الى قلعة بني راشد بعد عقد الصلح بين بني مرين وبني عبد الواد في رجب سنة (763 هـ/ 1362م) اتهمه أبو حمو بمراسلة بني مرين ، فقبض عليه ، واعتقله بوهران ، ففر من معتقله ، وتوجه الى المغرب الأقصى ، وعندما عاد ثانية اعتقل من جديد سنة (768 هـ/ 1367م) وتوفي بسجنه ، وبوفاته انتهت امارة بني راشد (3)

يتبين لنا مما سبق دراسته أن علاقة الدولة بالقبائل الزناتية عامة كانت قائمة على روح التنافس، والصراع وقد عرضنا لذلك أمثلة مثل علاقة بني توجين ، وبني راشد بالدولة ، أما علاقة بني عبد الواد أنفسهم بالدولة فتبدو مختلفة ، لأنها تمثل علاقة القبيلة بالأسرة الحاكمة ، وهي علاقة ـ ولاشك ـ أكثر ايجابية ، الا أنها في بعض الحالات تبدو عدائية ، ذلك أننا نجد أن بطون قبيلة بني عبد الواد وقعت في نفس الروح القبلية ، وسيطرت على بعضها روح المنافسة ، ودليلنا على ذلك ما ذهبنا اليه عما أورده ابن خلدون عن شخصية يغمراسن بن زيان بن ثابت ابن محمد انه كان : " من أشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيلة (4)

---

1 ـ العبر : مج7 ، ص317 ، بغية الرواد : ج2، ص64 ـ 65، انظر ايضا حاجيات : نفس المقال ، ص40

2 ـ بغية الرواد : ج2 ، ص76

3 ـ العبر : مج7 ، ص265 ، بغية الرواد : ج2، ص142 ـ 146 ـ 147

4 ـ العبر : مج7 ، ص162 ، انظر بوزياني الدراجي ، نظم الدولة الزيانية ، ص206

وقد تناول ... الاتصـــــال بمزيد من الوثوق السلطان أبو حمو موسى الثـاني بقولـــه : " أنه كـــان على الطان أن يرتبهم وان يجعل على ... ... نيفــــا من أكابرهم واعيانهم على أن يكون كل واحد من هؤلاء الأشيـــاخ من أكثر قبيلـــة محبـــة له ورغبة في خدمتـــه واستعدادا لتحريض جماعته على المناعــــة وإمامهم ريبـــــة ، وابعدهم عن النميمـــــة والغيبة " (1)

ومن هذين النصين اللذين قد ... لهما كأمثلـــــة يتبين لنا أن العلاقة بين الأسرة الحاكمـــــة في الدولة الزيانية ، وقبيلتهم بني عبد الواد كانت أكثر انسجاما من بقيـــة القبائل البربرية الأخرى ، مما يدل على أن السلطان بحس القرابة التي تربطه بهذه القبيلـــــة وسيلـــة للتقرب منه ، فقرب أفرادا من هذه الأسر وأدخلهم في خدمته ، واختار الشيوخ من أكابرهم وأعيانهم بشروط كان من أهمها محبتهم له ، ورغبتهم في خدمته واستعدادهم لتحريض جماعتهم على الطاعة مع قلة الريبة ، والبعد عن النميمـــــة والغيبـــــة ، وبذلك يتبين لنا صحـــــة ما ذهب اليه ابن خلدون عبد الرحمن من وصف يغمراسن بن زيان أنه كان أعظم ملوك بني زيان على الاطلاق

القبـــائل العربيـــــة :

ويبدو وأنـــه من قبيل المبالغة التاريخية أن يقال انه لا وجود للقبائل العربيـــــة في المغرب الأوســـــط قبل دخول بني هلال سوى المتواجدين بمنطقة تيهرت الذين انتقلوا اليها مع عبد الرحمن بن رستم (2) ، ومن كان قبل ذلك من قبائل عربيــــــــة

---

1 ـ أبو حمو موسى بن يوسف، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، مطبعة الدولة التونسية 1279هـ/ 1862 ، ص79

2 ـ عن عبد الرحمن بن رستم الذي تولى الحكم سنة (160 ـ 162هـ/ 777 ـ 779م)، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ المبايعة ، انظر ابن عذاري : البيان : ج1ص197 السلاوي : الاستقصا ، ج 1 ، ص 115 ، اليعقوبي : البلدان ، نشر دي غوية، بريل ، 1892 ، ص 67 ـ 68، انظر أيضا القبان : دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص ص 209 ـ 214

لأن البيت كالشأن دائماً لغير العرب من المسلمين ... ماء ... (1) بأمن البيت ، وقد صور لنا هذا الجفاء بين العرب و... المعز لدين الله الفاطمي ، حينما عزم على الانتقال الى مصر استقدم جعفر بن علي بن حمدون وعرض عليه استخلافه نائباً عنه في افريقية فاشترط عليه لقبول ذلك شروطاً فقال له : " تترك معي أحد أولادك واخوتك يقيمون في القصر وأنا أدبر ولا تسألني عن شيء من الأموال أن ما أجبيه يكون بإزاء ما أنفقه واذا أردت أمراً فعلته دون أن تنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره لي " ، فغضب المعز لذلك وقال : ياجعفر عزلتني عن ملكي ، وأردت أن تجعل لي فيه شريكاً بدون أمري واستبددت بالأعمال والأموال دوني فقد أخطأت حظك ، ثم استدعى يوسف بلكين بن زيري فقبل الأمر.(2)

أهم القبائل العربية :

هذا فيما يتعلق بالفترة التي سبقت مجيء الهلاليين ، أما هم فقد وفدوا الى المغرب الاسلامي بتوجيه من الخلافة الفاطمية في مصر ، وقد هاجروا من صعيدها خاصة

---

1 ـ يذكر الدكتور لقبال أن حب المغاربة العلويين ظهرت آثاره في عدم اقتناعهم باتهام الطاعنين في نسب الفاطميين وأعداء ذلك في رأيه بارزة لدى المؤرخين المغاربة ويعتمد في ذلك على الباجي المسعودي ، صاحب كتاب الخلاصة النقية ورقة 30 أ الذي ذكر نسب المهدي على الصورة العلوية كما يعتقدها الفاطميون حيث قال "ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب ولا بالمحضر الذي كتب في عهد القادر بالله " أنظر لقبال : نفس المرجع ، ص206

2 ـ المقريزي : اتعاظ الحنفاء باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج1 ، تحقيق الدكتور جمال الشيال ، القاهرة 1387 هـ/1967 : ص142 ـ 143، أنظر ، أيضا العبادي احمد مختار ، مقال بصحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد سنة 1957 لنفس المؤلف : التاريخ العباسي والفاطمي ص315 ـ 316، أبوضيف نفس المرجع ، ص43

من جزيرة العرب وسيناء عامة وأنها اختلاطا من القبائل العربية فلم أسم بنو هلال لعلمهم وان كان بنو سليم أقوى هذه القبائل ، وبذلك يلاحظ ... هذه القبائل نحو المغرب لم يكن مقصودا منه ضرب المعز بن باديس ولا نشر العربية في المغرب الاسلامي فحسب وانما قصد ضرب الفاطميين في المغرب الاسلامي لأن بني هلال وبنو سليم كانت العداوة بينهم وبين الأزد مشهورة لمجاورتهم أيام في نجد بحيث تكاسر هلال وسليم على مرا .يام واعتبروا دورا مزالدين الاسلامية (1) تبعها بعد مزا عنيفا ، وغير من أوطانها ، وقوى بعض نظمها وتقاليدها

ومن بين القبائل الهلالية التي استقرت بالمغرب الأوسط زغبة ، فيقول عنها : أبو نيف " ان زغبة ورياح انضمتا الى بني هلال وبني سليم وهما قبيلتان من العرب كانتا تقيمان على حدود مصر الغربية في اقليم برقة ، وكانت بينهما حرب وعداوة" (2)
والقلقشندي يرى أن زغبة من بني هلال بن عامر من العدنانية (3)
أما المعقل فهم بطن من مذحج من القحطانية وهو ربيعة بن الحرث بن كعب بن خالد بن مذحج

فاستقرت زغبة بطرابلس وقابس ثم تحالفوا مع الموحدين وقاموا معهم في مواجهة ثورة بني غانية (4) وأهم بطون زغبة

---

1 ـ ابن خلدون عبد الرحمن : العبر ، مجلد 6 ، ص 12 ، عبد الحميد يونس الهلالية ص 15 ـ 17 ـ 25 ـ 26 ، أبو نيف : القبائل العربية في عصر الموحدين وبني مرين ، ص 59
2 ـ زغبة ورياح ابناء ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ، عنهم أنظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد 6 ، ص 85 أنظر أيضا
3 ـ صبح الاعشى : جـ ص 175
الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 163 ، أبو نيف : المرجع السابق ، ص 173
4 ـ كحالة : قبائل العرب القديمة والحديثة ، جـ1 ، ص 137

بنو يزيد، وقد تحالفوا في البداية مع الدولة الموحدية التي اقطعتهم بلاد حمزة (1) وبنو حسن من أراضي بجاية فاستقروا هناك، وتوسعوا فيما بين بجاية والدولة الموحدية أمام ضغط التادليين (2) قبيلة زواوة (3)، كما اضطلعوا بجمع جباية الأراضي المحيطة ببجاية لصالح الموحدين (4)

وعندما تأسست الدولة الزيانية، وامتد نفوذها الى المغرب الأوسط أخذ ... يندراسن الى نقل ... ، ... من بني يزيد الى المنطقة المجاورة لتلمسان (5) فانتقل منهم بنو يزيد واستقروا بالأراضي الخصبة القريبة من عاصمة الدولة

2 ــ ... الذين استوطنوا الأراضي التي تقترب أراضي بني يزيد أي ... تيارت، ونواحي المدية، ... التي يسكنها الشمالية

3 ــ بنو مالك الذين كانوا أحلافا مع ... ، والديلم، وبني بادين من زناتة وكان ... علاقة طيبة ببني عبد الواد قبل تأسيس دولتهم، وقد عرف عن بني مالك

---

1 ــ كحالة : ج3، ص1030، انظر أيضا أبو ضيف : المرجع السابق، ص163

2 ــ عن كتامة انظر ابن خلدون : العبر، مج6، ص301
ابن حوقل : صورة الأرض، ص93، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، الثالثة، تحقيق الأبياري ص405، انظر أيضا لقبال : المرجع السابق، ص97 ــ 106
العبر : مج2، ص398 ... 402 ــ 404، ومج6، ص301 ــ 302

3 ــ زواوة فرع من كتامة منهم انظر العبر مج6، ص262 ــ 308
العبر : مج6، ص308، انظر ابو ضيف : المرجع السابق، ص236

4 ــ نفسه : مج6، ص188، انظر أيضا الميلي : المرجع السابق، ج1، ص187

5 ــ نفسه : مج6، ص90، انظر أيضا الميلي : المرجع السابق، ج2 ص163

6 ــ العبر مج6، ص106 ــ 91، بغية الرواد، ج1، ص212، الميلي : المرجع السابق، ج2، ص163

(1)
فيما بحسد طاعتهم ، وولاء هم ايضا
(2)
4 ــ بنو عامر وهم ايضا من بطون قبيلة زغبة الهربية وقد انفصلوا عن بني يزيد بروابط مشتركة وقاتلوا معهم ، في حروبهم ، وقد استقر بهم المقام في اراضي المنان التلية ، حيث اقطعهم يغمراسن الاراضي المحيطة بتلمسان ، كما استوطنوا الجزء الشرقي من أراضي الدولة فاستقروا بنهر راسل القريب من جبال الونشريس الا انهم كانوا في فصل الخريف يتوجهون الى وادي ميزاب

وفي نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) تولوا جباية الضرائب
(3)
على السهول التي تقع ما بين مرتفعات تسالة ، والماهيرة ، كما سيطروا على زيدور قرب عين تموشنت وملالة ، وكذلك سهول سبخة وهران ، وبعض المناطق من سهل سيق ، كما توسعوا في سهول وهران ، التي كانت مسكونة من قبل أزداجة ومرتفعات تسالة التي تندرج ضمن ممتلكات بني راشد
(4)
وقد اشار الحسن الوزان الى بني عامر بتواسه : " انهم يتوجهون نحو المناطق الصحراوية ، وانهم يحملون ضمن الجيش الزياني ، وقد رعددهم بستة الاف فارس"
(5)
ومن أبرز بطون بني عامر : اليعقوبية نسبة الى يعقوب بن عامر بن زغبة

---

1 ــ العبر : مجا 6 ، ص 106 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص212 ، انظر أيضا الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 163

2 ــ الديلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص165 ، أبو ضيف : المرجع السابق ، ص156

3 ــ بنو عامر : كانوا يقطنون الطائف ثم انتقلوا الى الشام ثم مصر ومنها انتقلوا الى المغرب الاسلامي خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي انظر القلقشندي : صبح الأعشى جـ1 ، ص341 ، الاصطخري : المسالك والممالك ، ص22 ، ياقوت الحموي معجم البلدان ، جـ1 ، ص 884 : العبر مجا 6 ، ص105 ، انظر ايضا الوزان : ص61
- Marçais J : op.cit. P : 582. العبر : مجا 6 ، ص105 انظر :

4ــ وصف افريقية : ص56 ، الميلي : جـ2 ، ص 159

5ــ العبر : مجا 6 ، ص 106 ــ 107 ، بغية الرواد ، جـ2 ، ص 112 ، وعن **تعاونهم** مع الاسبان انظر المصرفي عبد القادر الجزائري : تحفة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، بيروت ، الوزان ، ص61

السويـــدوهم ينتسبون الى مالك بن زغبة ، وكانوا حلفاء الحطاف ، والديـــالم (1) والبربر من بني واسيـــن قبل تأسيس الدولتين الزيانية والمرينية وفي العصور التي التقـــرة التي سيطـــر فيها بنو عبد الواد على تلمســـان وتوابعها

وقد اشتهر عرب السويد بمناصرتهم ، وولائهم للدولة الزيانية دون سائر بطون زغبة ماجعـــل يغمراسن مؤسس هذه الدولة أن يقرب منه رؤساءهم ، ومشايخهم ، وخص منهم أولاد عيسى بن عبد القوي ، وأقـــام أحد ابنائه المهدي رئيسا على القبيلـــة (2) كما قرب منه يوسف بن مهدي ، وأخاه عمـــر وقد اقرهم باقتطاع البطحاء (3) وأسنـــد غير مرة ولايـــة تلمسان ، وبايع أبيها ضرتـــا الى عمر بن مهدي كلما خرج منهـــا لقتـــال خصومـــه (4)

وعند ما تحالف السويد مع بني مرين فترة حكـــم السلطان أبي عنان الذي اقطـــع شيخهم ونزمار بن عريف جزءا كبيـــرا من أراضي بني توجين مثل السرسو ، والأراضـــي المجاورة له ، وفي نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أصبح هؤلاء يسيطـــرون على كل الناحية التي كانت تابعة لبني توجين والمدن التي تقع ضمـــن مناربهـــم (5) ، كما استولوا على نواحي ارزيـــو ، والشط الشرقي ومجموع سهـــول

---

1 ـــ تتألف قبيلة سويد من غاليتة ، وشبابة ، والهبرة ، ومجاهر ، وجوثة ، والعساسنة ـ انظر العبر : م 6 ، ص 95 ـ 96

2 ـــ ومنهم أولاد عبد القوي بن حمدان ، وكانوا في عهد يغمراسن بن زيان تحت رئاسة أولاد عيسى بن عبد القوي ، انظر العبر مج 6 ، ص 95 ـ 96

3 ـــ البطحاء سهل يقع بالقرب من نهر مينا ، غير بعيد عن قلعة هوارة ، وكانت أراضيه تابعة لمغراوة وبني يفرن ثم لبني يلومي ، وبنو ورانوا ، العبر : مج 6 ، ص 96 ، 97

4 ـــ العبر : مج 7 ، ص 95 ـ 96 انظر ايضا : حاجيات : نفس المقال ، ص

5 ـــ نفسه : مج 7 ، ص 337 ، انظر أيضا ، حاجيات : أبو حمو موسى ، ص 13 ، رضوان محمد رضوان : المرجع السابق ، ص 30

سويد بني بلعباس ، وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) استولوا

أيضا على قلعة بني سلامة ، وقد كانت خاضعة لهم عند [illegible] لها ، واستقراره بها فترة من الزمن (1)

يضاف الى البطون السابقة عذرة (2) والديلم (3) الذين ينحدرون هم الآخرون (4) من زغبة ، ومن بين الجهات التي كانوا يتمركزون بها روينة جنوب الونشريس في الأراضي التي تقع الى اليسار للوادي الذي يتجه نحو بني عندل وتيهمرت وبالاضافة الى قبيلة عذرة الحطاف الذين لاتزال آثارهم بادية الى الحيان الى يومنا هذا ، فمدينة العطاف احدى دوائر ولاية الشلف تحمل اسم هذا البطن ، ويعود تاريخ استقرارهم بالمنطقة الى القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري ، وخلال هذه الفترة كانوا بمليانة والمناطق الواقعة الى الشمال منها خاصة جبل دراك (5) هذا فيما يتعلق بزغبة ، أما رياح فقد استقروا بالسهول العليا الشرقية ، وأقاموا علاقات مع الزيانيين كبني بادين ، ولما فشل بنو عبد الواد

---

1 ــ الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 159

2 ــ العبر : مجا 6 ، ص 100

نفسه : مجا 6 ، ص 89 ، انظر ايضا : Marçais J : Les Arabes en Berbérie pp : 567 – 570.

3 ــ الديلم : كانوا متمركزين بالأراضي القريبة من كاف الرواد الذي يقع عن طريق ثنية الأحد

انظر :

BASSET (y) OP. cit PP. 6.7

يقول عنهم كانوا يستقرون في المنطقة الواقعة جنوب غرب ثنية الاحد

4 ــ العبر ، مجا 6 ، ص 103 ، انظر ايضا : Basset R : op.cit. pp : 6 – 7

5 ــ العبر : مجا 6 ، ص 103 ، وعن جبل دراك أو دراك ، انظر :

نفسه مجا 6 ، ص 103 ، انظر : Marçais J : op. cit. p : 670.

أمام المرينيين طلبوا النجـدة منهم ، فاستقروا بجبل أشيـر (1) ، وطـنـوه

ومن بين القبائل العربية التي تقطن أراضي الدولة الزيانية المعقل (2) وكانوا عنـد دخول الهلاليين الى المغرب الاسلامي ، قد توجهوا نحو المناطق الصحراويـة وبخاصة جنوب المغرب الأقصى ، وتحالفوا مع الزناتيين وبخاصة المرينيين الذين أدوا لهم يميـن الولاء والطاعـة الا ذوي منصور (3) وعبيد الله لما كانت مواقعهم متصلة ببني عبد الواد وبخاصـة خاصة عرب المنبات من ذوي منصور حسب ماأورده ابن خلدون ، الذين قال عنهم " كانوا حلفاء ، وشيعة ليغمراسن وقومـه" (4)

وأما الثعالبة (5) فهم بطن من عرب المعقل ، استقروا في البداية بجبل تيطري ، وبعد سيطـرة القبائل الزناتية على الونشريس أبعدوا الى متيجة وعند ما تمكن المرينيون من

---

1 ـ أشيـر : مدينة حصينة شيدها زيري بن مناد الصنهاجي ، لما استقل بولاية الزاب 324هـ/937م ، انظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 85 ، البكـري : المغرب ، ص 169 ، ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ، ص 283

2 ـ عن المعقـل : انظر العبر ، م 6 ، ص 88 ، انظر ايضا أبوضيف : المرجع السابق ص 195 ، الميلي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 159 ـ 160 ، أنظر ايضا :

- Marçais J : op.cit. p : 650

3 ـ ذوي منصور بطونهم أربعة أولاد حسين وأولاد أبي الحسن ، والعمارنة ، أولاد عمران المنبات أولاد منبـا ، أنظر العبر ، م 6 ، ص 131 ، أنظر أيضـا :

- Marçais J : op.cit. p : 633.

4 ـ العبر : مجـ 6 ، ص 124 ، أبوضيف : المرجع السابق ، ص 163

5 ـ كان الثعالبة وحدهم في عداد رعايا بني توجين يؤدون لهم المغارم ويسامونهم بجنودهم وانتقلت رئاستهم بعد ذلك الى بربر مليكش المستقرين بجوارهم في سهول متيجـة الى أن سيطـر بنو مرين على المغرب الأوسط وقبضوا على بربر مليكش فاستولى الثعالبة على متيجة ، أنظر العبر : م 6 ، ص 126 ، أنظر أيضـا الميلي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 159

الحلاف وملكيــــرا استولى الثعالبـــة على مضارب صنهاجة ، بعد أن دب الضعــف في هذه الأخيـــرة

ومن بطون المعقل أيضا ذوي عبيد الله ، الذين كانوا مجاورين لبني عامر من زغبـــة (1) وقد استقروا بين تلمسان ووجدة الى مصب نهر الملوية بالقرب من البحر المتوسط ، وقاموا بالرحلة الى قصور توات (2) وتوغلوا الى أبعد من ذلك حيث وصلوا الى تيكرارين (3) أما في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فقد كان ذوي عبيد اللـــه متواجديـــن في مدن الملوية ، والمناطق الساحلية ، حيث كانوا يقبضون الضرائب من قبيلة بني يزناسن (4) وطراوة حتى حوز تافنـــا وسهول انجاد ، وجبال تلمسان ، ومن بيـــن بطون ذوي عبيد الله الحدالي (5) ، وتوجد مضاربهم على الحدود الجزائرية المغربيـــــة (6) وبالتحديد جنوب غرب وجدة ، والكران يتمركزون بالجنوب الشرقي لتلمسان ، وفي نفس المنطقة التي كانوا يقيمون بها خلال عهد الدولة الزيانيـــة

وقد تحالف ذوو عبيد الله مع بني عامـــر ، وهم بدورهم كانوا يأخذون الضرائـــب على مدينة وجدة ، وندرومـــة ، كما استولوا على المناطق التابعة لزناتة وكتامة كبني يزناسن وهم أبناء العمومة لبني يزناتن وبني اسد ، بطون كومية وقد اتصل ضوء لاء ببنى مراســـن وكان من بينهم موظفون في الدولة الزيانية مثل عيسى بن موسى الذي ولاه مهمة الطواف

---

1 ـ عن ذوي عبيد الله انظر العبر : مجا 6 ، ص 124 ـ 126
وصف افريقية ، ص 5 6 أنظر : - Marçais J : op. cit. p : 584.

2 ـ وأهم قصورها تمنطيت ، وتعرف اليوم باسم أدرار أنظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ص 125

3 ـ ابن بطوطة : الرحلة ، ص 69 6

4 ـ العبر : مجا 6 ، ص 124

5 ـ العبر : مجا 6 ، ص 124 ـ 126 ، أنظر أيضا - Marçais J : op. cit. p.586

6 ـ الوزان : وصف افريقية ، ص 5 6 ، الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 159

(1)
السابقـــة أن هلال القطالوني قد تآمر مع عريف السويد مما جعله يتحالف مع بني مرين سنة (720 هـ/ 1320م) وينخرط تحت لوائهم، ويخلص في خدمتهم، ونتيجـة لذلك أن هؤلاء قد تقربوا من بني عامـــر، وأحلوهم محلهم في خدمة الدولــــة مما أجج نار العداوة بين السويـــد، والدولة الزيانيـــة (2)

وقد حاول السلطان أبو حمو موسى الثاني احداث لون من صراع داخل قبيلة سويـد عندما وافق على تعيين ميمون بن سعيد بن عثمان رئيسا للقبيلـــة، وكان رد الفعل من قبـل أبي بكـــر، ومحمد بن عريف سريعا حيث لحقا بقومهما، ودبرا مؤامرة مقتـــل ميمون، حيث آلت اليهما رئاسة سويـــد (3)، وفي أوائل سنة (770هـ/ 1369م) (4) قدم محمد بن عريف على أبي حمو الثاني فاستقبلـه بحفاوة واحسان، وأرسل مع الوزير عمران بن موسى للحاق بأبي بكر لاستفاء الشرط الذي التزم به، والمتمثل في اخــراج أبي زيـــان من مضارب السويد، ولكن أبا بكـــر بن عريف لم يكن يثق في أبي حمـــو موسى الثـــاني، هذه أمثلة تتناول توضيح العلاقة بين السويد، والدولة الزيانيـــة

أما بنو عامـــر فقد وقفوا موقفـــا يدل على مدى تعصبهم، فعندما سيطر بنو مرين على تلمســـان (698 ـ 1307 هـ/ 1298 ـ 1307) تحالف معهم بنو عـــامـــر لذلك خرجوا، وتركوا مناطقهـــم عند انسحاب بني مرين وعاشوا باطراف افريقيـا

---

1 ـ العبر : مجـ7، ص 219، بغية الرواد، جـ1، ص 214 ـ 215، التنسي ورقـــة 56، انظر أيضا حاجيات : أبو حمو موسى الثاني، ص 17

2 ـ بغية الرواد، جـ1، ص 215
العبر : مجـ6، ص 99 أنظر أيضا حاجيات : السلطان أبو حمو موسى الثاني، سياستـــه وآدابه، مقال بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع 9/ 1970 ص 49

3 ـ العبر : مجـ6، ص 78، انظر أبو نهيف : المرجع السابق، ص
بغيـــة الرواد، جـ1، ص 219

4 ـ نفسه : مجـ6، ص 274، أنظر أيضا حاجيات : نفس المقال، ص 49

5 ـ بغية الرواد، جـ2، ص 207 ـ 208، أنظر أيضا حاجيات أبو حمو موسى الثاني ص 123

يد السلطان لاتنأى الغازين على الأمن بل تعففت عن مقاومتهم ، وردعهم ، وانما اخذ يداريهم بالاعطية والانعام

ويصف ابن خلدون الحالة التي وصلت اليها الدولة فيقول كما وصفنا هنا مرارا ، العرب هم أبناء السهل وسلطة بنو عبدالواد لاتمتد اليهم بتاتا

ويضيف ابن خلدون " وافريقية والمغرب لما أجاز اليهما بنو سليم وبنو هلال منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بهما لثلثمائة وخمسين من السنين قد لحق بهما وعادت بسائطها خرابا كلها ما بين السودان والبحر الرومي " (1) (2)

ولعل ابن خلدون تأثر بآراء من سبقه من الرحالة والمؤرخين المغاربة على أن الميلي يرى أن مالحق بالمغرب من أضرار يرجع الى القيادات الصنهاجية (3) التي لم تحسن السياسة ، وأن هناك مبالغة في تقدير تلك الأضرار من جانب المؤرخين المغاربة وأنهم حطوا مسؤولياتها الهلاليين ، لأنها كتبت من طرف دول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تهتم بالدعاية السياسية لها (4) ، وتلقف الخيط جماعة من المستشرقين واستغلوا هذه الوضعية حتى وصف تاريخ حركة انتقال العرب الى المغرب الاسلامي في عهد الفاتحين المسلمين بأنها كانت كالاعصار يقتلع الأشجار ويهدم المنازل ، وان صح هذا في عهد الهلاليين فان وصف العرب الفاتحين بذلك يجردنا من التبني على الحقائق التاريخية (5) ، كما أننا لانطمئن الى مايسوقه

---

1 ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص 150.

2 ـ الادريسي : صفة المغرب ، ص 93 ـ 103 ـ 109 ـ 121،

لمؤلف مجهول : الاستبصار : تحقيق أحمد مختار العبادي ، ص 154 ـ 161

ابن بطوطة : تحفة النظار ، دار صادر ، بيروت ، 1963 ، جـ 1 ، ص 6 ـ 8

التجاني : رحلة التجاني ، المطبعة الرسمية ، تونس 1958 ، ص 59 ، 68 ، 237

3 ـ تاريخ الجزائر : جـ 2 ، ص 153

4 ـ نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 154

5 ـ أبو ضيف : المرجع السابق ، ص 329

هؤلاء المستشرقين حول أثر الهلاليين ووصفهم بأنهم كانوا كالحريق الهائل يبتلع الاشجار والمساكن ، ويتركها رمادا تذروه الرياح ، على أن بعض هؤلاء وليس مثل جورجان عياس أنصف هؤلاء العرب الهلاليين بقوله : ان بعض هؤلاء رخين (1) الذين اعتمدوا على ماكتبه ابن خلدون عن عرب بني هلال وبني سليم أسرفوا في تحليل تسلسل الأحداث وتطور الأحوال بالمغرب بفساد العرب المستمر منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وحتى القرن الحالي فليس من المعقول أن تسبب بعض القبائل القليلة العدد في انحطاط قطر عظيم مثل افريقية والمغرب الأوسط والأقصى ، وانحلاله وتخريبه لمدة عشرة قرون متصلة ، وليست القبائل هي السبب الأساسي لما حدث ، وان دور العرب مرتبطا من حيث هو نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية السائدة آنذاك ، كما أن التاريخ أكد لنا أن العرب كانوا يميلون لارتياد المراعي والمياه (2) ، وأن معاشهم كان في الابل وأنها أكثر ظعنا وأبعد في القفر ، وهي لاتعتمد في حياتها على التلول ونباتها وشجرها فقط ، بل قوام حياتها مراعي الشجر في القفر (3) ، وهو نفس مالجأت اليه قبائل زناتة ومعنى ذلك أن هؤلاء البدو لم يكن لهم حاجة بالمناطق الساحلية ولادخل لهم في حركة الأحداث السياسية لهذه الدولة أو تلك من دول المغرب الاسلامي ومنها الدولة الزناتية هي التي كانت ترى في فروسية القبائل العربية درعها الواقي

فاذا اضفنا الى ذلك أن وجود هؤلاء البدو في أراضي بني زيان كان لهم دور بارز

---

1 ـ مهرجان ابن خلدون ، ص 60

2 ـ ابن خلدون : العبر ، مج 6 ، ص 50

3 ـ نفسه : مج 7 ، ص 57 ـ 58 ، انظر ايضا ، لقبال موسى : البتر والبرانس والمظاهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الاسلام ، مقال بمجلة الاصالة ، ع 25 / 1976 ، ص 161 ـ 162

في حركـــة التعريب ، فقد ذكر شارل اندري جوليان [1] أن الاستعراب في نواحي الجزائر كلها ، ولكنه في اقليم وهران أعم منه [illegible] ، ولقد ساعد تجاور البربر والعرب منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي على أن يبتلع العرب [2] البربر ، وان يستبدل البربر لغتهم باللغة العربية

ولعل التقارب والامتزاج الذي حدث بين العرب والبربر كان أساسه قـــــوة العقيدة الاسلامية التي وجدت بين العناصر العربية والبربرية وهو ما أكده جاك بيرك حيث قال : " أصبح الكلام باللغة العربية هو صفة من صفة المسلم " فاستقرار السويد في المناطق التي كانت تابعة لبني توجين كان من بين نتائجه تخلي سكان تلك المنطقة عن اللهجـــة الأمازيغية وانتشار اللغة العربية ، وينطبق هذا كذلك على الأراضـــي التي استولى عليها بنو عامر والثعالبة وذوو عبيد الله والعطاف ، وهو ما جعل شـــارل أندري جوليان يقول : " ان عرب المغرب ليسوا في الغالب سوى قبائل زناتـــــة" وان ذلك ليس بجديد على ضوء لأن العرب البدو ، فقد كانت البادية هي المدرســــة الأولى التي تعلم فيها أبناء المدن في جزيرة العرب قبل الاسلام الفصاحة من ذلك أن الرسول

---

1 ـــ تاريخ افريقية الشمالية : ج2 / ص 203

2 ـــ في الأصل يبتلع البربر العرب ، وهو تحريف ، لأن العرب هم الذين اثــــــروا في البربر فحولوهم الى عرب وفي ذلك يقول نفس المؤلف في دهشة من أثر الاسلام الذي يحمله العرب في سرعة المزج بين العرب ، والبربر " ان زناتة سرعان ما تواروا عن مسرح التاريخ فهل طرد هم العرب ، وكيف قدروا على ذلك فيما لم يتجاوز عددهم حوالي مائتي الف ، ضائعين بين ملايين البربر ، وكيف تعتبــر القبائل العربية الموجودة اليوم ، انحدرت من بني هلال ، أنظر شارل أندري جوليـــان ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 204

الفصـــل الثـــاني : الجاليا...

أ

أ ــ المـــدخـــل

ب ــ الجالية الأندلسيـــة

جـ ــ عوامل الهجرة ومراحلها

د ــ اثر الاندلسيين في المجتمع الزياني

هـ ــ الجالية اليهوديـــة

و ــ علاقة اليهود بسلطان الدولة

ل ــ الجالية المسيحيـــة

الفصل الثاني : الجاليات الأجنبية

تتكون الجاليات الأجنبية في أراضي الدولة المغربية من خمسة عناصر مختلفة من حيث الدين والثقافة ، ولكنها تعود ثلاثة عناصر منها الى اصل واحد من حيث التكوين السياسي ، والديموغرافي وهذه العناصر هي :

- العنصر الأندلسي المهاجر من الأندلس والعنصر اليهودي الذي وفد مع المهاجرين المسلمين والتقى بزملائه المستقرين بهذه المنطقة من قبل ، والعنصر الثالث هم النصارى المجلوبين ، اما كعبيد أو جنود مرتزقة من أوروبا أو غير أوروبا . أما العنصران الآخران وهما أقل من العناصر الأولى من حيث الأهمية وهما الأكراد الذين قدموا الى المغرب الاسلامي في عهد الموحدين ، والزنوج الذين جلبوا من السودان بواسطة التجار .

واذا كان لكل واحد من هذه العناصر مكانا يشغله فان العنصر الأندلسي كان له الجانب الأكبر في التكوين الفكري والتطور الاقتصادي من حيث المجالات الحيوية ومنها الزراعة والصناعة

أما العنصر الثاني وهو العنصر اليهودي ، فكان يلتقي مع الأول في كل ما سبقت الاشارة اليه ، وينفرد بوضعية أصبحت [illegible] ومو الاستغلال الذي يأبى المسلم أن يشارك فيه في كثير من الأحيان مثل تجارة الرقيق (النخاسة) والمعاملات الربوية التي تستعمل الضوائق الاجتماعية ، وبقدر ما كان العنصر الأندلسي يرى أنه يقيم في أرض هي أرضه ، ولم يشعر بالغربة ، ولم يفكر في الاستغلال وانما كان اداة تقدم حقيقي فان العنصر اليهودي كان يشعر بهذه الغربة ويستغل الظروف الاجتماعية والاقتصادية أسوأ استغلال .

أما العنصر الثالث ، وهو المسيحي فكان دائما يشعر أنه أجنبي ، ولذلك لم يكن له أي ولاء للمجتمع ، ولا حتى للحكام الذين اجتلبوه ، وكان دائما بحكم عمله في الجيش كمرتزق أو الحراسة يتهم بالخيانة ، والتآمر ، وأحسن مثال على ذلك ما وقع في عهد يغمراسن ابن زيان عندما حاول هؤلاء قتله (2) ، وتورطهم في قتل السلطان أبي حمو موسى الأول سنة 717هـ/ 1317م (1)

وربما عاد ذلك الى أن العلاقات بين الدول المجلوبة منها ، والدولة الزيانية كانت علاقات في أصل تكوينهما علاقات عدائية ، وكانت فترات التحالف أو الصفاء بين هذه الدول ، ومنها قشتالة وأرغون (3)

---

1 ــ ابن خلدون عبدالرحمن : العبر مجا 7 ، ص 174 ، ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، جـ1 ، ص 206 ، انظر ايضا بوعياد : جوانب من حياة المغرب، ص66

2 ــ ابن خلدون : نفس المصدر ، مجا 7 ، ص 216 ، ابن خلدون يحيى : المصدر السابق ص 214 ، حاجيات : المرجع السابق ، ص 57

(3.)

تبطن العداوة لدول المغرب الاسلامي ، وتتربص به الدوائر ، فهي علاقات موصولة وكأنها مقطوعة ، وماكان لها أن تقوم لولا الضعف الذي ساد المغرب بعد انتهاء عصر القوة في شمال افريقية بسقوط دولة الموحدين (1)

أما الأكراد فان دورهم لايتعدى الخدمة العسكرية بينما الزنوج كانوا يعملون كعبيد لدى العائلات الغنية ، وسلاطين الدولة الزيانية ماقلل من أهميتهم عكس العناصر السابقة ، وسوف نتناول الجاليات الثلاثة بالتفصيل على الوجه الآتي :

الجاليات الأندلسية :

العلاقات بين المغاربة والأندلسيين علاقة مستلفة ، ذلك أن الأندلسيين حسب التطور الانتروبولوجي في تكوينهم العرقي من دماء الفاتحين من العرب والبربر بعد الامتزاج في بوتقة الاسلام على الساحل الافريقي ثم أنضم اليهم فيما بعد العنصر الاسباني القوطي مابين داخلين في الاسلام ومولدين من العرب والبربر

فالامتزاج الذي حدث بين العناصر الثلاثة في المجتمع الأندلسي امتزاج طبيعي ليس فيه اكراه ، وانما قام على أساس حضري اسلامي سادت فيه مبادئ التسامح ومن خلال هذا المنظور نجد عبد الرحمن الداخل الأموي كانت دماؤه مزيجاً من العربية والبربرية فأمه من قبيلة نفزة (2)

عوامل الهجرة :

أما أسباب الهجرة فترجع الى عاملين أساسين أولهما : أن أراضي الدولة الزيانية كانت تشكو انهيارا ديموغرافيا تواصل خلال المراحل التي مرت بها الدولة نتيجة لكثرة

---

1) ابن خلدون العبر مجا 230 ـ 240

(1)

(2) ابن عذاري : البيان ، ج2 ، ص 41 ، عن قبيلة نفزة ، أنظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن : العبر مجا 6 ، ص 231 ـ 233

تجـــاه البلاد الاسلامية ، ولكنهم لم ينتفعـــوا بشيء مـــن هــــــذا

أثـــر الاندلسيين في المجتمع الزيـــاني :

أما أثرهم على المجتمع الزياني ، فقد شمل مجموعة من الميادين ، لعل أبرزها الميدان الاداري ، حيث تقلد هؤلاء مناصب في الدولة الزيانية ، وذلك يعود الى تجربتهـــم في هذا الميدان ، بالاضافة لما كانوا يتحلون به من أمانة ، وصدق ، وسيرة حسنة (1) ، ومن بين هؤلاء الفقيه أبو بكـــر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي (2) ، وهو من بين الذين ترجم لهم ، ابن خلدون يحيى (3) ، فقال عنه : روى عن أبي بكر بن جمهور وأبي بكـــر بن محرز (4) وأبي بكـــر الغافقي ، وأبي الحسن بن عبد الرحمن الوفاء وأبي عيسى محمد بن محمد بن أبي سداد ، وأبي المطارف بن عميرة (5) وغيرهم ، أجازه أبو الربيع بن سالم وكان من أبرع الكتاب ، خطا وأدبا ، ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه ، كتب بغرناطـــة عن ملوكهـــا ، وقفل الى مرسية ، وقد اختلت أمورها ، فارتحل الى تلمسان ، ولما ظهـــر اهتمام ... راسن بالعلوم قربه منه ، فقال عنه ابن خلدون يحيى : كتب بها لأمير المؤمنين

---

1 ــ بغية الرواد : ، جـ1 ، ص 19 ، أنظر حاجيات : المرجع السابق ، ص 50

2 ــ أبو بكر محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن جهور توفي سنة (629 هـ/ 1229 م)
أنظر ابن الآبـــار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ1 ، رقم الترجمة 989 ، ص 358

3 ــ أبو بكـــر بن محرز واسمه محمد بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن الزهري البلنسي
ت (655 هـ/ 1254 م) لمزيد من التفاصيل عنه ، أنظر عنوان الدرايـــة ،
ص ص 170 ــ 173 ، نفح الطيب ، جـ 2 ، ص 272

4 ــ أبو علي الوفاء ، ت (633 هـ/ 1235 م) عنه أنظر التكملة لكتاب الصلة ، جـ1 ،
رقم 52 ، ص 22

5 ــ أبو المطرف احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي ت 656 هـ/
1255 م) أنظر ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ 1 ، ص 19

يغمراسن بن زيان ، وتوفيى بها يوم عشوراء (636 هـ / 1238 م) (1)

ومن بين الموظفين الذين توافدوا من الاندلس على تلمسان بن وانا بعد سقوط دولة الموحدين ، ابتاز البحر مع جالية أندلسية فآثره يغمراسن ، ثم قربه من مجلسه وأكـرم وفادته ، وأجله من الخطابة ، والشورى بمكان اصطفاه له

ومن هؤلاء الفقيه عبدون بن الحباك الذي تولى القضاء كما أشار الى ذلك ابن خلدون (2) يحيى ، الا أنه لم يحدد لنا مكان ولاية القضاء ولازمنه ، بل ترجم له فقال : هو الفقيه القاضي أبو محمد عبدون بن محمد الحباك كان خطيبا ، وصاحبا لأمير المسلمين (3) أبي يحيى بن زيان ، ويرى جورج مارسيه (4) أنه من أصل أندلسي ، لأن اسمه ينتهي بالواو والنون

---

1 ــ نظم الدر والعقيان ، ص ص 174 ــ 175 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص129 أنظر أيضا :

2ــ عبدون الحباك لم أجد ترجمة له كاملة ، انظر اشارة ، العبر : مجا 7 ، ص 169 ، بغية الرواد : جـ1 ، ص ص 125 ــ 205 ، أنظر أيضا :

3 ــ تعددت الألقاب بالنسبة لأمراء الدولة الزيانية ، ممايلفت نظر الباحث ، حيث نجد ابن خلدون يلقب بعضهم بأميـــر المؤمنين ، ويلقب يغمراسن في هذا النص بأمير المسلمين ، ومعنى ذلك أن هـــذا اللقب لم يكن مقررا ، وانما هو خضع لأهـــواء المؤرخيـــن ، وقد علمنـــا من دراستنا لتاريخ المغرب والاندلس أن خلفاء بني أميـــة تحرجوا من اطلاق لقب أمير المؤمنين ، واستخدموا لقب أميـــر المسلميـــن ، وفعل نفس الشيء أمراء الدولـــة المرابطية ، الا أن الموحديـــن هم أول تجرأ على استخـــدام هذا اللقب ، وربما ساعدهـــم على ذلك ما كانوا عليه من قـــوة ، في الوقت الذي ضعفت فيـــه الدولـــة العباسيـــة ، أنظر ابن خلدون : المقدمة ، ص
بغيـــة الرواد : جـ1 ، ص 205 ، العبر ، مجا 7 ، ص 169 ، أنظر أيضـــا

(4) MARCAIS (G) : OP. cit. P I76

ومن بين الشخصيات الأندلسية أبو عبد الله محمد بن عمر ابن خميس (1) ، وكان شاعرا موهوبا أثنى عليه العبدري في رحلته المغربية خلال زيارته لتلمسان ، وابن خلدون يحيى الذي ذكر بعض أشعاره

ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي التلمساني (2) ، ويعود أصل أجداده الى مدينة أبلة بالأندلس ، وقد ولد بتلمسان حوالي (681هـ/ 1280م) فدرس بها وتولى هو الآخر الوزارة والحجابة ، وكذلك ابراهيم بن محمد بن ميمون بن الملاح (3) ، وهو حفيد الوزير الأول محمد بن ميمون بن الملاح ، وعلي بن عبد الله بن الملاح (4) لكن دور هذه العائلة الأندلسية قد انتهى بنهاية السلطان أبي حمو موسى الأول

ومن موظفي الدولة من الأندلسيين في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني محمد ابن علي بن القاسم المرسي أحد كتاب الانشاء (5) ، وشعراء البلاط العبد الواد يأبا سعيد العقباني (6)

---

1 ـ عن ابن خميس ، أنظر العبدري : الرحلة المغربية ، ص12 ، التعريف بابن خلدون ص 39 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص 109 ، البستان : ص225 ، نفح الطيب ، جـ7 ، ص ص 277 ـ 297 ، أنظر أيضا المهدي البوعبدلي : نماذج من التراث الأندلسي والجزائري ، مقال بمجلة الثقافة ، ع 82 ، ذو القعدة ، 1404 ، يوليو ، أغسطس 1984 ، ص ص 57 ـ 61

2 ـ بغية الرواد : جـ1 ، ص ص 16 ـ 17 ـ 18 ، العبدري : الرحلة ، ص17 ، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص 63

3 ـ نظم الدر والعقيان : ص 202

4 ـ العبر : مجـ 7 ، ص 217 ـ 218

5 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص 118

6 ـ هو أبو عثمان بن محمد العقباني ، ولد بتلمسان سنة 720هـ/ 1320م ، ودرس عن الأخوين ابني الامام ، كان عالما في التفسير ، والأصول ، والفقه ، والتصوف ، والمنطق ، والحساب ، والهندسة ، أنظر الديباج ، ص ص 124 ـ 125 ، البستان : ص ص 106 ـ 107 ، وأنظر حاجيات : الحياة الفكرية ، في عهد الدولة الزيانية ، مقال بمجلة الأصالة ، ع 26 / / 1975 ، ص 136

فقد خلف أبا عبد الله الشـــريف (1) في التدريس بالمدرسة التاشفينية ، ومنهم أبو عثمـان سعيد بن محمد العقباني (2) ولد بتلمسان سنة (720 هـ/ 1320 م) وأخذ العلم عن الأخوين ابني الامام ، ثم درس على الآبلي ، الأصول والعلوم العقلية

ومنهم قاسم بن سعيد العقباني (3) فقد أخذ عن والده وغيره من العلماء ، فبرع في العلوم الدينية ، وولي القضاء بتلمسان وأخذ عنه حفيده محمد بن أحمد العقباني ، وابنه محمد بن قاسم العقباني الذي كان فقيها عارفا بالنوازل ، وولي قضاء الجماعة بتلمسان ، ومـن أبرز ماكتبـه تحفـة الناظـر (4)

---

1 – سعيد بن محمـد التجيبي الادريسي الحسني ينسب الى قريـة من أعمـال تلمسان ، تسمى العلويين ، وصفه ابن خلدون (بالامـام العالم الفذ ، فارس المعقول والمنقـول ، وصاحب الفروع والأصول ، أنظر : بغية الرواد ، ج. 1 ، ص 19 ، حاجيات : نفس المقال ، ص 137

2 – هو أبوعثمان سعيد بن محمد العقباني ، ولد بتلمسان سنة 720هـ/ 1320 م ودرس فيها عن الأخوين ابني الامام كان عالما في التفسير ، والأصول ، والفقه والتصوف ، والمنطق ، والحساب ، والهندسة ، ومن تلاميذه ، ابن مرزوق الحفيد ، وأبو يحيى بن أبي عبد الله ، الشريف ، والشيخ ابراهيم ، لمزيد من المعلومـات عنه أنظر ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ص 124 – 125 ، نيل الابتهاج ، ص ص 125 – 126 ، أنظر أيضا حاجيات : نفس المقال ، ص 39

3 – قاسم بن سعيد العقباني ، ولد بتلمسان ، ودرس بها ، ومن أبرز تلامذتـه محمد بن أحمد العقباني ، وأبو عبد الله ، ابن العباس ، والمازوني ، أنظـر حاجيـات : نفس المقـال ، ص 147

4 – بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجـري الخامس عشر الميلادي ، الجزائر 1982 ، ص 62 ، حاجيـات : السلطان أبو حمو موسى الثاني ، ص 74

ويأتي اليهود في الدرجة الثانية للاقليات في المجتمع الزياني (1)، ومنهم من كان من أصل مغربي أعتنق الديانة اليهودية مثل جراوة البترية في الأوراس (2) ومديونة التي كانت مضاربها في ناحية تلمسان، كما استقر البعض منهم في المناطق الساحلية، وهناك من هاجر اليها من المشرق، وكانت أول هجرة معروفة نحو شمال افريقية سنة 320م حيث قدم هؤلاء في عهد الامبراطور الروماني طراجان TRANDJANE بينما قدم البعض الآخر من فلسطين بعد انتشار الديانة المسيحية، وهناك بعض الدراسات تناولت الموضوع من بينها الدراسة التي قدمها مايير MAYARE عن الجالية اليهودية في تلمسان، فذكر أنها بدأت من أبراهيم انكاوة (4)

لكن الحقيقة أن الوجود اليهودي في المنطقة يرجع الى أقدم من ذلك، فنجد قبيلة مديونة، وهي من بني فاتن كانوا بناحية تلمسان قبل الفتح الاسلامي لهذا كانوا يحملون اسم مديني

وخلال هذا العهد توافد عدد من اليهود على أراضي الدولة، وهذا على ما يبدو

---

1 ـ عن أهل الذمة، أنظر بصفة عامة مادة " ذمة " مقال بدائرة المعارف الاسلامية، مج 2، ص ص 234 ـ 238

2 ـ عن جراوة : انظر العبر، مج 4، ص 160، أنظر أيضا :

DHINA (A) : les Etat .. de l'occident : P 259

3 ـ عن مديونة : أنظر العبر مج 6، ص 286، أنظر أيضا :

BEL (A) : TLEMCEN et ses environs. guides el-visites - P 5I

BRUNCHVIKG (R) : les berberies orientales T2. P 57
DHINA (A) : Op cit P 259.

MAYAR ( ) voyage d'etudes juives . PP : 538. 556 . 559

4 ـ ابراهم انكاوة ت 846 / 1442

BARGES (J) : TLEMCEN OP cit . P 236 . BEL (A ° : TLEMCEN / P 5I

BROSSELARD (CH) : les inscritions arabes de tlemcen dans la revue africainne . I858 -

يرجع الى عاملين أساسيين :

MAYGRGUE أولهما : الاضطهاد الذي تعرضوا له في بعض الدويلات بالاندلس بصورة وارغون ARAGON وقشتالة ، من ذلك ماحدث في نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وبالتحديد سنة (792هـ/ 1391م) ، ولعل أكبرها هي التي أنطلقت من قشتالة CASTILLE وقطالونة وأراضي الدولة الناصرية نتيجة للاضطهاد الذي تعرضوا له بعد سقوط هذه الدولة (1)

ثانيهمـا : أن توافد اليهود على مدن الدولة الزيانية راجع الى ماكان يتمتع به موقعها الجغرافي من استراتجية ، وبخاصة عاصمتها تلمسان التي كانت تتحكم في الطرق (2) التجارية الكبرى ، وقد شارك اليهود في الحركة التجارية في تلمسان ، وساعدهم على ذلك مهارتهم في فنون التجارة وذكاء تهم ، ومعرفتهم لمجموعة من اللغات أهمها ، العربية ، والفارسية ، واللاتينية (3)

ولما كانت عاصمة الدولة على الطريق التجاري بين السودان الغربي ، والبحر المتوسط ، كانت بها جالية يهودية أسهمت هي الأخرى في النشاط التجاري بها فقد أظهر لهم المسلمون كرم المعاملة وحسن الاستقبال (4)

كماعاش اليهود في ظل أجواء التسامح والانصاف والعدل ، وانعكس هذا على الحركة التجارية ، وأحسن مثال على ذلك يهود ميورقة في نهاية القرن الثامن الهجري /

---

(1) MOHAMED -abou- rass:
تلمسان ، مقال ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج5 ، ص460

(2) GOUDRAY: Relation commerciale de tlemcen avec le sahara et le soudan dans B.S. G . Arch. ...LG. I887 P : 24I . MARCAIS (G) TLEMCEN ET LE eurafricain au moyen age dans eurofricain P . 8

(3) DUFOURCQ (CH.E) : une route de l'OR au moyen -age, dans bulletin d'information (faculte des lettres d'alger N° " - I966- PP 9 et II.

(4) DUFOURCQ (CH.E) l'espagne catalone et le maghreb , PARIS I966 P I39. DHINA (A) OP CIT P. 9

(الرابع عشـــر الميلادي) حيث لم يقتصر وجودهم على النشاط التجاري في المناطـــق (1) الشمالية فحسب ، بل توغلوا في الداخل ، ووصلوا الى أقصى الجنوب وكان على رأسهم التاجر اليهودي المعروف بابراهيم أجادس الذي أشتغل في الواحات الجنوبية ، حيث كانت تزدهر تجارة الذهب ، والرقيق القادمة من السودان الغربي (2)

ومن أهم الأماكن التي تتواجد بها الجالية اليهودية درعـــة (3) التي تعتبر من أهـم الأسواق التجارية التي يتوافد عليها تجار الدولة الزيانية والمرينية ، وكذلك تجـــار المشرق الاسلامي ، ولم يقتصـــر وجود اليهود على سوق درعة فقط ، بل شمل سوق سجلماســـة أيضا يقول : ان يهود تلك المدينة كانوا على علاقـــة مع اخوانهم بتلمســـان

من ناحية أخرى فان تواجدهم بسجلماسة جعلهم يحتكرون النشاط التجاري لهـــذه المدينة التي تعتبر حلقة وصل بين الأسواق المغربية والسودان الغربي (4) ، اضافة الـــى سجلماســـة نجد سوقـــا آخر لا يقل أهميـــة عن سوق درعة وسجلماسة يتمثل في توات (5)

(1) DUFOURCQ (CH.E) L4ESPAGNE CATALONE P I39

2 ــ عن تواجد اليهود في الواحات الجنوبيـــة أنظر :

DUFOURCQ (CH.E) UNE ROUTE DE L4 OR P II
DHINA (A) OP cit P 9 BRUN CHVIG OP CIT T 2 P 459 - 60

3 ــ درعة من بين المراكز الهامة ، تقع على وادي درعة ، جنوب المغرب الأقصـــى عنها أنظر اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص 130 ، ابن حوقل : صورة الأرض ص 100 الادريسي : المصدر السابق ، ص 81 ، الوزان : المصدر السابق ، ص 190

(4) DUFOURCQ (CH.E) ESPAGNE CATALONE P IO , l'auteur aussiecrit un article in: une route de l'OR au moyen -age dans bulletin d'information historique PP 9.II

5 ــ توات : واحة جزائرية لاتزال الى الآن تحمل نفس الاسم تابعة لولاية أدرار ، وتقـــع على مفترق الطرق التجارية ، خلال العصور الوسطى أنظر ابن بطوطة : الرحلة ص 696

COUDRAY . Relation commercialede tlemcen avec le sahara et le soudan P 244

التيكانت بها هي الأخرى جالية يهودية تتحكم في النشاط التجاري ، لأن توات يقصد ها التجار من فاس وتلمسان والسودان الغربي ، ومصر ، وقد ذكر ALFEI أعداد الا يستهان به من اليهود في مدينة تامنطيت عاصمة توات

أما الحسن الوزان ، فقد ذكر أن عددا من اليهود قد نزلوا بعد فرارهم من الأندلس وصقلية في الجرارة ، وتوات ، وكانت الأولى في مفترق الطرق الصحراوية ، حيث كانوا يرافقون القوافل التجارية المنطلقة من الجزائر ، وتلمسان نحو السودان الغربي (1)

كذلك وجدت جالية يهودية في كل من بسكرة ، وتوفرت لهم علاقة باخوانهم في المدن الساحلية ، من ذلك أن يهود ورجلان كانوا يرسلون أبناءهم الى مدينة الجزائر لتلقي الدروس في الديانة اليهودية ، يضاف الى ذلك أنهم كونوا شركات تجارية لها وكلاء في الموانئ ، والأسواق الجنوبية ، وكذلك موانئ الدول الأوروبية ، وقد كانت هناك علاقات تجارية بين اليهود بالأسواق التجارية الواقعة بطرق القوافل ، وأبناء عمومتهم بميورقة ، وكان الاتصال يتم بواسطة موانئ الدولة الزيانية مثل الجزائر وتنس ووهران (2)
ودليلنا على ذلك الوثيقة الميورقية المؤرخة في سنة " 728هـ/ 1327م " الخاصة بدور الجالية اليهودية ، فأهم ماورد فيها : " أبلغت المجموعة اليهودية بجزيرة ميورقة الأمير فليب PRINCE PHILLIPE الوصي على العرش بالمملكة أن قنصل الميورقيين بتلمسان قد أمر جميع تجار ميورقة الموجودين في دولة السلطان أبي تاشفين الأول " 718 ــ 737هـ/ 1318 ــ 1337م " ، غير أن هؤلاء التجار يذكرون أن هذا الأمير قد أعطى أوامره بمبارحة أراضي الدولة منذ شهر ونصف ، وقد قرب الأجل قبل نهايته وتذكر الوثيقة أيضا أن يهود ميورقة يسلمون سلعهم الى تجار الدولة الزيانية الذين يسافرون بها الى مناطق بعيدة ، وبعدها يعودون بقيمة السلعة سواء بالدفع عينا أونقدا ، ونظرا لأن هؤلاء التجار علموا أن الأمير قد أعطى الى تجار ميورقة أمرا بمغادرة أراضي الدولة الزيانية ، فانهم تأخروا عمدا في الرجوع الى تلمسان

---

1 ــ وصف افريقية ، ص 505
2 ــ د هينة عطاء الله وآخرون : تاريخ الجزائر ، ج3 ، ص 480

غيرأن تجار ميورقة الذين ينتظرونهم في هذه المدينة مدينون لعدة تجار في ميورقة نفسها ، وليس للمجموعة اليهودية الساكنة بالجزيرة أي مورد غير هذه التجارة التي يمارسونها على هذا النحو ، معرضة للافلاس ، ولن تستطيع أن تسدد ضرائبها الى ملك ميورقة ، ولهذا فهي تلتمس من الوصيي على العرش أن يمدد من الأجل المحدد (1)

ان هذه الوثيقة توضح لنا العلاقة التجارية بين اليهود والدولة الزيانية ، والمكانة الهامة التي كانوا يحتلونها لأنهم يشكلون مجموعة تجارية قائمة حول الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فهناك الكثير منهم في المدن الرئيسية بايطاليا ومرسيليا وميورقة وفي المغرب الأقصى ، وتونس ، وكانت لهم قرابة عائلية ، الأمر الذي سهل العلاقات التجارية بينهم ، وكانت لديهم سفن تأتي بالسلع من الدول الأوروبية ، وتنقل التجار المسلمين

من خلال ماسبق يتبين للباحث الدور الايجابي والهام للجالية اليهودية بالنسبة للعلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط وأوربا ، ولم يكن الوجود اليهودي مقتصرا على النشاط التجاري فحسب ، بل تعداه الى مشاركة بعض اليهود في النشاطات السياسية بين أوروبا ، والدولة الزيانية ، لأن اليهود كانوا يحسنون اللغتين العربية واللاتينية ، مماجعلهم يشاركون في الوفود التي يتم تبادلها (2)

فخلال عهد الفونسو الثالث ALVANCE III وجاكو الثاني (3) أرسلا اليهوديان ابراهيم وصموئيل انبغال سفيرين من قبلهما للسلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن

---

1 ـ د هينة عطاء الله وآخرون : المرجع السابق ، جـ3 ، ص 480 ، أنظر أيضا ، نجاة باشا : المرجع السابق ، ص 106

(2) DUFOURCQ (CH.E) Une route de l'OR P. IO . BRUNCHVIG (R) OP CIT T 2 P 325
ABID BOL (MCH.) Le juif maghrebin dans revue français d'histoire d'outre mer T.2XVI 1er et 2eme Trimestre (1979) ORP188.

(3) DUFOURCQ (CH.E) l'espagne catalone P I39 . DHINA (A) OP cit P 264

4 ـ عن ابراهيم انبغال ، أنظر

بين مؤيد ومعارض، فمن المؤيدين له الامام محمد بن يوسف السنوسي المشهور بتأليفه في علم التوحيد ، والمتوفي بتلمسان سنة (895هـ/ 1489م) ... السنوسي على فتواه الفقهية الصبغة السياسية التي أكتسبتها هذه القضية، وعرفنا مدى الهوة العميقة التي أحدثتها في الأوساط العلمية ، في كل من فاس، وتلمسان في الفترة التي كان ولاة البلاد فيها يؤيدون اليهود ، وبعد وصول جواب السنوسي لتوات ثار هؤلاء التواتيون ، وهدموا كل معابد اليهود (1)

أما في تلمسان فكان يوجد الحاخام رئيس الجالية الذي يشرف على أبناء طائفته ، ويتمتع بنفوذ قضائي وديني ويحظى باحترام الدولة ، ومن بين هؤلاء ابن الاشقر الذي كان طبيبا خاصا للسلطان الزياني المتوكل على الله عند زيارة عبد الباسط خليل لتلمسان سنة (868هـ/ 1464م) والذي تدخل لدى السلطان فسهل مهمة اليهود في الانتقال من أبادير الى تاجرارت، حيث استقروا بالقرب من المشوار غير بعيدين عن القيصرية التي يزاولون بها نشاطهم الحرفي والتجاري (2)

وقد ذكر الحسن الوزان (3) أن الحي اليهودي في هذه المدينة كان يتألف من خمسمائة بيت لليهود ، وكانوا أغنياء كلهم تقريبا ، الا أنهم قد تعرضوا للنهب بعد وفاة الملك عبد الله سنة (923هـ/ 1515م) ، وبذلك أصبحوا شبه متسولين

وفي وهران كانوا يقومون بالنشاط التجاري ، وبخاصة فيما يتصل بالتجارة البحرية مع الاندلس، وأسبانيا المسيحية ومع جمهوريات ايطاليا ، كذلك يقومون باستئجار السفن الاوروبية واحتكار تجارة الرقيق القادمة من أوروبا والسودان ، لانها تجارة رابحة (4)

---

1 ـ البستان : ص 253

2 ـ نفسه : ص 256

3 ـ الوزان : وصف افريقية ، ص 390

4 ـ

ومن بين الشخصيات اليهودية في وهران الحاخام سيمون بن رماح الذى كان على رأس اليهود بتلك المدينة (1) ، وإضافة الى وهران كانت قلعة بني راشد من المراكز التجارية ما سمح لليهود التمركز بها ومزاولة النشاط الحرفي والتجاري (2)

ولم يقتصر الوجود اليهودي أيضا على قلعة بني راشد بل شمل أيضا مدينة الجزائر التي كانت هي الأخرى من المدن التي استقر بها اليهود ، والملاحظ على هؤلاء أن أغلبيتهم قدموا اليها من قشتالة CASTILLE وبرشلونة BARCEL ومن بينهم تاسغرام TASGHRAME الذي ولد ببرشلونة BARCELONE حوالي 710 هـ/ 1310 م وأصبح على رأس الحاخام في تلك المدينة ، ورحل منها سنة 792 هـ/ 1391م ، واتجه الى المغرب الأوسط ، فاستقر في البداية بمليانة ، ثم توجه الى مدينة الجزائر ، وأصبح على رأس الجالية اليهودية بتلك المدينة ، ومن بين يهود الجزائر البارزين دوران الذى توفي سنة 847 هـ/ 1444م ومن رجال الدين والفلاسفة اسحاق برفات الذي اعتبر المؤسس الأول للدراسات اليهودية بمدينة الجزائر (3)

وخلاصة القول أنه لم تكن هذه المدن الآنفة الذكر هي الوحيدة التي توجد بها الجالية اليهودية بل أغلب مدن الدولة ، وبخاصة بعد الهجرة الأندلسية التي حدثت بعد سقوط غرناطة ، فقد هاجر مجموعة من اليهود خوفا من اضطهاد النصارى لهم (4)

الجاليـــة المسيحيـــة :

كان المسيحيون في أراضي الدولة الزيانية من بلدان أوروبا المطلة على البحر المتوسط وترجع علاقتهم بالمغرب الأوسط الى الفترة التي سبقت قيام الدولة ، فقد تعرض البكري

---

1 — BRUNSCHVIG (R) la barberie oriental sur les HAFSIDS T I P 401

2 — IBID T I P 402

3 — IBID T I P 430

4 — المغرب : ص 44 ، أنظر أيضا : BARGES TLEMCEN PI20

الى ذلك في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، فأشار الى وجود كنيسة مسيحية بمدينة اجاديـر (تلمسان) ونفس الشيء بالنسبة للجزائر بني مزغنة كما لاحظ وجود آثار لكنيسة في قلعة بني حماد ، وكذلك بتيهرت عاصمة الرستميين الا أن الوجود المسيحي قد تأثر خلال قيام دولة الموحدين في أغلب بلدان المغرب الاسلامي نتيجة لسياسة الدولة الموحدية تجاه أهل الذمة ، وبخاصة في المراحل الأولى من حياتها ولذلك يبدو للباحث أن هؤلاء المسيحيين القدماء لم يبق منهم أحد قبل تأسيس الدولة الزيانية (1)

والسؤال الذي يطرح نفسه من أين جاء هؤلاء المسيحيون الذين كانوا موجودين في الدولة الزيانية ويشتغلون بالتجارة ولهم كنائس ورجال دين

والجواب أن بعضهم ينتمون الى العائلة الحاكمة في أجون وقشتالة وميورقة MAYGRQUE وبلنسية ، وجمهوريات ايطاليا ، مثل البندقية FUNIS وجنوه GENOVA وبيزة PIZZA وفرنسا ، والبعض الآخر ينتمي الى الصقالبة الذين كانوا يباعون بواسطة تجار الرقيق من اليهود ، ويمكن توزيع الجالية المسيحية في الدولة الزيانية من حيث مهنتها الى ثلاثة عناصر رئيسية على النحو التالي في جيوشها ، حيث أمكن الاستفادة من خبرتهم العسكرية في مقاتلة اخوانهم من المسيحيين ، وصار هؤلاء الجنود أحد العناصر الأساسية في الجيش ، وبخاصة أثناء الصراع بين الموحدين والمرينيين (2)

هذا فيما يتعلق بالفترة التي سبقت تأسيس الدولة الزيانية ، على أن أول من استخدم الجنود المرتزقة ، يغمراسن بن زيان ، فقد كانت لديه فرقة منهم بعضهم انتقلوا الى خدمته

---

1 ــ يبدو أن تواجدهم كان سابقا على قيام الدولة الزيانية وأنهم وجدوا لدى المرابطين والموحدين ، لأن المعارك التي خاضها هؤلاء بالاندلس اسفرت عن كثير من الأسرى الذين استخدمتهم الدولتان أنظر : MAS LATRIE INTRODUCTION PP I50 . I52

2 ــ العمري : مسالك الأبصار ، ص 135 ، أنظر أيضا BRUNCHVICQ(R)OP CIT T2 P 430

من الجيش الموحدي ، وبلغ عددهم ابان معركة تمزيزدكت حوالي ألفين (1)

وأغلبية هؤلاء اجتلبوا من أراضي التاج الارجوني ، ومن ...

ففيما يتعلق بأرجون ARAGON فانه خلال سنة 648 هـ/ 1251م ، وقع اتصال بين الدولتين ، حيث أرسل يغمراسن أباغزلان لشراء مجموعة من الفرسان لاستعمالهم في معاركه مع المرينيين ، كما حدث خلال معركة ايسلي

ويبدو أن نفوذ هؤلاء قد ازداد في عهد يغمراسن ، فقد حاولوا اغتنام فرصة الاستعراض العسكري الذي أقامه بالقرب من باب كشوطة سنة 653 هـ/ 1254م للتخلص منه الا أنه انتبه ، وترك خيمته ، وعند هجومهم لم يجدوا غير أخيه فقتلوه ، وهذا ما دفع يغمراسن أن يفتك بهم، (2) وكان رد الفعل الطبيعي أن يمتنع يغمراسن عن استعمال الجنود المرتزقة المسيحيين ، الا أنه خلال الفترة 665 – 676هـ/ 1265 – 1276م (3) وجدت وثائق أرجونية تشير الى وجود مجموعة منهم لدى يغمراسن تحت قيادة الفارس GUILLEM GALLERAN DE CARTELLA ثم من قبل PERE DE VILLA (4) والتي كانت خلال سنة 680 هـ/ 1280م تحت اشراف جيمس عديم الأب لبيار الثالث PIERRE III

ولم يقتصر الوجود المسيحي على عهد يغمراسن فقط، بل شمل كذلك عهد ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الذي وجه كل امكانيته نحو المناطق الشرقية تمشيا مع وصية أبيه ولهذا الغرض حسن أبوسعيد علاقاته التجارية ، مع الدول الاوروبية بخاصة شبه جزيرة أيبريا ، فقد تم تبادل السفارات بين السلطان الزياني وملوك قشتالة ، وأرجون ، يؤكد ذلك (5)

---

1 – العبر : مجا 7 ، ص 169، أنظر أيضا الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص355

2 – BARGES : tlemcen ancienne, capitale du royaume,de ce nom ; P I25

3 – DUFOURCQ : l'espagne catalane et le maghreb ; PP i(i . i((.

4 – DHINA (A) : le royaume abdelwadide LG I984 P 67

5 – DUFOURCQ : OP cit PP 3I4 3I5

مارواه ابن خلـــدون عن أن عثمان بن يغمراسن سلطان بني عبدالواد أوفد سفـــارة برئاسة ابن البريدي من صنائع دولته ، الى ملك قشتالة سانشو الرابع (1) SANCHEZ IV عام 692 هـ/ 1293 م ، وكان الهدف من ورائها الحصول على الجند لمواجهـــة الخطر المريني ، وهذا يتماشى مع المعاهدة التي أبرمها أبوسعيد سنة 685هـ/ 1286م (2) مع بيير الثالث PIERRE III والتي نصت في أحد بنودها على تزويد الجيش الزيانـــي بفرسان مسيحيين ، وخلال هذه المدة كان على رأس هؤلاء الجنود الفارس سانشـــوا رودريقيز RODRIGO SANCHEZ (3) ، وعند محاصرة بني مرين تلمسان سنة 698 هـ / 1298 م كان من بين أفراد الجيش الزياني الجنود المرتزقة ، لأنه في نهاية الحصـــار طالبت نساء بني زيان من السلطان أبي زيان الأول ، وأبي حمو موسى الأول تسريـــح النصارى واليهود لمحاربة بني مرين (4) ، وفي تلك المدة 707هـ/ 1307 كان يقود هؤلاء الجنود الفارس فليب دي مـورا DI MORA (5)

أما السلطان أبوحمو موسى الأول الذي أنتهج سياسة التوسع على حساب الدولـــة الحفصيـــة ، وبالخصوص امارة بجاية ، كان ضمن أفراد جيشه أيضا مجموعة من الفرســـان نتيجـــة لتحسين علاقاته مع مملكة أرجون ARGONE (6) التي أمدته بالسفن خـــلال مهاجمته لمدينة بجاية ، وكان ضمن أفراد جيشه أيضا مجموعة من الجنود المرتزقـــة

---

1 ــ العبر مجا 7 ، ص 189 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص 206 ، نظم الدر والعقيان ورقة 57

2 — DHINA : les etats de l'occident musulman [illegible] 45 .
[illegible] et le maghreb

3 — DUFOURCQ : l'espagne catalane et le maghreb PP 324 . 327 . 330

4 — DHINA (A) : le royaume abdelwadide . P 6I
DUFOURCQ (CH.E) OP cit OP P : 472 .

5 — IBID P. 478
IBID P . 5I6

6 —

ويبد وأن نفوذ هؤلاء قد أزداد في عهده ، وخلال عهد السلطان أبي تاشفين الأول الذي قام بحركة توسعية على حساب الدولة الحفصية ، استطاع أن يسيطر على جزء كبير من أملاك هذه الدولة كان من بين قادته هلال القطالوني ، وأن جيشه كان يضم مجموعة من فرسان ميورقة ، وأرغون ، وقطالونية ، وقد لعبوا دورا هاما خلال هذه الحركة التوسعية ، ومن بين قادتهم جيلوم (1) GYLOME الذي تولى قيادة الجنود المرتزقة خلال سنة 725 هـ/ 1325م و 730 هـ/ 1330م

لكن بالنسبة للفترة الموالية فان المصادر التاريخية ، والوثائق المسيحية لم تشر لوجود الجند المرتزقة خلال عهد السلطان أبي سعيد وأبي ثابت ، وحتى في عهد أبي حمو موسى الثاني ، فان الأخوين عبد الرحمن ، ويحيى بن خلدون تحدثا عن حروب هذا السلطان لكنهما لم يشيرا الى وجود الفرسان المسيحيين

على أن الجالية المسيحية في أراضي الدولة الزيانية كانت متعددة الجنسيات ولها قناصل ينظمون وضعية وجودها في المجتمع الزياني ، ذلك أن كل جنسية كان لها قنصلها الخاص يعين من قبل حكومته بعد موافقة السلطان عليه ، كما يوجد نائب عنه ، والقنصل (2) هو الذي يشرف على العلاقات بين الدولة وبلده ، وأبو حمو موسى الثاني ، يقول : ان الأجانب في المجتمع الزياني كانوا يحاكمون من قبل محاكم اسلامية مستقلة تماما وأن هؤلاء الأجانب كانوا خاضعين لنصوص الشريعة الاسلامية ، وهم في معظم الحالات يمتنعون عن قبول هذه الأحكام ، ويتجلى ذلك في وثيقة هي رسالة تم تبادلها بين السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني وبيير الرابع PIERRE IV حيث ورد فيها: "وأما ما ذكرتموه الآن من الحوائج التي كانت أخذت لمتيو مرسيط فحين وصل الوكيل الذي واجهته

---

1 _ DUFOURCQ (CH.E) OP CIT P 472 . DHINA (A) : les etats de l'occident musulman P 446

2 _ EDITION MEME : le royaume abdelwadide P 6I

زوجتــــه الى هنا أوقفناه بين أيدينا ، وسمعنا قوله وأحظرنا خصمه، وأمرناه أن يصل معه

الى قاضي المسلمين ليحكم بينه وبين خصمه بالشـــرع والواضح المتبيـــن

فان الشرع عندنا ينقاد اليه الصغير والكبير ، والرفيع والوضيع ، والغني ، والفقـــير

وسائر الناس في الحق عنده سواء يسلك سبيل الهدى ، ويطرح الهوى " الى أن قـــال (1) :

" فابى الوكيل من ذلك ، وامتنع على أن يقف مع غريمه للشرع والحق أحق أن يتبع ، وكان

ذلك كله بحضرة رسولكـــم ، وصوبيين ذلك لكـــم " (2)

ويتبين من هذا أن وجود القنصل أومندوب الدولة الأجنبية كان حضوره المحاكمـــة

حضورا للمراقبة فقط ، وهو أشبه بما يعمل به في السلك الدبلوماسي الآن فيما يخص القنصليات

الأجنبيـــــة (3)

ومن كل ما سبق يتضح من وظائف القنصل ونائبه ، المشاكل التي تواجه أفراد الجاليـــة

وبخاصـــة الصراعات فيما بينهـــا

كما كانت العلاقات بين الدولة الزيانية وملوك الدول التي لها جاليات مسيحيــــــة

تقوم على أساس اتفاقيات ومعاهدات معتمدة يمكن الرجوع اليها وقت الحاجة يؤكـــد

ذلك الرسالة المتبادلة بين السلطان أبوحمو موسى الثاني وبيير الرابع (4) وكذلـــك

بين أبي تاشفين الاول وبيير الثالث (5) PIERRE III

1 _ DHINA (A) : les etats de l'occidentMUSULMAN P 520

2 _ IBID P 523

3 _ IBID P 503

4 _ IBID P 507

فاســـــر مفرد تلماس ومعناه : بيب ماء أ ينبوع ماء أبي مدينة الينابيع ، وقد علق علـــى هذا التفسير بقولـــه ، وهذا المعنى يتلاءم تماما مع [illegible] ماء عذب متفجر من كل مكـــان المنساب من كل الاتجاه (1)

أما الباحثون المختصون في تاريخ الدولة الزيانية مثل الأب برجيس (2) وجورج مارسيـــه (3) من المستشرقين الفرنسيين وحتى الباحثين الجزائريين أمثال عبد الحميد حاجيات (4) ، ومحمود بوعياد ، وعطاء الله دهينة فقد أخذوا برأيـــى ابن خلدون يحيى ، لأنه يتفق مع طبيعة المكان الجغرافيا ، وأقرب تاريخيا لمعرفـــة الأصـــل واللغـــة

وأما أجادير فهو الاسم الفنيقي القديم لها دخل في لغة البربر ومعنى أجادير يســـر بجيم قاهرية الحرف ، والهضبة ، وقد علل محمد بلغراد ذلـــك بقوله : وهـــــذا يتفق وموقع المدينة لأنها تقوم على هضبة قليلة الانحدار ، وتنتهي فجأة من السهـــل وتشرف عليه من ناحيـــة الشمال ، والمشـــرق ، ثم أشـــار الى معنـــى آخـــر نقال ولعل اسم اجادير هو أصل القصبة المغربية التي تطلق على هـــذه المدينـــة

---

1 ـــ بلغراد : نفس المقال ، ص 299

(2) – Tlemcen Ancienne Capitale du Royaume de ce Nom p.82 Piess et Canal les villes d'Algérie tlemcen ext de la revue de l'Afrique Française 1888 p. 172. MARCAIS (G) : Tlemcen Ville l'Art p; 56.

(3) – Dhina (A) Les etats de l'occident Musulman aux XIIIème XIV ème et XVè PP. 125.126.

(4) حاجيات عبد الحميد : ابو حمو موسى الثاني ، حياته وآثره ، ص

(5)

(1)
اســم تلمسان الجدار أو مدينـــة الجـــدار
(2)
أما يحيى بوعزيز ، فيرى أن أجادير اختطها بنو يفرن الزناتيون منذ عصور قديمة ، وقد نسي السكان حولها أساطير كثيرة ، والجدار الذي نسبت اليه هو المعنى في قوله تعالى : ((وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة))
(3)
ويؤيد هذه الرواية الرحالة المصري عبد الباسط خليل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن تلك الأسطورة بقيت متداولة بين الأوساط الشعبية ، وهي بعيدة كل البعد عن الحقيقة التاريخية ، وينفي يحيى بوعزيز أن يكون مؤسس هذه المدينة الرومان لأنها أقدم منهم بكثير

من ناحية أخرى فان الباحثين لم يتناولوا كيف تحول اسم تلمسان الى أجادير وما الأسبق منهما ، ولكن يبدو أن موقع تلمسان غير موقع أجادير ، ولعل الأولى كانت بالقرب من الثانية

مرت مدينة تلمسان في تطورها بعدة مراحل منذ الفتح الاسلامي ، فقد كانت تعرف
(3)
قبل الفتح باسم بماريـا حاضرة لاقليم وهران حينما افتتحها المسلمون في عهد

---

1 ــ محمد بلفراد : نفس المقال ، ص 299.
2 ــ يحيى بوعزيز : نفس المقال ، ص 4 ــ 5

(3)

(1)
أبو المهاجر دينار ، وكانت هذه المرحلة الأولى

(2)
أما المرحلة الثانيـة فهي الفترة التي قامت فيها الامارة الصفرية لقبائل أبي قرة اليفرني

وأما المرحلة الثالثة فكانت عقب تأسيس الدولة الادريسية 172 هـ/ 798 بالمغرب الأقصى التي اتخذت فاس عاصمـة لها ، فقد توسعت هذه الأخيرة على حساب مدينـة تلمسـان ، وان كان قد أقام بها بعض العلويين مثل أبناء القاسـم (3)

وأما المرحلة الرابعة فهي التي واجهت فيها هذه المدينة حركة توسع ، وكان ذلك عقب قيام الدولـة الفاطمية 296 هـ/ 909م ، وقد لقيت حركة التوسع الفاطمـي معارضـة من قبل المغراويين (4) ، وكانت تلمسان من بين مراكزهم وحتى عند انتقـال الفاطميين الى مصر سنة 361 هـ/ 971م (5) وتعيين بلكين بن زيري على ولاية المغـرب الاسلامي بقيت معارضـة لهم (6)

---

1 ـ على أن بوماريـا البساتين كانت في أول نشأتها معسكـر رومانيا ، صار في زمن لاحق مدينة ، انظر بلغراد ، نفس المقال ، ص 299
ابن عذاري : البيان ، جـ1 ، ص 210 ، العبر مج4 ، ص 24

2 ـ عن أبي قرة اليفرني : انظر البيـان ، جـ1 ، ص 211 ، وروض القرطـاس ص 9 ـ 11 ، سليمان بن داود : أبي قرة ، مقـال الاصالة ، ع 26 ص
ابن خلدون ، العبر ، مجا 7 ، ص 156

3 ـ البيان : جـ1 ، ص 211 ، روض القرطاس ، ص 11 ، العبر مجا 7 ، ص 157 ،
ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق3 ، تحقيق مختار العبادي وابراهيم الكتاني ، الدار البيضـاء ، 1964 ، ص 188 ـ 212

4 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة زيان بنو، ص 454 ، أنظر أيضا بلغراد ، نفـس المقـال ، ص 302

5 ـ البيان : المغرب ، جـ1 ، ص 325 ، المختصر في أخبار البشر ، جـ2 ، ص 117
المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ1 ، ص 134

6 ـ عن اختيار بلكيـن لولاية افريقيـة ، انظر العبر ، مجا 6 ، ص 314
الكـامل ، جـ8 ، ص 221 ، أنظر لقبال : المرجع السابق ، ص 486

وقد تعرض لتلمسان خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي الرحالة ابن حوقل التصيبي فبين أن المدينة قديمة ، حيث الأجيال وجود آثار رومانية (1)

وقد خضعت المدينة من جديد للمغراويين ، وكان ذلك في سنة 412 هـ/ 1019 حيث استولى عليها زيري بن عطية الذي كون امارة له بالقرب من مدينة وجدة (2)

وعند تأسيس دولة المرابطين وتوسعها على حساب المغراويين ، قام يوسف بن تاشفين بمحاصرة مدينة أجادير ، وعندما استعصت عليه شيد مدينة جديدة الى الغرب منها عرفت باسم تاجرارت ، وذلك سنة 462 هـ/ 1069م (3)

ومن بين الرحالة الذين تعرضوا لها خلال هذه الفترة البكري ، الذي قال عنها : (4)

" هي مدينة المغرب ، ومقصد تجار الآفاق ، وبها مسجد جامع (5)

---

1 ـ العبر ، مجا 7 ، ص 373

صورة الأرض ، ص 79

2 ـ عن زيري بن عطية ، انظر : اعلام الاعلام ، ق3 ، ص 155 ، روض القرطاس ص 69 ـ 76 ، الاستقصا ، ج1 ، ص 211

البيان ، ج3 ، ص 29 ، العبر ، ج4 ، ص 216 ، أنظر أيضا :

BERGES (G) : tlemcen P I72

3 ـ تاجرارت أو تاقرارت هي كلمة بربرية مؤنثة معناها معسكر ، وبنيت المدينة في موضع المعسكر الذي أقامه لحصار أجادير حوالي 473 هـ/ 1069 ، انظر ، ابن عذارى : البيان ، ج4 ، ص 29

أنظر ، بلقراد : نفس المقال ، ص 300 ، العبر مجا 7 ، ص 49 ، بغية الرواد ج1 ، ص 91

4 ـ المغرب ، ص 66 ، أنظر أيضا :

BERGES (G) OP cit P

5 ـ عن بناء المسجد الجامع بتلمسان انظر المغرب ، ص 130 ، البيان ، ج3 ، ص 34

أنظر أيضا : WILLIAM. G.M les monuments arabes de tlemcen PARIS I905

PP.I27 . I28

BERGES . tlemcen PP . 88 . 89

بورويبة : جولة عبر مساجد تلمسان ، مقال بمجلة الأصالة ، ع 26 ، 1975 ، ص 172 ، بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص 172

فالنص الذي أورده البكري يوضح أن المدينة تحتل أهمية كبيرة فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية لتحكمها في الطرق التجارية الكبرى ، والمطلة على أسواق غنية بالسلع ، ومساجد من بينها المسجد الكبير الذي أسس في عهد الدولة المرابطية وتعتبر هذه المرحلة الخامسة (1)

وعند سقوط دولة المرابطين ، وقيام دولة الموحدين سنة 539 هـ/ 1144م أصبحت تلمسان خاضعة لهم ، وقد نزح اليها خلال هذه الفترة الكثير من تجار وصناع مدن افريقية ، فساهموا في ازدهارها خاصة ، اذا علمنا أن الدولة الموحدية حافظت على مكانتها فجعلتها مقرا لولاية المغرب الأوسط، وقد تحدث الادريسي عن رخص أسعارها ، ونفاق أشغالها ، ومرابح تجارتها ، ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ، ولا أرفه منهم حالا (2)

وهذه هي المرحلة السادسة من تطورها ، وقد ازدادت أهمية هذه المدينة بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الزيانية ، فتوافد عليها الناس من مختلف الأرجاء وقد وصفها عبد الرحمن بن خلدون بقوله : " اختط بنو زيان بها القصور المونقة والمنازل الجميلة ، واغترسوا الرياض ، والبساتين ، وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ، ورحل اليها الناس من القاصية ، ونفقت بها أسواق العلوم ، والصنائع فنشأ بها العلماء ، وفاقت أمصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية (3)

وفي عهد السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن 681ـ 703هـ/ 1282ـ 1303 وصفها العبدري فقال " تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر

---

1 ـ العبر مجـ 4 ، ص 336 .

2 ـ وصف افريقية الشمالية والصحراوية نشر بيراس، الجزائر 1957 ، ص 87 ، دائرة المعارف الاسلامية ، مجـ 5 ، مقال تلمسان ، ص 36

3 ـ ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر ، مجـ 7 ، ص 161 ـ 162

أنظر أيضا الميلي ، المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 352

مقصورة باثنين بينهما سور لها جامع عجيب عالي متسع وبها أسواق رائجة ، وأهلها (1) ذوو لياقة والدائر بالبلد كله مغروس بالكروم وأنواع الثمار ... الأسوار"

وقد وصفها الزهري بقوله : " دار ملك قديمة طيبة الهواء ، كثيرة الفواكه والزرع ذات عيون غزيرة وأعمال متعددة باردة المشتى لكثرة ثلجها ، وأهلها موسومون بالخير من قبائل جاورتها (2)

ويقول يحيى بن خلدون عن دار ملكهم (بنو زيان مدينة عريقة في التمدن لمدينة الهواء عذبة الماء ، كريمة المنبت اقتعدت بسفح جبل ودوين (لعلها نود ون) رأسه بسيطا أطول من شرق الى غرب ، عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على الجبين ، تطل منه على فحص أفيح معد للفلح ، وقد تغنى بجمالها (3) الشعراء من ذلك ما قاله في وصفها شاعرها ابن خميس (4)

تلمسان جادتك السحاب الدوالي :: وأرست بواديك الرياح اللواقح

وسح على ساحات باب جيادها :: ملث يصافي تربها ويصافح

يطير فؤادي كلما لاح لامع :: وينهل دمعي كلما ناح صادح (5)

ومن ذلك قول أبي عبدالله محمد بن يوسف الثغري الاندلسي من قصيدته (6)

---

1 ـ العبدري : الرحلة المغربية ، ص 14

2 ـ كتاب الجغرافية ، ص 96

3 ـ ابن خلدون : يحيى بغية الرواد ، ج1 ، ص 85 ـ 86

4 ـ عن أبن خميس : انظر المهدي البوعبدلي ، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها ، مقال بمجلة الأصالة ع 26 / 1975 ، ص 124 ـ 135

5 ـ ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ج1 ، ص 86

6 ـ ابوعبدالله محمد بن يوسف القيسي الثغري ولد بتلمسان ونبغ في فنون الآداب فنظم القصائد الغراء التي كان يلقيها في الحفلات الدينية ، أنظر حاجيات : الحياة الفكرية في تلمسان في عهد بني زيان ، مقال بمجلة الأصالة ع 26 / 1975 ، ص 150

قم فاجتل زمن الربيع المقبل :: ترما يسر المجتني والمجتلي

وانشق نسيم الروض مطلولا وما :: أهداك من عرف ... ل

وانظر الى زهر الرياض كأنه :: درر على لبات ربات الحلي

في دولة فاضت يداها بالندى :: وقضت بكل منى لكل مؤمل (1)

وقول أبي عبد الله بن أبي جمعة التلالسي (2)

سقا الله من صوب الحيا ما طلاوبلا :: ربوع تلمسان التي قدرها أشملى

ربوع بها ذان السباب مصاحبي :: جررت الى اللذات في دارها الذيلا

فكم نلت فيها من أمان قصية :: وكم منح الدهر الضنين بها النبلا

وكم غازلتني الغيد فيها تدللا :: وكم من عذول لاأطيع له قولا (3)

وكم ليلة بتنا بصفصيفها الـذي :: تسامى على الانهار اذ عدم المثلا

وكدية العشاق لها الحسن منتهى :: يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا

نعم وغدير الجوزة الطالب المجتى :: نعمت به طفلا وطبت به كهلا.

ومنه ومن عين أن يحيى شرابنا :: لأنهما في الطيب كالنيل بل أعلى (4)

وقد أشار في هذه الابيات الى عدة ملامح تصف الطبيعة أجمل وصف وتشير الى بعض معالمها منها نهر الصفصف، وكدية العشاق، وغدير الجوزاء وعين أم يحيى

فهذه الاوصاف التي تناولت مدينة تلمسان لايمكن أن نرتاب فيها لأنها وردت من موظفي هذه الدولة، رغم أن هؤلاء الجماعة قضوا شطرا من حياتهم داخل تلمسان

---

1 — المقري : نفح الطيب ، ج9، ص 336

2 — نفسه : ج9 ، 337

3— رشيد مصطفاي : تلمسان في الأدب العربي ، مقال بمجلة الاصالة، ع 26، ص 357

4— بغية الرواد ، ج1 ، ص 89

أما عن توسعها فالسلطان أبو حمو موسى الأول فقد عمد الى بناء قصبة داخل المدينة ، وكان سبب بنائها أن القبائل الخاضعة لأبي حمو الأول قد اشترط عليهم أن يأخذ من أبنائهم رهائن ، فلما كثر عدد هؤلاء بنى لهم هذه القصبة وأسكنهم فيها[1] في مكان يصفه حاجيات بقوله : يصعب تحديده الا أنه عاد قال " ولعله يقع غربي المشوار في اتجاه حي المطمر ، وربما كان سبب جهل مكانها يرجع الى أنها اندثرت ، ولم يبق منها اثرا ، يذكر ، وخلال الحصار المريني[2] انحدرت مجموعة من السكان الى الهجرة ، فالمصادر تذكر أن هناك بعض العلماء قد بارحوا المدينة كالابلي ، ومن المعتقد ان الهجرة لم تقتصر على هؤلاء العلماء بل امتدت الى بقية الطبقات الاجتماعية الأخرى[3]

ذلك أنه عند ما حاصرها السلطان ابو الحسن المريني فر منها عدد من سكانها الا أن هذه الهجرة مؤقتة ، لأن السكان قد عادوا اليها بعد أن زال الخطر عنها كما أن الازدهار الاقتصادي كان من بين عوامل ازدياد عدد سكانها وأحسن مثال على ذلك عهد السلطان أبي تاشفين الأول الذي يعتبر بحق العصر الذهبي لها[4]

كانت تلمسان محصنة بواسطة أسوار سهلت مهمة سلاطين الدولة في الدفاع عنها وذلك أنها استطاعت الصمود أمام المرينيين في الحصار الطويل الذي ساهم في تهديد المدينة

---

1 ـ يعلق عبد الرحمن بن خلدون على ذلك فيقول استبلغ في أخذ الرهن من أهل العمالات وقبائل زناتة ، والعرب حتى من قومه بني عبد الواد ، ورجع الى تلمسان ، وأنزلهم القصبة ، وهي الشور الفسيح الخطة تماثل بعض الأمصار العظيمة اتخذها للرهن فملأ تلك القصبة من أبنائهم واخوانهم وشحنها بالأمم وأذن لهم ابتناء المنازل واتخاذ النساء ، واختط لهم المساجد فجمعوا فيها الصلاة الجمعة ونفقت بها الأسواق والصنائع ، أنار العبر ، مج 7 ، ص 215

2 ـ أبو حمو موسى ، ص 59

3 ـ المسند الصحيح الحسن ، ص 283 ـ 284

4 ـ كتاب الجغرافيا : تحقيق حاج صادق ، مجلة معهد الدراسات الشرقية دمشق 1968 ، ص 96

في أواخر القرن السابق ، وبداية القرن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، وقد وصل عدد السكان بها حوالي عشرة آلاف أسرة خلال عهد السلطان الزياني أبو تاشفين الأول الذي استطاع أن يحطم أعداء الدولة الزيانية مثل بني توجين ومغراوة (1)

والواقع أن زيادة السكان بالمدينة مرتبطا بالاستقرار السياسي وانعدامه ، ودليلنا على ذلك أنه عندما تعرضت تلمسان للحصار الطويل في الفترة ما بين 698 ـ 707 هـ/ 1298 ـ 1307 م شيدت مدينة جديدة غير بعيدة عنها عرفت باسم المنصورة (2)

وقد فقدت تلمسان أيضا عددا من سكانها بعد سيطرة الأتراك على المدينة وقد ذكر الحسن الوزان أنه قد بلغ عدد سكانها ثلاثة عشر ألف بيتا

ويتفق أغلب المؤرخين والرحالة على أخلاقية سكان تلمسان التي نأت في جانبها الاجتماعي من اخلاق البدو ، وأصبحت نموذجا للمجتمع الاسلامي المتمدن والى ذلك كانت الاشارة التي قدمها يحيى بن خلدون ، حيث قال : عن أهلها قلت وأنا أنشد قول ابن خفاجة (3)

ماجنة الخلد الا في دياركم :: ولو هذه كنت لو خيرت أختار

ثم وصف أهلها بأنهم أمثال البربر والعرب ، ثم قال عنهم واهلها موسومون بالخير من قبائل جاورتها ، ويرى الدكتور حاجيات ان جاورتها بمعنى حاوتها

1 ـ ابن خلدون يحيى : المصدر السابق ، ج1 ، ص 204 ، انظر ايضا الميلي المرجع السابق ، ج2 ، ص 354 ، حاجيات : المرجع السابق ، ص 18

2 ـ ابن خلدون عبد الرحمن : العبر ، مج 7 ، ص 196 ، وابن خلدون يحيى : المصدر السابق ، ج1 ، ص 210

3 ـ وصف افريقية ، ص 394

4 ـ ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ج1 ، ص 90

ثلاثـــة قبلـــة باب الحمام وباب وهب وباب المخوخة وواحد شرقا هو باب العقبة وواحد غربا هو الذي ينسب الى أبي قرة اليفرني (1)

أما يحيى بن خلدون فقد ذكرها على النحو التالي ثلاثة قبلة باب الجياد وشرقـــا باب العقبة وشمالا باب الحلويين وباب القرمدين وغربا باب كشوطـــة (2).

ولعل الاختلاف في توزيع الأبواب بين البكري ويحيى بن خلدون يعود الى أحـــد احتماليـــــــن :

الأول ــ هو اختلاف الفترة التاريخية بين المؤلفين ،لأن الأول عاش في القرن الخامـــس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، بينما الثاني في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وبذلك عاصر الدولة الزيانية عهد أبي حمو موسى الثاني

ثانيا ــ أن البكري وصف مدينة أجادير ، ويحيى ابن خلدون تاجرارت ، ولكن هذا الاحتمال الأخير ينقصه وجود أبواب مشتركة مثل باب العقبة الذي يقع شرقا في كـــل الوصفين ، مما يجعلنا نؤكد الاحتمال الأول ، وقد اعتمد يحيى بوعزيز على التوزيـــع الأول للأبواب ، ونقل عن أبي الفداء أنه ذكر لها ثلاثة عشر بابا ، وهذا يتفق مع رأيـــ المؤرخين الفرنسيين مثل الأب برجس PERE BERGES وجورج وليام مارسيه لأن المدينة لها أبواب داخلية غير هذه الأبواب الخارجية ، ومن هنا نشأ الاختـــلاف في ذكر الأبواب من حيث العدد أومن حيث الكم والتسمية (3)

---

1 ــ البكري : المغرب ، ص76 ــ 77 أنظرأيضا

BERGES (J) TLEMCEN P. MARCAIS G.W. LES MONUMENTS ARABES DE TLEMCENP.II7.I35

BOUROUIBA RACHID :l'archetacture militaire de l'algerie medie vale algerie I983 P.I00

2 ــ ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، جـ1 ، ص216

3 ــ نفس المصدر ، جـ1 ، ص20 أنظرأيضا

وقد ذكر ابن مرزوق الأبواب الداخلية عند تعرضه الى السلطان أبي الحسن المريني أثناء انتقاله من تلمسان السفلى الى العليا قال عنه "[illegible] زيري"(1) وهناك أبواب أخرى منها باب ايلان الذي مازال معروفا لدى السكان ، ويطلقونـــه على حي من أحياء المدينة ، وقد حرف الفرنسيون الاسم أثناء احتلالهم لتلمسان فسموا شارعا في باب ايلان(2) باسم بابلين ، وبما أن هذا الباب كان واقعا بوسط تلمســـان وبعيدا عن الأسوار الخارجيـــة التي تحيط بالمدينـــة

يعتبر المشوار من أهم القصور التي أسست في عهد الدولة الزيانية اذ هو عبــــارة عن قلعـــة محصنة يقع في الجهة الجنوبية ، وكان المقر الرئيسي لسلاطين الدولـــة الزيانيـــة منذ عهد يغمراسن بن زيان 633 هـ/ 1235 ــ 681هـ/ 1283 م ، وهـــو عبارة عن شكـــل مستطيل طوله مائتا متر ، وعرضه مائة متر ، وله بابان(3) ويبدو أنه تعرض هو الآخر الى التهديم في بعض أجزائه ، خلال الهجومات المرينيـــة(4) المتواصلة على المدينة مما أدى بسلاطينها الى تجديد أسواره ، وقد تعرض له التنسي(5)

---

1 ــ ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 283 ، أنظر أيضا ، BERGES (G) . HISTOIRE de beniziane PP.20.2I

2 ــ باب ايلان تقع غربي الجامـــــع الكبير بتاجرارت في اتجاه باب كشوطـــــــة انظر حاجيات : أبو حمو موسى ، ص 181 أنظـــــر أيضـــــا :

W.G.MARCAIS :OP cit P. I34

(3) BROSSELARD (CH) LES inscription arabes de tlemcen PP 24I.247

W.G. MARCAIS : les monuments de tlemcenarabes PP. 266.269

BERGES (J) : tlemcen ancienne capitale PP.I86.358

DHINA (A) : OP cit P. I29

دائرة المعارف الاسلامية : زيان بنو ، ص 453

4 ــ بغية الرواد ، جـ2 ، ص 40 ، نظم الدر ، ص 23 ، أزهار الرياض ، جـ3 ، ص 216

5 ــ نظم الدر والعقيان ، ص 336

فذكر أن السلطان أبا العباس احتفل في الرابع من رمضان سنة 848هـ/ 1446م ، وشادي تلك المدة كانت تقام به الاحتفالات بمناسبة المولد النبوي الشريف مثلما هو الحال في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني

ومن بين الرحالة الذين تعرضوا الى وصف المشوار ، الحسن الوزان (1) خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) فقال في شأنه " يقع القصر الملكي جنوبي المدينة ، وتحيط به اسوار عالية في الارتفاع على غرار القلاع وهو يحتوي على قصور أخرى من حدائقها وقساطيلها ، وكلها متقنة البناء جدا من هندسة رائعة ولهذا القصر بابان الاول يفتح على البادية والثاني نحو المدينة حيث يقيم قائد الحرس" يعتبر هذا النص أهم النصوص التي تناولت المشوار بالوصف فقد حدد عمارته وتحصيناته ، كما أشار الى وجود منتزهات بداخله تشتمل على حدائق (2)

ويبدو من النصوص التاريخية المعاصرة للدولة الزيانية أن سلاطينها لم يكتفوا بالمشوار الذي ورثوه عن الدول التي سبقتهم ، بل شيدوا قصورا أخرى ربما كانت أجمل وأبدع منه ، لكن الحروب التي عاشتها الدولة الزيانية منذ تأسيسها حتى سقوطها كانت سببا في خراب معظم قصورها ، حيث كان اهتمام الزيانيين ببناء القصور لا يقل أهمية

---

1 ــ وقد اعتمد على وصف الحسن الوزان للمشوار ، المؤرخون المحدثون الذين كتبوا عن الدولة الزيانية ، ومن بينهم الأب برجيس الذي لم يأت بجديد ، وكل ماقاله هو نقل من وصف افريقية للوزان ، ص 139 وعن المشوار أنظر BERGES : tlemcen P. I66

2ـ أنظر ايضا حاجيات : المرجع السابق ، ص 59 ، بلقراد : المقال السابق ، ص 307 ، يذكر بأن المشوار قد شيد في الموقع الذي أقام فيه يوسف بن تاشفين 410 هـ/ 500 هـ فسطاطه عندما كان محاصرا لأجادير

عن جيرانهم كالحفصيين والمرينيين ، وحتى الناصريين بالأندلس ، وقد بدأ الاهتمام بالنشاط العمراني من بداية الدولة الزيانية ، فأول ملوكها يغمراسن بن زيان (1) سعى الى صبغ محيطه بشيء من مظاهر الأبهة ، وهذا ماجعل يحيى بن خلدون يقول عنه : " أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك " (2)

أما عبد الرحمن بن خلدون فقد قال في شأن تلمسان : " لم يزل عمرانها يتزايد (3) وخطتها تتسع والصروح بها بالآجر والقرميد تعلو وتشاد الى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين واجروا خلالها المياه ، وأصبحت أعظم أمصار المغرب "

فهذه الحركة العمرانية والبستنة والمساحات الخضراء تدل على التطور الحضاري ورقي الحياة الاجتماعية والذوق الفني الرفيع الذي تميز به سلاطين الدولة الأوائل ، وقد نشطت الحركة العمرانية في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول الذي لم يكتف بالمشوار بل أنشأ قصرا آخر سماه البيضاء (4)

وهو مايؤيده عبد الرحمن بن خلدون الذي أشار الى ولوع أبي حمو موسى الأول ببناء القصور (5)

---

1 ـ عن قصور الناصريين أنظر ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة نشر عبد الله عنان ، القاهرة ، 1955 ، وقم الحلل في نظم الدول تونس 1316 هـ / 1899م ، اللمحة البدرية في الدولة الناصرية القاهرة 1947

2 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص211

3 ـ العبر ، مجـ7 ، ص161 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص212
أنظر أيضا الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص380 و ط 1979 ، ص818

4 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص214

5 ـ العبر ، مجـ7 ، ص157

فيذكر المؤرخون أنه شيد قصرا في منارب [illegible] ـهــا (1) في المكان الذي يعرف اليوم ببلدية عمي موسى ، وهو تحريف [illegible] بي [illegible] موسى (2) ولم يكتف بالقصور فقط بل أمر بتشييد الحصون ، ومن أهمها حصن اصفون (ازفون) بالقرب من مدينة بجاية ، وقد هدم من قبل الحفصيين

" أما أبو تاشفين فقد ولع هو الآخر ببناء الدور والقصور ، وتشييد المصانع ، واغتراس المنتزهات مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم بين نجاريين وزلاجيين ، وزواقيين ، وغير ذلك مع صدقه رحمه الله بالاختراع ، وبصره بالتشكيل ، والابتداع فخلد آثارا ، لم تكن قبله لملك ، ولا عرف لها بمشارق الأرض ، ومغاربها " (3).

وأما ابن الخطيب فيقول عنه : " مشيد القصور ، ومروس الغروس ، ومتبنك الترف الى اتمام مدته ، وهدرا من مدة أخيه بعده " (4) ، ومن قصور دار الملك ، ودار السرور (5) وابي فهر ، كما عمد هو الآخر الى بناء الحصون من بينها حصن بتر ، الذي شيد في بداية الوادي المؤدي الى مدينة بجاية ، وحصن الياقوتة في أعلى الوادي بيب مقابل لمدينة بجاية

---

1 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص 213

2 ـ مدينة ازفون : لا تزال تحمل نفس الاسم ، تقع غرب مدينة دلس ، أما الحصن فقد تهدم

3 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص 215 ، العبر : مـ 7 ، ص 215 ، أنظر أيضا الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 380

4 ـ ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص 216

5 ـ وعن دار السرور ، وأبي فهر ، أنظر التنسي : المصدر السابق ، ص 102 أنظر بغية الرواد جـ1 ، ص 216 أنظر أيضا :
BERGES : complements a l'histoire de benizeiane PARIS I887 P. 78

ولعل من أبرز الحصون التي أقامهـــا تامزيز دكت(1) الذي شيد على المرتفـــع المعروف اليوم بسوق الخميس بالقرب من مدينة القصور ، وخرب من قبل المرينيـــين بمساعـــدة من بني مريـــن

وقد لعب المشوار دورا اجتماعيا هاما ، ففي كل سنة كانت قاعته تشهد احتفالات بمشاركـــة أغلب الطبقات الاجتماعية ، وتمتد حتى طلوع الفجـــر ، كما كان المكـــان المفضـــل لاستقبال الوفـــود الأجنبيـــة القادمـــة لتلمســـان

وقد كان بالمشوار مجموعة من المخازن بعضها مخصص للحبوب ، وقد أورد ذلـــك ابن خلدون عند تعرضـــه للحصار المريني لتلمسان سنة 698 هـ/ 1298 ـ 707هـ/ 1307 ، فقال انه استدعى ابن الحاجب الذي كان يشرف على مخازن الحبـــوب(2)

وتعد الحمامات في تلمسان من مرافق الحياة الحضرية ومن محاسنهـــا(3) ، وكـــذلك كان الحال في مدن الدولة الزيانية ، ومن بين الحمامات في تلمسان حمام الصباغيـــن

---

1 ـ ابن خلدون : العبر ، مج 7 ، ص225

يقـــول عنها يحيى بن خلدون ، عاد الى وادي بجايـــة فاختـــط بهـــا تمزيز دكت ، وقسم مسافتهـــا على الجنـــد فبنوهـــا لاربعين يومـــا واوطنها ثلاثـــة الاف وماتي فـــارس ، وأمـــر السلطـــان رحمه الله ان يحمـــل الزرع اليهـــا من جميـــع بلاده الشرقيـــة ، فشحنت مخازنها اقواتـــا ناميـــة ، بغية الرواد ، ج1 ، ص217

ابن خلدون ، العبر ، مج7 ، ص225

2 ـ العبر : مج 7 ، ص199

3ـ المقدمة : ص736

الموجود بالحي الشمالي الشرقي للمدينة ، وبالتحديد بحي ... يرتبط نهج خلدون بنهج معسكر ، وقد شيد خلال عهد المرابطين ، ولذلك فهو من بين آثار مدينة تاجرارت ، ويعرف أيضا بحمام سيدي أبي الحسن الضمارين

فقد أشار الرحالة العبدري[1] خلال تعرضه الى وجود حمامات أخرى فقال :
" بها حمامات نظيفة أشهرها حمام العالية قل أن يرى له نظير " وهو الحمام الذي ورد ذكره في مستندات الأوقاف العائد لعهد الدولة الزيانية[2] وقد حدد النص مكانه بالقرب من باب الحديد ، كما ورد اسم حمام آخر في وثيقة الأوقاف التي أعدها أبو حمو موسى الثاني ، والمتعلقة بالمدرسة اليعقوبية حمام الطبول[3] ، فقد نصت الوثيقة على أن هذا السلطان حبس على الزاوية المقامة على ضريح والده المذكور بداخل تلمسان المحروسة الطاحونة الملحقة بالزاوية والثلاثون حانوتا المعروفة بالساحة القديمة ، والدويرة التي بمنشر الجلد وحمام الطبول وقد كان لكل حي حمام خاص به ، وهناك حمامات خاصة للطبقة الغنية ، وحمامات تقع داخل قصور الدولة لسلاطينها ، وقد وجدت تصاوير على هيئة حيوانات كالأسد فوق منابير مياه الحمامات ، وقد أصدر المازوني فتوى بتحريم ذلك[4]

---

1 ـ الرحلة ، ص 16 ، وحمام سيدي بومدين فهو مازال يستعمل في أيامنا هذه ويتميز بسقيفته التي تشكل زاوية قائمة وقاعة مستطيلة الشكل يبلغ طولها ثمانية أمتار ، وعرضها ستة أمتار ، كما يوجد به ثلاثة غرف متوازية ، أنظر بورويبة رشيد / جولة عبر مساجد تلمسان ، مقال بمجلة الأصالة / ع 26 / 1975 ، ص 181

(2) - BROSSLARD (ch) : Les Inscriptions Arabes de Tlem

(3) - W. et G. Marçais : Les Monuments Arabes de Tlemcen PP. 401 - 402;

(4) الذرر المكنونة ، ج1 ، ورقة 256، ويذكر يحيى بن خلدون ، وفاة السلطان أبو سعيد فيقول اصابته نازلة في الحمام ، انظر بغية الرواد ، ج1، ص210

كما وجدت حمامات أخرى بالحباد ، والمنصورة ، على أن ... الحمامات تميزت بنظافتها ، حيث أشار العبدري الى ذلك فقال: "... حمامات نظيفة أشهرها حمام العليا قل أن يرى له نظير"(1) ، أما الحسن الوزان فقد لاحظ قلة المياه في الحمامات بمقارنتها بحمامات فاس(2)

ومن جهة أخرى فاننا نجد أن الفقهاء في فتاويهم قد حرموا ما يقع داخل الحمامات من أعمال تتنافى مع الشريعة الاسلامية مثل العري ، واختلاط الأولاد الصغار مع الرجال الكبار ، والفتيات مع السيدات(3) ، اضافة الى ذلك فان كثرة تردد الفتايات ، والنساء على هذه الحمامات دفع ببعض الشبان المتسكعين في الشوارع والطرقات المؤدية ، لهذه الحمامات أن يتعرضوا لهن ، فأصدر بعض الفقهاء فتوى بتحريم هذه الحمامات ، لأنها تؤدي الى التفسخ الخلقي(4)

ومن بين المرافق الهامة في تلمسان الزوايا(5) التي تطلق على عدد من الأبنية ذات الطابع الديني ، والثقافي ، ويقول عنها ابن مرزوق(6) : " ان الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين ، وتطعم المسافرين " أما وماس فقد عرفها بقوله :

الرحلة المغربية ، ص 17 ولازال يستحسن الى يومنا هذا

انظر بورويبة ، نفس المقال ، ص 181 ، ويقول أن قاعته مستطيلة طولها 8 م ، وعرضها 6م

وصف افريقية ، ص 390

العقباني : تحفة الناظر ، ورقة 96

نفسه ورقة 95

ظهر مصطلح الزاوية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي مرادفا للرابطة وابط أبي الصومعة التي ينزل فيها الوالي ، ويعين وسط تلاميذه ومريديه ، أنظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الزاوية مجلد 10 ، ص 338

المسند الصحيح ، ص 411

هي على الجملة مدرسة دينية ، ودار [illegible] (1) و[illegible]ت الزوايا سريعا ، ولم تبق أماكن يفزع اليها الناس [illegible] بحسب بل أصبحت أيضا مراكز للحياة الدينية ، وبخاصة الصوفية ، حيث عمد سوء لاء الى الاكثار منها فأصبحت أماكن تستهوي قلوب الناس، ومدارس دينية ودور ضيافة مجانية يقصدها الناس الذين يبحثون عن الكمال الروحي ، بعضها في المدن والبعض الآخر بالأرياف.

ففي تلمسان نجد زاوية سيدي الحلوي التي أنشأها سلاطين الدولة المرينية (2) وزاوية الأمير أبي يعقوب التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على الضريح والمدرسة التي عرفت بالمدرسة اليعقوبية (3)

وفي العباد زاوية سيدي بومدين التي تحتوي على ضريحه والمسجد ، والمدرسة (4) وبيوت للضيوف ، والطلبة تتبعها أراضي ، وبساتين حبسها عليها ملوك الدولة الزيانية، وزاوية سيدي الهواري في وهران التي لا تزال حتى الآن يقصدها سكان المدينة

---

1 ـ دائرة المعارف : نفس المقال ، ص 338

2 ـ عن زاوية سيدي الحلوي ، أنظر ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ج1 ، ص 127 ابن مريم : البستان ، ص 68 ـ 70

- BERGES : Tlemeen, Ancienne Capitale P. 417.

3 ـ ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ج2 ، ص 203 ، التنسي : المصدر السابق ، ص 256 لمؤلف مجهول : زهر البستان ، ورقة 84 أنظر أيضا رشيد بورويبة جولة عبر مساجد تلمسان ، مقال بمجلة الأصالة ، ع 26 السنة الرابعة 1395 هـ / 1975 ، ص 76 ، أنظر أيضا حاجيات : المرجع السابق ، ص 183

4 ـ عن زاوية سيدي بومدين ، أنظر ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 406 ابن بطوطة : الرحلة ، ص 17 ، أنظر أيضا عبد القادر الخلادي : أبو مدين الغوث دفين تلمسان ، مقال في مجلة الأصالة ، ع 26 / 1975 ، ص 284 ـ 294

5 ـ عن زاوية سيدي الهواري ، أنظر ابن مريم البستان ، ص 386

ونفس الشيء بالنسبة لزاوية سيدى عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر (1)

أما بالأرياف فقد وجدت بعض الزوايا للسويد ، وبني [illegible] ـوا في السهول بعد ضعف الدولة الزيانية ، ومن مؤسسي هذه الزوايا محمد ابن عبد الرحمن الذفيف السويدي ، وأحمد الحاج النميري العامري ، فقد كانت له زاوية في وطنه المعروف بحد وس من تسالة حيث بنى بها مسجدا ، وبيتا للفقراء المريدين ، وقد باع جميع ماله من الأرض ، وأنفقها على المريدين الذاكرين الله على الدوام ، وقد صار قطبا يأتيه الزوار من كل بلد (2)

وقد كان فريق من الأغنياء يحبسون بعض ممتلكاتهم على المرابطين مثل الأرض الزراعية ويقيدون زواياهم ، بينما يقومون على خدمتها ، ودفع غلتها لهؤلاء المرابطين ومن ذلك يقول : ابن مريم ان بني راشد قدموا الى سيدى لحسن بفرس وخلعة فارتحل معهم الى الموضع الذي أنزلوه فيه ، فبنوا له مدشرا ، وحبسوا عليه أرضا (3)

ويذكر الحسن الوزان قصة مشابهة لانشاء زاوية سيدي سناء بسهل البطحاء (4) وتمسر أيملى الذي تحول الى زاوية (5)

المساجد والمدارس :

من أقدم المساجد الزيانية مسجد سيدي أبي الحسن الذي شيد سنة 696 هـ/ 1296 م (6) وحمل اسم العالم أبي الحسن التنسي الذي انتقل من تنس الى تلمسان

---

1 ـ ابن مريم : نفس المصدر ، ص 387 ، أنظر أيضا حاجيات عبد الحميد : عبد الرحمن الثعالبي ، دفين الجزائر ، مقال بمجلة الثقافة ، ع 136 ، ص 156

2 ـ البستان : ص 215

3 ـ نفسه : ص 236

4 ـ وصف افريقية ، ص 401 ، شيخ هذه الزاوية كان يحمل اسم سنا

5 ـ نفسه : ص 397

6 ـ ابن خلدون : يحيى : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 209

في عهد يغمراسن بن زيان ، ويبلغ طول المسجد 10 م وعرضه 70 م ويحتوي على بيت للصلاة مكونة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار المحراب يفصلها صفان من أعمدة الرخام ، وتعلوهما تيجان تعتبر من أجمل التيجان في الفن المعماري الاسلامي ، وكذلك المحراب ، والمسجد لايزال الى الآن ، وقد حول خلال العهد الاستعماري الى متحف.

أما مسجد أولاد الامام (4) فقد أسس في عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول 707 ـ 718 هـ/ 1307 ـ 1318م ، ولم يبق منه الآن سوى القبة التي تعلو المحراب ، وقاعدتها على شكل مضلع سداسي ، بالاضافة الى قطع من الجبس المنقوش التي كانت تزخرف اطار المحراب ، وهذه القطع معروضة الآن بمتحف تلمسان وثالث هذه المساجد مسجد سيدي ابراهيم المصمودي الذي أسس من قبل أبي حمو موسى الثاني ، وقد تأثر بالعمارة الموحدية ، والمرابطية ، فأبوابه البارزة تتشابه مع أبواب مسجد تينمل الموحدي ، وتأخذ سقوفه شكل قاعدة هرمية ، وشكل قبوا مثل قبة حمام الصباغين ، وعدد أخاديدها أربعة وعشرون أخدودا تقابل ستة عشر

---

1 ـ ابن خلدون يحيى : نفس المصدر ، ص 212 ـ 213

- MARCAIS (G) : L'Art Musulman Paris 1962 P. 27 MARCAIS.
Même Manuel d'Art Musulman et Architecture P. 1483.

2 ـ عن أبناء الامام أبوزيد المتوفي سنة 743هـ/ 1342م ، وأبو موسى المتوفى سنة 749هـ/ 1348 أنظر التعريف بابن خلدون ، ص ص 22 ـ 26 ـ 29 ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص 152 ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ص 166 ـ 168 ، وعن المدرسة أنظر ابن خلدون يحيى : بغية الرواد : ج1 ، ص 200 أنظر أيضا : BEL (A) : op.cit. p. 28. BARGES (J) Tlemeen Ancienne Capitale P. W et G. Marçais op.cit. p. 30I.

وأنظر أيضا حاجيات : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان بمجلة الأصالة ، ع 26 السنة الرابعة، 1395/ 1975 ص ص 138 ـ 140

أما عن أهميتها فيقول البكري : بها مرسى اتخذ السفن التي تخرج منها الى مختلف الآفاق في المراكب

وأما ابن سعيد المغربي ، فيقول ان تنس كانت مشهورة بكثرة من الحبوب مثل القمح الذي يحمل منها في المراكب الى سواحل الأندلس ، وهي قاعدة مغراوة ، وقد زاد عدد سكانها نتيجة لدورها في النشاط التجاري مع الأندلس ، والبلدان الأوروبية وربما استقرت بها جاليات أجنبية مثل اليهود

برشك (1) : التي كانت تتوسط شرشال وتنس بالمكان المعروف اليوم بخورايا ، وأغلب سكانها من مغراوة

شرشال : تقع شرق مدينة برشك ، ويبدو أنها لم تكن في نفس المستوى خلال الفترة التي سبقت الفتح الاسلامي للمغرب الأوسط ، فكانت شبه خالية من السكان وبعد سقوط مدينة غرناطة قصدها الأندلسيون واستقروا بها

---

1 ــ عن برشك : أنظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص78 ، البكري : المصدر السابق ص 61 ، الحسن الوزان : وصف أفريقية ، ص401 أنظر أيضا :

- J. de Vogl : Africain description de l'Afrique II. P. 344.

- Gselle (S) : op.cit. P. 4 n° 16 P. 14. Duval : Cherchel et Tipaza Recherche sur deux villes fortes de l'Afrique Romaine.

2 ــ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص78 ، البكري : نفس المصدر ، ص82 الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص406 ، أنظر أيضا : الميلي : المرجع السابق ، ج2 ، ص368

الفصل السابع

الطبقات الاجتماعية

أولا : في المدن

المدخل

الأسرة الحاكمة

الاشراف

الفقهاء والقضاة

الجنود

ثانيا : في البوادي

المدخـــــل :

عرف المجتمع الزياني الطبقية كنتيجة طبيعية للظروف السياسية والاقتصادية والثقافية وحسب ماأورده ابن خلدون فان وضع الطبقات مترتب فيها طبقة بعد أخرى حتى ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية ، وفي اسفل الى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين أبناء جنســه وبين ذلك طبقات متعددة (1)

كما أن هذه الطبقات تختلف بين البدو والحضر ، ومن حيث عددها ونوعيتهـــا وكذلك بين القرى والعواصـــة ، ومما يلاحظ على هذا التفاوت الطبقي في المجتمـــع أنه كان تفاوتـــا مزدوجـــا ، فكما كان هناك تفاوتا راسيا بين الطبقات في داخـــل الاقليم الواحد ، كان هناك تفاوت أفقي بين الأقاليم ، وبعضها البعض ، وهذا ما يمكن التوصل اليه من النص الذي أورده ابن خلدون ، حيث يقول " واعتبر ذلك في المغـــرب بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى مثل بجاية ، وتلمسان ، وسبتة تجد بينهم بونا كثيرا على الجملة ، ثم على الخصوصيات ، فحال القاضي في فاس أوسع من حال القاضي بتلمسان ، وهكذا كل صنف مع صنف أهله ، وكان أيضا حال تلمسان مع وهــــران والجزائر ، وحال وهران والجزائر مع مادونهما الى أن تنتهي الى المـــداشـــر "

أما السلطان أبو حمو موسى الثاني ، فقد قسم المجتمع الى أربع طبقات اجتماعيـــة (2) هـــم الشرفـــاء ، والفقهـــاء ، وشيوخ القبائل ، وأمناء الحـــرف ، وأما بقية السكان

---

1 ــ ابن خلدون : المقدمة ، ص 647

2 ــ أبو حمو موسى الثاني : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تونس ، طبعة الدولـــة الدولة التونسية 1279 هـ / 1862 م ، ص 109 ، أنظر أيضا بوزياني الدراجي : تطور نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد ، بحث قدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ، الجزائر 1981 ، ص 190 ، وداد القاضي : النظرية السياسية للسلطـان أبي حمو موسى الثاني ، ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها : مقـــال بمجلة الأصالة ، ع 27 ، السنة 1395 هـ / 1975 ، ص

فينظر اليهم نظرة ارستقراطية ، فهو لم يشر اليهم عند كلامه على أعوان السلطان وجلسائه فيقول : "يا بني وأما جلساؤك فلتجالس العلماء والفقهاء والأشراف ذوي الأذهان الثاقبة " (1)

لكن الحسن الوزان اتفق مع أبي حمو في العدد واختلف معه في النوع ، حيث قسم المجتمع الزياني الى أربع طبقات ، الصناع ، والتجار ، والطلبة ، والجنود

ويبدو من حيث الترتيب أن تقسيم ابن خلدون أسبق ، لأنه عم أغلبية أراضي المغرب الاسلامي ، وفرق بين أقاليمه ، وبين طبقات كل اقليم

أما تقسيم أبو حمو روعي فيه الاتجاه من أعلى الى أسفل في سلم المجتمع بينما نلاحظ أن الوزان اتجه في تقسيمه من أسفل الى أعلى ، وأما الباحثون المحدثون الذين تعرضوا لتقسيم الطبقات الاجتماعية ، نذكر من بينهم الدكتور عطاء الله دهينة (2) فانه داعي في تقسيمه أثر العقيدة الاسلامية التي جعلت المسلمين أفرادا متساوين في اطار الأمة الواحدة

الطبقات الاجتماعية

أولا : الأسرة الحاكمة

انحصرت السلطة في دولة بني زيان في البيت العبد الوادي ، وقد كانت زعامة القبيلة في بني طاع الله ، وعلى الخصوص بنو محمد بن زكذان ، وذلك لقبولهم مبدأ التوريث في تولي عرش البلاد ، ومن هنا أصبح البيت يتمتع بمكانة السيادة والرئاسة في المجتمع الزياني

وبطبيعة الحال كان انتماء بني طاع الله الى بني عبد الواد يي سبيلا الى علو بقية

---

1 ـ وصف افريقية : ج2 ، 39 ، الجيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 232

2 ـ مجموعة من المؤلفين : تاريخ الجزائر ، ج3 ، الباب الخاص بالدكتور دهينة عطاء الله ، ص 496

هؤلاء وأسرهم ، وكبار رجال حاشيتهم حياة خاصة وسط حراسة مشددة ، وقد اتخذوا
الطراز وهو ثوب من الديباج والحرير يكتب فيه اسم السلطان أو العلامة الخاصة بهم (1)

بهم وتكتب الحروف بخيوط الذهب ، كما اتخذوا المقصورة في المسجد للصلاة فيه (2)
كما كان هؤلاء يجلسون على الكراسي ، يقول يحيى ابن خلدون عند تعرضه ليغمراسن
" هو أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك ، وأشعر القبيل لباس السريعة ، فأعلى
المنار ، ومهد الخلافة ، وأوثر الأريكة " وفي موضع آخر يقول ، " والخليفة أيده الله
صدر مجلسها متكئاً سرير ملكه " (3)
أما في كتاب " واسطة السلوك " فينوه أبو حمو موسى الثاني ولي عهده بقوله :
" وليكن جلوسك متربعاً " (4)
والبلاط كان يحتوي خدماً يختصون بالسلطان في خطط متعددة ، فكان له
حاجبه وكاتبه وغيره من موظفي الدولة (5) ، بالاضافة الى عدد من الخدام
يعرف رئيسهم باسم قهرمان القصر ، ومن أبرز هؤلاء العام الاندلسي الأبلسي ، خلال
عهد السلطان أبي حمو موسى الأول ، وهناك خادمة عرفت باسم القهرمانة (6) دعد

---

1 ـ الطراز : في الأصل هو الكتابات ، والرسوم المنسوجة ، والمطرزة بخيط الذهب وغيره على أثواب السلاطين الحريرية وهي من خصوصيات السلاطين وامتيازاتهم ، انظر :
ابن خلدون : المقدمة، ص 647، وأنظر أيضا :
2 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص 205، أنظر أيضا بوزياني الدراجي ، ص 110
3 ـ بغية الرواد ، جـ2 ، ص 37
4 ـ واسطة السلوك ، ص 89
5 ـ ابن خلدون : المقدمة ، جـ2 ، ص 200 ، وفي دولة بني عبد الواد ، أنظر بغية الرواد جـ1 ، ص 111 ، العبر: 7، ص 230 ـ 234 ، أنظر أيضا بوزياني الدراجي ، المرجع السابق ص 146 ـ 170
6 ـ قهرمان : القصر السلطاني المقصود به ، القائم بخصوصيات ، القصر ، فله النظر في كل ما تحتاجه عائلة السلطان بأخذ مؤنتها من رئيس التموين ، أنظر المنوني ، مجلة البحث العلمي : ع 2 ، السنة الأولى ، ص 204 ـ 214

كما اتخذ بعض سلاطين الدولة الزيانية الحدائق الملكية ، وتحتوي على صهاريج لايزال أثرها قائما في تلمسان حيث كانت مجلسا لسرور السلطان وجلسائه (1)

ثانيا : الأشراف

بدأت العائلات الشريفة بالمغرب الاسلامي منذ الفتوحات الاسلامية ، الاأن أول هجرة لأسرة آل البيت نحو أراضي المغرب ، ترجع الى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، حيث استقر أبناء ادريس بن عبد الله وأخويه محمد النفس الزكية وسليمان بالمغرب الأوسط والأقصى ، وقد استقبلوا بترحاب من قبل سكان تلك المناطق (2) لارتباطهم بعلي بن أبي طالب وصلتهم برسول الله (ص) فنشأ ما عرف بالاشراف (3)

ومما يدل على اقبال السكان على هؤلاء الشرفاء ماأورده المؤرخ التونسي أحمد بن أبي الضياف بقوله : " وأهل افريقيـة يدينون بحب آل على يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم (4) ، أما تلمسان فكان السكان يتوافدون بكثرة على مسجد أجادير لالتماس البركة (5)

ومما يدل على اقبال السكان على هؤلاء الشرفاء ماأورده ابن مرزوق الذي ذكر (6)

---

1 ـ التنسي : نظم الدر والعقيان ، ورقة 53 أنظر أيضا :

W.G.MARCAIS ; OP cit P.I25

2 ـ البكري : المغرب ، ص 122 ، ابن عذاري : البيان ، المغرب ، ج 1 ، ص 198

أنظر أيضا لقبال ، دور قبيلة كتامة ، ص 209

3 ـ عن الأشراف : أنظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (شريف) مج 13 ، ص 194 ، 202 ، أنظر أيضا أبو العلاء ادريس بن محمد الفصيلي : الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية ، ط فاس 1314 ، ص 216

4 ـ اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ط تونس 1963 ، ص 121

5 ـ مجموعة من المؤلفين : تاريخ الجزائر ، ج 3 ، ص 362

6 ـ المسند الصحيح : ص 152

من بين شرفاء تلمسان الشريف الامام أبو علي السبتي ، وكذلك فقهاء العلويين الذين كانت لهم رايات خاصة ، ومرتبات شهرية على الشرفاء وقسط من الكسوة الجارية في سابق الدولة ، وينتسب هؤلاء الى آل القاسم من أفراد الأسرة العلوية التي استقرت بالمغرب الاسلامي ، وقد سبقه الى ذلك يحيى بن خلدون كما أسلفنا ، وقد لعبت هذه الطوائف دورا هاما في المجتمع ، حيث كان لها سلاطين الدولة يغدقون عليهم الأموال خلال المواسم الدينية ، ويعاملونهم معاملة حسنة (1)

وقد ذكر ابن مرزوق تصرف ملوك المغرب الاسلامي من العائلات الشريفة فسائل (2) تصرفه السلطان أبي الحسن المريني ، فقال عنه : نولى بحضرة فاس ، وسائر بلاد المغرب من يدعي الشرف فلي القسم ما بيده بحضرة قاضي فاس ، وكبير الشرفاء سيدنا أبو عبد الله بن عمران والفقهاء ، فما يثبت من ذلك يقر ، وما لم يثبت يكتب لعدم ثبوته ومن يثبت شرفه يجري له ما يكفيه في ذلك ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا (3)

فهذا النص يوضح الرعاية الاجتماعية لهؤلاء الأشراف والمساعدة المالية التي يتلقونها ، وقد سار على هذا سلاطين الدولة الزيانية حذو المرينيين

ففي عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني وجهت العناية للأشراف ، ذلك أنه في وصيته لابنه طلب منه أن يكون من بين جلسائه الأشراف (4) ، الا أنه في العصر الأخير من حياة الدولة قلت العناية بهم وقد تأسف الونشريسي لذلك ، وبالرغم من هذا

---

1 ــ بغية الرواد : ج1 ، ص 191

2 ــ ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 152 ، أنظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية مقال ، شريف ، مج 13 ، ص 202

3 ــ المسند الصحيح ، ص 151

4 ــ واسطة السلوك ، ص 109

5 ــ المعيار ، ج4 ، ص 275

فان هؤلاء الشرفاء ، فانت لهم قوة وسطوة في النفوس ، ولم يكن الأمر مقتصرا على المساعدة المادية فقط ، بل كانوا يكلفونهم بأمور ادارية ، منها أن السلطان (1) أبا تاشفين الأول قد كلف أبا علي حسن بن يحيى الحسيني بسفارة الى السلطان المريني أبي الحسن ، كما كانوا يكلفونهم بمهنة التدريس ، فاولاد أستاذا للمدرسة (2) اليعقوبية التي شيدها أبو حمو موسى الثاني هو الشريف الحسني ، كما كان هؤلاء يحتلون المرتبة الأولى بالنسبة لترتيب أعوان السلطان

ثالثا : الفقهاء والقضاة

أما الفقهاء والعلماء والأدباء ، فقد نالوا في عصر الدولة الزيانية تكريما عظيما كان مبعثه تلك الحركة الفكرية التي نشأت عند هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط وتتضح لنا مكانة هؤلاء الفقهاء في عهد أبي حمو موسى الثاني ، الذي أوصى ولي عهده باتخاذ فقيه يخص به نفسه فيستشيره ، فيما أشكل عليه من أحكام الشرع وما يقتضيه الحال من الحلال والحرام ، لأن صلاح الدنيا متوقف على العمل الصالح (3) من أجل الآخرة

وقد كان هؤلاء مستشارين للسلاطين في أغلب الحالات ، كما كانوا موظفين (4) في الدولة ، ومن أبرزهم الفقيه عبدون الحباك ، صاحب أبي زيان ، وكان له خبرة في الميادين المالية والادارية ، بالاضافة الى العلوم الفقهية ، والفقيه أبو بكر (5) ابن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي ، وأبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس

---

1 ــ عن الشريف الحسيني ، انظر ابن خلدون : بغية الرواد ، جـ1 ، ص 180
2 ــ واسطة السلوك ، ص 61
3 ــ نفسه : ص 169 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص 125 ، أنظر أيضا بوزياني الدراجي : نفس المرجع ، ص 190
4 ــ أنظر الفصل الثاني : ص نفس المرجع ، ص 141
5 ــ بغية الرواد : جـ1 ، ص 205 ، أنظر بوزياني الدراجي

وقد أخبرا سلاطين الدولة العطاء للفقهاء ، والعلماء ، والأدباء تقديرا منهم لهؤلاء للعلم والأدب ، فقد استقبل أبو سعيد عثمان بن يغمراسن أبا اسحاق التنسي بن يخلف بن عبد الله[1] التنسي فأغدق عليه الأموال ، ثم قربه منه ، ولم يكتف بهذا بل شيد له مسجدا حمل اسمه 696 هـ / 1297 م.

وهناك أمثلة كثيرة عمن وفدوا على الأمراء الزيانيين ، يعرضون عليهم انتاجهم العلمي والأدبي طمعا في نيل مكافأتهم وكريم عطائهم مثل يحيى بن خلدون الذي أرخ للدولة في كتابه " بغية الرواد "[2] وقد أهداه لأبي حمو موسى الثاني بعد الانتهاء ، وفي عهد المتوكل كتب التنسي كتابه " نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان "[3] كما قدم الأدباء قصائدهم الشعريـــة ، وبخاصة بمناسبة المواسم الدينية[4] ، وقد أشار الى ذلـــك الرحالة المصري عبد الباسط خليـــل ، فقال : انه تقدم بقصيدة في ليلة المولـــد النبوي الشريف ، وقد أعفي من الضريبة التي كان عليه تقديمها عن السلع التي كان يتاجـــــر بهـــا ، كما كان للمتصوفة دورهم ومكانتهم في المجتمع الزياني ، ذلـــك أن ظهور الحركة الصوفيـــة يعود الى الفترة التي سبقت قيام هذه الدولـــة

---

1 ـ يويخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي ، من أهل تنس ، انتهت اليـــه رئاسة التدريس ، والفتوى في أقطار المغرب الاسلامي ، توفي بتلمسان سنـــة 670 هـ / 1269 ، أنظر نيل الابتهاج ، ص ص 35 ـ 37 ، البستـــان : ص ص 66 ـ 68

بغية الرواد ، جـ1 ، ص 114

2 ـ يذكر ابن مريم أن بعض العلماء كانوا يرفضون أخذ العطاء ، أنظر البستـــان ص 246

بغية الرواد ، جـ1 ، ص 53

3 ـ نظم الدر والعقيان ، ورقة 61

4 ـ بغية الرواد جـ 1 ، ص ص 44 ـ 47 ، أنظر أيضا ، مصطفاي : نفس المرجع ، ص 347

وبخاصة في العهد الموحدين الذي تميز ببروز أكبر المتصوفين في الأندلس، والمغرب (2)
ونذكر من بين هؤلاء أبا مدين شعيب دفين العباد و عبد [illegible] أبوالحسن
التنسي ، وقد أخذت هذه الحركة بفضل هؤلاء المتصوفين وتلاميذهم تتغلغل
بين الأوساط الشعبية ، فاذا رجعنا الى كتب " الوفيات " لابن قنفذ (4)
القسنطيني ، وأحمد بابا التنبكتي صاحب " نيل الابتهاج " وابن مريم صاحب البستان
نجدها حافلة بتراجم هؤلاء المتصوفين ، ومن أبرزهم محمد بن عمر الهواري المتوفي
سنة 843هـ/ 1439م والحسن بن مخلوف المشهور بأبركان المتوفى سنة857هـ/ 1453م (5)
وقد سماه التنسي الولي الزاهد ، والقطب الغوث ، شيخ الزهاد ، وقدوة العباد (6)
وابراهيم التازي نزيل وهران (ت 866هـ/ 1462م)

2 ــ عن سيدي بومدين أنظر بغية الرواد : ج1 ، ص128، الرحلة ، ص 16
ابن بطوطة : الرحلة ، ص17 ، وصف افريقية ، ص 392
3 ــ عن عبد الله بن مشيش ، أنظر ابن مريم : ص256، أنظر أيضا ابراهيم حركات :
الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب ، مقال بمجلة الأصالة ، ع 26 / 1975،
ص ص 183 ــ 184، بغية الرواد ، ج1 ، ص 114
4 ــ ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، ص ص 8 ــ 208 ، أحمد
بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص ص 173 ــ 197 ، ابن مريم : البستان
في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان ، ص ص 38 ــ 350
5 ــ نظم الدر والعقيان ، ص 136 ، أنظر أيضا بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب
الأوسط في القرن التاسع الهجري ، ص 61
6 ــ عبد الرحمن الثعالبي : دفين الجزائر سنة 875 هـ/ 1468م وكتابه
طبقات فقهاء المالكيين ، مقال للأستاذ رابح بونار ، بمجلة الثقافة ، ع 7 محرم
1392 هـ/ مارس 1975 ، ص 46
وعن ابراهيم التازي ، أنظر البستان : ص 62 ، رابح بونار : نفس المقال ، ص 47

ويتميز عهد الدولة الزيانية بتغلب الفكر الصوفي على الحياة الفكرية وعلى أكثر مظاهر الحياة بالبلاد ، حيث تزد التراجم الخاصة بالأحاديث عن كراماتهم ومناقبهم ، واستجابة دعوتهم ، وزهدهم في الدنيا وملذاتها ، لذلك كان عامة الناس وخاصة في أواخر عهد بني زيان يقبلون اقبالا كبيرا على هؤلاء الأولياء ، حتى سلاطين الدولة كانوا يستقبلون المتصوفين ، ويقضون حاجاتهم ومن هؤلاء ابراهيم بن علي الخياط الذي كان رجلا صالحا يعيش من الخياطة (1) وكان كثيرا الدخول على أمير المؤمنين أبي يحيى يغمراسن بن زيان لقضاء حوائج الناس وربما دخل عليه في اليوم الواحد سبعين مرة

لعل اهتمام يغمراسن بهؤلاء الأولياء يعود بالدرجة الأولى الى مكانتهم في المجتمع الزياني ، حيث كثر الاقبال عليهم من جل سكان الدولة ، وقد كان يغمراسن يتوجه الى مدينة أجادير لزيارة سيدي محمد بن عبد الله في داره التماسا الى دعائه (2)

أما أبو تاشفين الأول فقد استغل هؤلاء المرابطين لأغراض سياسية ، حيث اتصل بالذين كانوا يتمركزون بالمناطق التابعة لأمير بسكرة ابن مزني لحثهم على القيام (3) وقدم لهم المساعدة المادية ، حتى يتمكن بواسطتهم من اضعاف الدولة الحفصية (4) هذا في عظمة الدولة أما خلال ضعفها ، فكان سلاطينها يستغيثون بهؤلاء

---

1 ـ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص266
بغية الرواد ، ج1 ، ص118 ، البستان ، ص57 ، أنظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية ، مقال (زيان بنو) ص460

2 ـ بغية الرواد : ج1 ، ص117 ، أنظر الميلي ، تاريخ الجزائر ، ج2 ، ص290

3 ـ امارة بني قامت ببسكرة ، وتوسعت في اقليم الزاب ، وكانت موالية للدولة الحفصية بتونس ، أنظر العبر ، مجلد 6 ، ص ص 82 ـ 83

4 ـ أبو ضيف : المرجع السابق ، ص136

المرابطين عند ما تواجههم الاخطـــار ، فقد ذكر ابن مريم [1] أن السلطان أبا حمو موسى كان يولي اعتناء خاصا بسيدي علي فيكثر من زيارته ويلتمس من اشارتـــه ولي أكثر أموره ، فلما قام عليه في أواخر سنة 841 هـ/ 1437 م ابن أخيه أبوزيان بالجهة الشرقيـــة وأبو يحيى 838 هـ/ 1434 م الذي ملك وهران استصن بالشيخ علي الحسن بن مخلوف فقال له : لا طاقـــة لي بالأمر ، ولكني أبعث أخي في اللـه سيدي بختي لشيخنا الهواري ، وعندما وصله قال له : " لا دخل لمحمد الهـــواري في أمر الملوك ، ولكن أذهب ، وقل له لا خوف عليه ، فانه لا يرى أحد مما الآخـــــر" فقتل أبوزيـــان بالجزائر سنة 843 هـ/ 1439 م ، وقد ارتفعت مكانة هؤلاء خـــلال المرحلة الأخيـــرة من حياة الـــدولة ، حيث أصبحوا يشكلون طبقة غنية باستحواذهم على الأراضي الواسعة ، وقد أشار الحسن الوزان الى أحد المتصوفين استقر بسهـــــل البطحـــاء فأنشأ قرية تتكون من ثلاثمائة خيمة ، واهتم بالزراعة ، وتربية المواشـــي وقد كان العمل في أرضه يتم بواسطة المساعدة التي يقدمها له السكان في زمن البـــذر والحصاد بدون مقابـــل [2]

ومن ناحية أخرى يشير المازوني الى هؤلاء المتصوفة الذين أصبحوا يقومون بجمـــع الزكاة التي كانت من اختصاص الدولة ، فيقول : " سئل سيدي عبد الرحمن الوغليســـي عن مرابطين يتقدمون على أصحابهم ، فيحدون ما يجب عليهم من الزكـــاة " [3]

واذا انتقلنا الى القضاة [4] في دولة بني زيان نجدهم يختارون من بين الفقهـــــاء

---

1 ـ

2 ـ الوزان : وصف افريقية ، ص 498

3 ـ الدرر المكنونة ، ج1 ، ورقة 166

4 ـ عن نظام القضاء ، أنظر ابن خلدون عبد الرحمن : المقدمـــة ، ج2 ، ص 267 ـ
572

فهم يمثلون طبقـــة اجتماعية وحدة ، وهم على درجات اعلاها قاضي القضاة ، ورئيس المظالم وغالبا مايكون هو الحاكم أو ماينوب عنه في هذا الامر ، ... الطبقـــة المحتسب (1) ، وصاحب الشرطـــة لعلاقتهما بنظام القضاء ، وقد حصـــر الأب برجيس (2) أصناف القضاء بدولة بني زيان في قاضي الجماعة ، وقاضـــي الحضرة وهو بمثابة الموثق والعدل ، بالنسبة للأشخاص المنتمين الى قصر السلطـــان ثم قاضي العسكـــر ، وهو الذي يرافق الجيش في جميع تنقلاته ، وتقتصر أعمالـــه على المحاربيـــن ، وقاضي الجماعة لدى الدولة الزيانية من المصطلحات التي توصلنا اليها من خلال ترجمـــة ابن خلدون يحيى لأبي عثمان سعيد بن محمد العقبانـــي (3) الذي تولـــى قضاء الجماعة بتلمسان مع استعمال مصطلح العدل (4)

أما مهام القضاء في الدولة الزيانية ، فقد حددها الدكتور عطاء الله دهينـــة فقال : ان سلطة القاضي لم تكن تقتصـــر على الأعمال القضائية وحدها ، وانما امتدت الى أمور ليس لها علاقة بالقضاء ، ولكن تمت الى نظر القاضي بسبب معرفته للشـــرع الأساسي ، فكانت أعماله الاضافية تكون غالبا من الصلاة ، والخطابة في المساجـــد والاشراف على الأوقاف الدينية ، وعلى أموال الغائبين والمفقودين ، والرقابة على النقدين

---

1 ــ عن المحتسب : أنظر ابن خلدون : نفس المصدر ، ج2 ، ص577

أبو حمو موسى الثاني : واسطة السلوك ، ص153

(2) BERGES : tlemcen P.2I9

بوزياني الدراجي : المرجع السابق ، ص253 ، وعن هذا النظام في الدول الاسلامية انظر حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، القاهـــــرة ط 2 مكتبة النهضة 1959 ، ص217 ، جورجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج1 ، ص243 ، بيروت 1967

3ــ بغية الرواد : ج1 ، ص60

4ــ عن العدالة التي هي وظيفة دينية تابعة للقضاء ، وعن مراد تعريفه ، أنظـــر : ابن خلدون : المقدمة ، ج2 ، ص575 ــ 576

الذهب والفضـــة ، والمذاييـــل ، والموازين ، وولاية الحي ، وأخذ البيعـــة للخليفـــة ، ومصاحبة الجيش في الحروب (1) كما كـــان ينظر في القضايا التي لهـــا علاقـــة بالتجـــار المسيحيين العاملين بالدولـــة ، وأفراد الجالية اليهود يـــة حينمـــا يقع سوء التفاهم بينهم ، وبين المسلمين والمسيحييـــن (2)، وقد سند أيضـــا الى القاضي القيـــام بمهمة السفيـــر لبلاده في الخارج ، الشيء الذي كان يدفـــع سلاطين بني زيان الى اختيار بعض القضاة لمثل تلك المهام ، ومثال ذلك أن العقباني قاضي الحضـــرة كان سفيرا للسلطـــان الزياني لدى الدولة الحفصيـــة (3)

وقد كان لبعض القضاة من الصفات ما يؤهلهم لتلك المهام ، فقد حرص سلاطيـــن بني زيان أن يحفظوا للقضاة مكانتهم الرفيعة بين الرعية ، ورجال الدولة بتلبية حاجاتهم وتوفيـــر رواتبهم ، وربما أقطعوا القاضي الأرض التي تفي له بما يحتاجه لمعيشته وعائلته (4)

رابعـــا : الجنـــود

لأهمية هذه الطبقـــة لدى الأسرة الحاكمـــة أصبح لها امتيازات خاصة منهـــا الاقطاعات الجارية الى جانب رواتبهم الشهرية أو السنوية تمشيا مع نظام الاقطاع الذي سارت عليه دولة بني عبد الواد ، مما جعل هؤلاء ينغمسون في الترف كما كان الحـــال بالنسبة لكبار القواد ، ومنهم الأشياخ الذين ينتمون الى القبائل الموالية للدولـــة (5)

---

(1) DHINA(A): les etats de l'occident musulman P. 32I Mme edition le royaume abdelwadide P.II6

(2) IBID P..520

(3) BRUNSCHVICQ : les recits de voyage P. 47

4 ـ صالح محمد : نظام الحكم والادارة في دولة بني مرين : رسالة الدكتـــورة جامعة الاسكندرية ـ 1977 ، رقم 953، ص126

5 ـ العبر : مجا 7 ، ص ص 212 ـ 213 ، بغية الرواد ، جـ2 ، ص 39

أو من بني عبـــد الواد أنفسهم ، وقد أغدق سلاطين الدولة على رجال الجيش العطـــاء (1) والأذوان ، والانعامات ، وهي عبارة عن حصان بسرجه ولجامه وسيف مرصع (2) بالذهـــب

ومن بين عناصر الجيش الزياني المماليك ، والأعلاج ، والنصارى ، والحشم (3) ، وهي فرق كونهـــا أبو حمو موسى الثاني في مواجهـــة فرق الأنصار ، حتى تتوازن فـــرق الجيش من حيث القوة والعدد ، فاذا ما حاولت احدى فرق الأنصار أن تتمرد ، رماهم بفرق المماليك الذين كانوا بمثابة الحرس الخاص الذي يسهر على سلامة السلطـــان (4)

وقد وصل هؤلاء المماليك الى أرقى المناصب في الجيش الزياني ، فقد عقد أبو حمـــو موسى الأول لمولاه مسامح (5) على عسكـــره ، وتمكن بفضله من القضاء على ثورة ابن علان (6) في الجـــزائـــــر

---

1 ــ واسطة السلوك : ص 79

2ــ يقول صاحب واسطة السلوك : يكون ترتيب الجيش في العطاء بقدر بيتاتهم وشجاعتهم وسابقتهم الخدمـــة ، واصطناعاتهم ، ومحبتهم ، وانقيادهم ، والفتهم ، وهـــم القبيل ، والحماة ، والأنصـــار ، والأجناد ، ما عدا المماليك المنقطعين اليه فان جراياتهم في الرتب مشاهرة ، واسطة السلوك ، ص 124

3ــ احشام ، أنظر المعجـــم الوسيط ، ج1 ، ص 176

4ـــ واسطة السلوك ، ص 78 ، أنظر أيضا حاجيات : السلطان أبو حمو موسى الثـــاني سيا ســـته وأدبــــه ، مقال بمجلة تاريخ وحضارة المغرب ، ع 10 أكتوبر 1973 ، ص 27 ــ 28

5ــ مسامح من موالي أبي زيان ، ويعرف أيضا بالعلج ، عينه أبو حمو موسى الأول على ولاية مغراوة ، وقيادة النواحي الشرقية من أملاك الدولة الزيانية ، كما كلفه بمحاربة الحفصيين
عنه أنظر : العبر ، م7 ، ص 209 ، بغية الرواد ، ج1 ، ص 212

6 ــ العبر ، م7 ، ص 166 ، بغية الرواد ، ج1 ، ص 215 ، أنظر أيضا ، حاجيـــات : السلطان أبو حمو موسى الثاني ، ص 17

وقد كان السودان (الزنوج) ضمن عناصر الجيش الزياني، وأطلق عليهم السلطان أبو حمو موسى الثاني الوصفان، ولايزال هذا الاطلاق على الزنوج في المغرب[1]

من خلال ماسبق يلاحظ الباحث أن الجيش يتألف من مجموعة من العناصر لايربطهم بالمجتمع الزياني انتماء، وانما همهم تحقيق مصالحهم الخاصة، ولو على حساب استقلال الدولة.

الطبقات الاجتماعية بالجوادي:

هذا التقسيم الذي سبق أن أوردناه يتفق مع طبيعة التقسيم الطبقي في مجتمع الدولة، وبخاصة العاصمة تلمسان

أما بالنسبة للبادية فالوضع مختلف تماما، حيث أننا نلاحظ على هذا المجتمع البدوي التشكل القبلي الذي لايختلف زمنيا من عصر ما قبل الاسلام عنه في عصر ما بعده، حتى عهد الدولة الزيانية، حيث يلاحظ أن البداوة في المغرب الأوسط واجهت مايشبه أن يكون ردة أو نكسة[2]، فقد كانت هناك محاولات لتوطين هؤلاء، ولكن الظروف التي أعقبت سقوط الدول الكبرى كالمرابطين والموحدين خلقت نوعا من الارتداد الى البداوة ساعد على قيام دول كانت قبائل رحل توحدت في الفترة موضوع البحث على شكل ثلاث دول تنتسب هي الأخرى[3] للقبائل الرحل مثل بني عبد الواد، وبني مرين

---

1 ـ واسطة السلوك : ص 41

2 ـ عن البداوة في المغرب الاسلامي، أنظر ابن خلدون عبد الرحمن : المقدمة (ص). ومجا 6، ومجا 7، ابن خلدون يحيى : بغية الرواد، ج1، ص 227، ج2 ص 263 ـ 264

وحسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، القاهرة، 1957، ص 24

3 ـ ابن خلدون : العبر مج 7، ص 129، أنظر أيضا أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب، ص 197 ـ 198

واذا كان هذا التحديد لم يأخذ خطا ثابتا ، وانما ظل لسبب الحرب والفتن وتمالك بعض هذه القبائل مع بعض الدول ثم نتنها العهد أوجدت هذه التحديدات ابعادها نظرا لضعف المستوى العسكري لكل دولة من هذه الدول نفوذ كبير لبعض هذه القبائل حتى وصل الحسان الى تأييد قبيلة من قبائل أو عدم تأييدها كان يقيم دولة من هذه الدول أو يسقطها ، ومن هنا نجد أنه من الضروري دراسة وضعية القبائل والتعارف على نواحي تقسيمها الاجتماعي حتى نعرف جوانب القوة والضعف في تكوينها

فمن الثابت المتعارف عليه بين المؤرخين المحدثين ان هناك تشابها بين البربر والعرب ، ومن ذلك أن بعض من البربر كانوا يعيشون على الرعي ، كالعرب ، ويمكن تقسيم هذه القبائل الى طائفتين : "قبائل مقيمة وأخرى ظاعنة "

أما المقيمة فكانت تسكن فيما يشبه القرى ، وأما الظاعنة فكانت تسكن الخيام ، ومنها من تنقل خيامها مرات عديدة في السنة لكي يشغلوا أراضي نائية ، ويرى قيو أن خير وسيلة لتقسيم الاعراب (البدو) هو أن نوزعهم الى طائفتين ، عرب يقل نزعهم الى الظعن ، وعرب رحل وهؤلاء هم البدو بحق ، وأما برنار ولاكرو فيقسمانهم الى الاقسام التالية :

أولا : الرعاة ، الذين لا يطعنون الاقليات جدا ، وهؤلاء يتجولون التل في أوقات من السنة طلبا لمراعي جديدة

ثانيا : الرعاة الذين لهم مشات ومصائف مختلفة ولا يبتعد احدا منها عن الأخرى الا قليلا وبعض هؤلاء الرعاة يقضون الشتاء في الجنوب ، وبعضهم يقضونه شمال أطلس الصحراء

ثالثا : الرعاة الخلص ، وهم يقضون الشتاء في الصحراء حتى اذا ما حل الربيع تركوا مضاربهم في الجنوب سعيا وراء الكلأ والماء بين قبائل التل التي تتيح لهم حق ورود ما

---

1 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مجا 6 ، ص 395

2 ـ نفس المقال : ص 396

وتعرف هذه الهجرة بالرحلة (1) ، وهذا التقسيم الأفقي يتفق مع ماأورده ابن خلدون

حيث يقول عند تعرضه لبني توجين : أقاموا ملكا بدويا لم يفارقوا [illegible] الخيام والبسائط (2)

على أن بني عبد الواد بدأوا في انتقالهم الحضري من البادية الى الحضر بنفس النمط الذي تأسست في ظرفه الأسر الحاكمة من سكان المغرب حيث نجدهم يتدرجون من البداوة الى الحضارة ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : " عندما يخرجون الى مشاتيهم بالصحراء يخلفون أتباعهم بالتلول لاعتمار أرضهم ، وازدراع فدنهم ، وجباية الخراج من أتباعهم " (3)

أما فيما يتعلق بالرحلة داخل نفس الاقليم يذكر ابن خلدون عن بني يزناتن من توجين انهم كانوا يجوبون جانبي نهر واصل من أعالي وادي الشلف (4) ، هذا من ناحية التقسيم الأفقي للبدو ، وأما الرأسي من أعلى الى أسفل فانه ينحصر في قمة الهرم شيخ القبيلة ، وهو في نفس المستوى الرأسي مع أهل المشورة والرأي ، ويأتي في الدرجة الثانية أرباب السيوف ثم المشتغلون بالزراعة ، وهم مستقرون ، والمشتغلون بالرعي وهم رحل (5)

أما شيوخ القبائل فقد أسندت لهم الدولة بعض الوظائف الادارية مثل ولاية الأقاليم وجباية الأعشار ، فاستطاعوا بذلك أن يكونوا لأنفسهم جاها وثروة ، بالاضافة الى الاقطاعات الكبيرة ، وتقربهم الى مجلس السلطان ومنادمته في خلوته والتجرؤ عليه ، والاساءة اليه (6)

1ـ دائرة المعارف الاسلامية : نفس المقال ، مجـ 2 ، ص 394
2 ـ العبر : مجـ 7 ، ص 326
3ـ نفسه ، مجـ 7 ، ص 159
4ـ العبر : مجـ 7 ، ص 3[illegible]
5ـ نفسه ، مجـ 6 ، ص 45 ، أنظر الميلي : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 300
نفس المصدر ، مجـ 6 ، ص 43 ، أنظر الميلي : نفس المرجع ، جـ 2 ، ص 164
6 ـ ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، جـ 2 ، ص 132 ، أنظر أيضا أبو نسيف : نفس المرجع ص 297

في بعض الأحيان ، ذلك أن البدوي يتعشق الحرية ويأبى الخضوع للأنظمة المحدثة

وقد لعب عرب السويد دورا بارزا في نظم الحكم والادارة في دولة بني زيان وبني مرين (1)

ومن ذلك أن أبا تاشفين ابن موسى بن عثمان بن يغمراسن اتخذ عريف بن يحيى وزيــرا

كما استخدم هؤلاء القبائل والعشائر سفراء ، كما أنهم حافظوا على وضعيتهم القبليـة

من حيث تقاليد الجوار (2) التي كانت مرعية من قبل حكام ذلك الزمان ، من ذلـــك

ماروي عن ابن خلدون أنه لجأ الى جوار بعض القبائل العربية ، كما طلب من ونزمار بن عريف

أن ينقذ حياة ابن الخطيب (3) ومعنى ذلك أن رؤســاء القبائل والعشائر كان لهـم

منزلتهم عند السلاطين ، فقد وصف يحيى بن خلدون أثناء دخوله على السلطان أبي حمو

موسى الثاني مكانة هؤلاء الأشيــاخ (وأتينا قصر الخلافة المنير فجلس أمير المسلمين

في رحبة داره الكبرى بمنزل شرفه تحف به الأسرة الأعلون من قومـــه ، وعرب مملكـــة

عامريته ، وأعيان الطبقات من أهل حضرته (4)

أما الطبقة الثانية ، فهي طبقة العسكريين والمحاربين من الفرسان ، وقد ساعد علـى

وجود هذه الطبقـــة قيام صراعات بين دول المغرب الاسلامي ، ومحاولة كل دولـــة

التوسع على حساب الأخرى ، وساعد على ذلك أيضا الروح القبلية ، والخصائص العقلية

والنفسية لأفرادها ، فهم يتوحشون أبدا ويختصمون مع الطبيعة لا يحلون فيمونـــــــ

حتى يلفظهم الى موضع آخر ، وتختلم وجماتهم بعضها مع بعض العصبيـــة

القديمـــة ، من ناحية واختلافا على الرئاســـة أو الغنيمة من ناحية أخرى (5)

---

1 ـ ابن خلدون عبد الرحمن : العبر مجـ 6 ، ص 98

2 ـ نفسه : الرحلة ، ص 225

3 ـ ابن خلدون عبد الرحمن : التعريف بابن خلدون ، أنظر أيضا أحمد مختار العبادي
مقالات عن ابن خلدون ، وابن الخطيب : مهرجان ابن خلدون 1962 ، ص 63
أبوضيف : المرجع السابق ، ص 295

4 ـ بغية الرواد ، جـ2 ، ص 130 ، أبوضيف : المرجع السابق ، ص 278

5 ـ عبد الحميد يونس : الهلالية ، ص 88 ، أبوضيف : المرجع السابق 297

والأمثلة على ذلك كثيرة منها أنه خلال دتنة قامت بين عرب بني عامر وزغبة في احيائهم خرجت فيها فرسانهم للمواجهة والمنافسة (1)

ويدخل في اسار هذه الطبقة الشعراء الذين يتغنون بامجاد القبيلة ، وهذا اتجاه عربي حيث نرى الشعراء ملازمين لمواكب الفرسان يحمسونهم على القتال وقد تأثرت بذلك القبائل الزناتية ببلاد المغرب وحذت حذوى القبائل العربية (2) كما أنهم كانوا يشتركون في المعارك الحربية التي تخوضها الدولة محافظين على شاراتهم القبلية والويتهم المميزة لهم (3) ، وهذه الألوية والشارات ربما عادت الى أصول تاريخية من ذلك ما يقال عن احتفاظ بني كعب من سليم براية جدهم التي حاربوا بها في ظل جيوش النبي (صلعم) في شبه الجزيرة العربية (4)

أما اسلحتهم فقد تلاءمت مع ظروف حياتهم ، فكانت من النوع الخفيف مع مهارة في امتطاء صهوات الخيول وظهور الابل ، وفي مقدمة اسلحتهم السيف فهو وسيلتهم للدفاع عن النفس والمبارزة والقتال عن قرب

وقد عرف المغرب الاسلامي من أنواع السيوف السيف المستقيم الشائع استخدامه في العالم الاسلامي الى حوالي القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادي تقريبا ثم بدأ يحل محله السيف المقوس من ذي النصل الواحد ، وقد تأثر العرب بأسلحة البربر مثل طاكوبة ، وهو سيف مستقيم النصل ذو وجه واحد ، وليس له واقية للقبض وفليسة وهو سيف مستقيم النصل له حد واحد ، ويتسع عرض النصل عند منتصفه ثم يقل عرضه ، وينتهي بطرف مدبب حاد (5)

---

1 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، مج 6 ، ص 108 ـ 109 أبوضيف المرجع السابق ص 297

2 ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص 258

3 ـ لسان الدين الخطيب ، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب ، ص 317

4 ـ ابن خلدون عبد الرحمن : العبر ، مجا 6 ، ص 73

5 ـ انظر عبد الرحمن زكي : السلاح في الاسلام ، ص ص 33 ـ 39 ـ 44

ومن اسلحتهم الرمح للفر والغارة والرمي عن بعد وقد اجادوا استخدامهـا على ظهور الجياد ، وعندهم عدة أشكال لرأس الرمح منها ما يسمونها المربوعات ، وطويلة يطلقون عليها الطوال [1]

أما السنتها فمختلفة بين المشعب والعريض والرفيع والمستوى والمخـون [2] يضاف الى ذلك من الاسلحة الخنجر والمدية في حزام وتوضع في الجنب وقد انتقل استعمالها في بلاد المغرب من اليمن ولازالت مستعملة هناك ولها حدان

أما الخنجر وهو السكين الكبير له مقبض من القرن والعاج [3] ، ومنها الدروع فالدروع جمع درع وهو نسيج من ذرة الحديد يلبس في الحرب وتألف الدروع الكاملة من الجوشن ، وهو الذي يقي الصدر والبيضة أو الخودة ، وهي الاجزاء التي تقي الرأس ، أما مرتبات هؤلاء فتحدث عنها ابن صاحب الصلاة ، فيقول : لكل فارس عشرون دينار ، والاشياخ العرب لكل واحد مائة دينار وسائر عسكر العرب عشرون دينار لكل فارس [4] هذا بالاضافة الى ماكانت تقدمه الدولة لهذه الفرسان من اسلاح والعدة والخيول وما الى ذلك [5]

أما الطبقة الثالثة والأخيرة فهي طبقة الرعاة والفلاحين ، وفي ذلك يقول : عبد الحميد يونس [6] عن البدو : كان أول اهتمامهم بالانعام ، وقد نجحوا في التدخل

---

1 ـ الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

2 ـ الهلالية ، ص 90 ، أنظر أيضا أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 301
عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص 21 ـ 28

3 ـ عبد الرحمن زكي : نفس المرجع ، ص 26 ـ 27

4 ـ المن بالامامة ، ص 290

5 ـ ابن عذاري : البيان ، ج 4 ، ص ص 85 ـ 60 ـ 61

4 ـ الهلالية ، ص ص 88 ـ 89

الصناعي في توليد وتكثيره والاهتمام بالأنواع الأصلية منه ، وقد كان ارتباط البدو العرب بالإبل والخيل ، وقد طبقوا على حيواناتهم ما طبقوه في مجتمعهم من العصبية الأبوية ، وأخذوا من القواعد البيولوجية بالاحتفاظ بسلامة أنسابه على أن الخيل أصبحت وضعيتها في المجتمع الزياني بفضل القبائل العربية نفس الوضعية التي كانت في شبه الجزيرة العربية ، فهي وسيلة تهدف الى الدفاع عن النفس، وعما يملكون ويحمون من الحريم ، وهي تصحبهم أينما ذهبوا حتى أصبحت هذه العلاقة الحيوية بين الفرسان والخيل يضرب بها المثل في التعاطف والتآلف والتقى الاهتمام بها مع البعض الآخر مثل زناتة ، ومعنى ذلك أن تربية الخيل اهتم بها الفرسان من كلتا الجانبين (1) (2)

أما الابل والبقر والغنم فقد اهتم بها الرعاة وان كان اهتمام الفارس بالخيل يبدأ بعد مرحلة تربيته عند هؤلاء الرعاة ، وحسب التدرج الطبيعي في مدارج الرقي الاجتماعي انتقل بعض هؤلاء الرعاة من مرحلة التنقل والرحلة الى مرحلة الاستقرار ، فجمعوا بين تربية الأنعام وزراعة الأرض ، ومعنى ذلك الانتقال من وضعية المجتمع من الاقطاع الى طبقة الرأسمالية ، وقد بدأت هذه الطبقة تظهر على مجتمعات المغرب الاسلامي منذ عصر الدويلات ، وبخاصة امارة الرستميين بيتهرت ، وبني مدرار بسجلماسة ، واستمرت هذه الوضعية حتى وصول القبائل العربية من بني هلال وسليم وغيرهم فأثروا هذا النشاط وظل امتياز للعرب على البربر والذي يعنينا الآن هو نشاط القبائل المعاصرة للدولة الزيانية من بني هلال وسليم ، وسوف نجتزئ هذا النشاط لنتناول وضعية هؤلاء التجار داخل المجتمع دون أن نتعرض لنشاطهم التجاري ، لأن ذلك يختص بالباب الثاني ، وقد تغلب الهلاليون على طرق القوافل ، حيث قاموا بحراستها ووسعوا نطاق التجارة بين التل والصحراء

---

1 ــ علي عبد الرحمن : حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص93، عبد الحميد يونس، المرجع السابق ، ص 189، أبوضيف ، المرجع السابق ، ص309

2 ــ الادريسي : صفة المغرب ، ص45

أثــر التنمية الثقافية في الوعي الاجتماعي بالمغرب الزياني

تعتبر الفترة التي عاشتها تلمسان عاصمة الدولة الزيانية فترة نمو ثقافي وشعاع حضري ، نشطت فيه العلوم وبرز بها عدد وافر من العلماء في سائر الميادين ذاع صيتهم فأحرزت البلاد تقدما ملحوظا في المجال الفكري، ولا غرو فان ملوك الدولة قد بذلوا جهودا كبيرة في تشجيع قيام حركة ثقافية فعلية في دولتهم ، وقد نجحوا في جعل تلمسان عاصمة دولتهم مدينة ثقافية ، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله نفقت بها أسواق العلوم ، والصنائع فنشأ بها العلماء ، واشتهر فيها الاعلام وسرت أمصار الدول الاسلامية ، والقواعد الخلافية (1)

وقد بلغت الحياة الفكرية ذروة نشاطها في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني (2) الذي أولى جل اهتمامه بالعلم والعلماء ، كما امتاز به من إلمام بالعلوم (3) وقد ولد بغرناطة سنة 723 هـ/ 1323م وقضى فيها فترة شبابه فتأثرت شخصيته بالحضارة الأندلسية ، مما كان له أثر كبير في ذلك الازدهار الحضاري الذي نعمت به تلمسان حتى صارت صورة من غرناطة ، وقد نال الكتاب والشعراء من عطائه وكرمه ومنهم يحيى بن خلدون (4) ، كما شهد حكم الدولة الزيانية انتشار المدارس في مدنها وقراها ، وقد انحصر التعليم في ثلاث مراحل يتعلم فيها التلميذ الكتابة

---

1 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، م 7 ، ص 203 ـ 219

2 ـ أبو حمو موسى الزياني : واسطة السلوك ، ص 35 ، أنظر أيضا ، حاجيات : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان ، ص 137

3 ـ أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 201 ، 202 ـ 203

4 ـ ابن خلدون عبد الرحمن : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 14 ـ 42 ـ 421
انظر أيضا احمد مختار العبادي ، نفس المرجع ، ص 203

والقرآءة ، وحفظ القرآن في الكتاتيب [1] والمساجد والزوايــا [2] ، وتعتبر هذه المرحلة فترة اعداد التلميذ لتقبل مايدرس له في المرحلة الموالية

كان التلميذ يدرس فيها علوم العربية من نحو، ولغة ، وأدب ، بالاضافة الى دراسة الفقه فيتمكــن الطالب من الوصول الى مستوى علمي لائق

يتعمق الطالب في علم من العلوم الدينية من قراءة وتفسير ، وحديث ، وفقــه والعلوم العقليــة دراسة عميقــة يصل بها الى درجــة التخصص

ولقد ساهم سلاطين الدولة في انتشار التعليم مساهمة فعالة فأمروا ببناء المدارس وقد وصلت الى خمس مدارس خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) خلال زيارة الحسن الوزان لتلمسان ، وقد سبق لنا الكلام عن المدارس التي شيدت من قبل بني زيـــان

أما المدارس التي شيدت من قبل بني مرين فتتمثل في مدرسة العباد ومدرسة سيدي الحلـــوي ، كذلك لم تكن تلك المدارس مقتصرة على الحواضر فقط ، بل شملت القرى وهذا يتجلى لنا من خلال ماكتبه المازوني في مجموعة من النصوص تتعلق بالمعلميــن الذين يزاولون أعمالهم في الأرياف ، والأجور التي يتقاضاها هؤلاء السكـــان [3] وبذلك يتضح لنا انتشار التعليم خلال هذه الفترة

---

1 ــ حاجيات :أبو حمو موسى الثاني ، ص 160 نفس المقال ، ص 136

2 ــ عن القاء الدروس بالمسجد الأعظم ، بغيـــة الرواد ، ج 1 ، ص 114 ، البستان ، ص 66
وصف افريقيـــة ، ص 392 ، وأنظر أيضا حاجيات : الحياة الفكريـــة بتلمسان في عهد بني زيان ، ص 137 ، فدى زكريــــاء : النشاط العقلي والتقـــدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانييــن ، مقـــال بمجلة الأصالة ، ع 26 / 1975 ، ص 165

3 ــ الدرر المكنونـــة ، ج 1 ورقـــة 386

ومايؤكد ماذهبنا اليه بعض العلماء الذين برزوا [illegible] كانوا يحملون أسماء القبائل أو الجبال أو مدن الدولة كالغماري والمازوني والتنسي والونشريسي ، ممايجعلنا نعتقد أنهم قد تلقوا تعليمهم بمسقط رأسهم قبل التحاقهم بالمدن الكبرى (1)

من ناحية أخرى فان هذه الفترة تميزت بانتشار الحركة الصوفية مما أدى الى وجود مجموعة من الزوايا ، لعبت هي الأخرى دورا هاما من الناحية الثقافية ، ولكن التنافس الذي حدث بين هذه الزوايا والمدارس كان له تأثيره في انخفاض مستوى التعليم ، حيث نلاحظ تبسيطه ، وبروز المختصرات لبعض الكتب وانتشار حركة التقليد (2) وانعدام الاجتهاد (3)

منهجية التعليم :

فيما يتعلق بهذه النقطة كان بعض العلماء يسلكون طريقة الالقاء والشرح حيث يقوم احد التلاميذ بقراءة نص من كتاب المادة المدروسة ، وعلى الأستاذ أن يقوم بشرح مايقرأ فقرة بعد أخرى ، ويسجل التلاميذ مايسترعى انتباههم في كراريسهم وهذه الطريقة لاتسمح للتلميذ بالمشاركة والمناقشة ، وهناك طريقة أخرى تتيح للتلميذ مراجعة الأستاذ في نقطة معينة لطرح الاسئلة للمناقشة ، ولاشك أن هذه الطريقة كانت أجدى وأنفع له ، غير أن بعض العلماء كان يتجه في تدريسه الى منهجية لاتكاد تختلف عن الطريقة الموجودة عندنا الآن ، حيث يكلف الطالب بالبحث في موضوع ما ، ويقتصر دور الأستاذ على الاشراف على هذه الابحاث وتوجيه الطالب

---

1 ـ المسند ، ص 411 ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج 6 ، مقال الزاوية ، ص 6 ـ 39
وأبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 124

2 ـ المعيار : ج 4 ، ص 74

3 ـ بغية الرواد ، ج 1 ، ص 17

ومن بين الذين طبقوهـــــا الشيخ الأبلي ، فقد ذكر [illegible] أنه كان[1] يوزع بعض المسائل المشكلة على الطلاب ، وينقل لنا هذه الصورة أبو عبد الله الشريف، فيقول : كان الطلبة اذا قرأوا على الشيخ الأبلي فأشكلت مسألة وظهر بحث دقيق يقول أنتظروا أبا عبدالله الشريف ، وهذه الطريقة في التعليم خلقت جيلا من العلماء أبرزهم عبدالرحمن بن خلدون[2]

الوضعيـــــة المذهبيـــــة :

أما الوضعية المذهبية في المغرب الاسلامي عامة وفي المغرب الأوسط خاصة ، فان حاجيات يقول ان المذهب السني قد طغى على غيره من المذاهب بعد انفصـــــــــال بني زيري عن دولة الفاطميين[3] ، وفي أيام المرابطين فان المذهب المالكي كان يحتـــــل أعلى مرتبـــة الآن يقول : وأصبح الاشتغال بالمسائل الفقهية أهم ما يعني بعض العلماء[4]

وأما وضعية المذهب المالكي ابن دعوة الموحدين فقد وجد معارضة من قبلهم حيـث كانوا يدعون الى الاعتناء بالأصول أي القرآن والحديث ، وترك الفروع وما ألف فيهـــا من الكتب ، وفي الميدان الاعتقادي دعى الموحدون الى محاربة التنجيم والاعتمـــاد على الحجج والنصوص العقليـــة بجانب النصوص الشرعية فأدخلوا مذهب الأشعرية والأشاعرة

---

1 ـ البستان : ص 126 ، أنظر أيضا حاجيات نفس المقال ، ص 139

2 ـ حاجيات : أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره ، ص 35

3 ـ عن انفصال المعز بن باديـــس عن الخلافـــة الفاطمية ، أنظر ابن الاثيـــــــر الكامل ، ج 9 ، ص 387 ، حسن أحمد محمود : الدولة الزيرية ، القـــاهرة بدون تاريخ ، ص 279 وما بعدهـــا ،
أحمـــد العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 324
ابن عذاري : البيان : ج 4 ، ص 59 ، أنظر ، حاجيات نفس المرجع ، ص 38

4 ـ حاجيـــات : نفس المرجع ، ص 38 ـ 39

(1)
غير أن حاجيات يلاحظ على موقف الموحدين من علم الفروع انه انحصر في تفضيل المذهب الظاهري على غيره من مذاهب أهل السنة مما نتج عنه غضب كثير من فقهاء المالكية والأهالي مما زادهم تعلقا بالفقه المالكي ، على أنه يجب علينا أن نلاحظ الآثار التي ترتبت على ذلك " ان الاصلاح الذي حاول الموحدون تطبيقه في المغرب قد ترك أثرا في تطور الحياة الدينية من نتائجه البارزة للعيان ذيوع كتب الغزالي (2) في سائر أقطار المغرب ، وكتب غيره من الأشاعرة كالبقلاني والجويني، واقبال الناس على دراستها اقبالا عظيما ، وبهذا خرجت العلوم الدينية في المغرب من طور منابذة الرأي والعقل ، وانتقلت الى طور عقائدي أكثر توازنا واعتدالا " (3)

من كل ماسبق نلاحظ تغيرا ملحوظا على حركة التنمية الفكرية في المغرب الاسلامي عامة مما كان له انعكاسه الملموس على المجتمع الزياني ، وبخاصة العاصمة تلمسان وفي ذلك يقول حاجيات : لعل أكبر عامل للتطور الفكري بالمغرب الأوسط كان نتيجة تأسيس الدولة العبد الوادية التي جمعت أشتات الامارات الصغيرة القائمة آنذاك حيث تكونت دولة قوية استطاعت ان تبعث الحركة الفكرية وتنهض بالعلوم وتشجع طلبة العلم القائمين على تدريسه وتتيح للشعراء والأدباء الفرص التي تمكنهم من اثراء الحياة الأدبية (4)

---

1 ـ حاجيات : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان ، ص 139 ، لنفس المؤلف أبو حمو موسى الثاني ، ص 38

2 ـ ان كتب الغزالي قد حرقت خلال عهد المرابطين خاصة كتاب الأحياء ، ابن عذاري ، جـ4 ، ص 59

3 ـ حاجيات : نفس المرجع ، ص 55

4 ـ حاجيات : المرجع نفسه ، ص 55 ، أنظر أيضا لنفس المؤلف : الحياة الفكرية ص 139 ، مفدي زكرياء : النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين ، مقال بمجلة الأصالة ، ع 26 / 1975 ، ص 165 ـ 166

أما فيما يتعلق بالجانب المذهبي ، فانه بعد سقوط الدولة الموحدية عاد المذهب المالكي يحتل مكانتـــه الرفيعـــة في هذه الدولة بعد أن فقدها عليا واقتصـــرت الدراسات الدينية على التفسيـــر ، والحديث والفقـــه المالكي ، والأصول وعلم الكلام (1) وبرز في هذا الميدان علماء كثيرون ، ولم تبرز خلال هذه الفترة تأليفات كثيرة للكتـــب مثل ماحدث في الفترة السابقـــة ، وبذلك كان دور العلماء هو شرح واختصار بعض الكتب وتبسيطها أمام الطلبة

ومن هنا يتبين لنا أن ازدهار العلوم الدينية وازدياد انتشار الحركة الصوفيـــــة وتغلغلها في وسط العلماء ، والفقهاء ، حيث اشتهر الكثير منهم بالتبتل والزهـــــد ونالوا احترام السكان ، وسلاطين الدولـــة

العلـــوم اللسانيـــة :

حظيت العلوم اللسانيـــة باقبال كبير ، وبخاصة من طرف الكتاب والشعراء ، وعلماء اللغة والنحو ، والأدب ، والبلاغة ، والتاريخ ، والجغرافيا ، ومن المؤلفات التي لقيـــت عناية كبيـــرة كتاب سيبويـــه ، والايضاح لأبي علي الفارسي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه والأمالي للقالي ، وديوان الحماسة ، والمعلقات السبع ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني والعمـــــدة لابن رشيق ، ومقامات الحريري ، وديوان المتنبي ، وتآليف المقري والجغرافيا للزهري ، وكتاب المسالك والممالك للبكري ، واشتهر في هذه العلوم الكثير من الكتاب والأدباء (2)

---

1 ـ عن ازدهار دراسة هذه العلوم ، أنظر حاجيات نفس المرجع ، ص 55 وما بعدها الحياة الفكرية ، ص139 ـ 149 ، فغدي زكريا ، نفس المقال ، ص 166 ـ 167

2 ـ ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ص ص 66 ـ 68 ، أنظر أيضا أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، جـ1 ، ص266
الاحاطة ، جـ2 ، ص ص 275 ـ 278 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص19
البستان : ص 227 ، أنظر أيضا حاجيات : نفس المقال ، ص 149

الأمـــراض الاجتماعيـــة :

بالرغم من عدم استتباب الأمن من خلال المراحل التي مرت بها الدولة الزيانيـــة وطغيان الحركة الصوفيـــة فان حياة السكـــان لم تكن كلها حياة زهد وتقشف ولعل السبب في ذلك يرجع لموقع تلمسان وغيرها من مدن الدولة ، مما جعلهـــا من أكبـــر المراكز التجارية يتوافد عليها التجار من مختلف الدول مما أدى الى تكويـــن طبقـــة غنيـــة لم تكن تتقيد بالمبادىء التي نشرتها الصوفيـــة ، والفقهاء المالكيـــة والتي تفرض على المسلم عدم ارتداء الملابس المطرزة بالذهب والفضة ، وكذلـــــك عدم استعمال قوائم السيوف واللجم المحلى بالذهب (1) ، وربما عاد الترف الى ماتتمتع به تلمسان عاصمة الدولة ، حيث كانت تتوفر على مناظر خلابة لضواحيها وبساتينها الفاخـــرة وشلالاتها المتدفقـــة ومنتزهاتها التي ورد ذكرها مثل وادي الصفصيف وكديـــة العـــشاق وغدير الجـــوزاء (2)

فالمنتزهات الآنفة الذكر تهيىء الجو لسكان المدينة ، والالتفات للمـــــن والترفيـــه على النفس ويثبت ذلك النوازل التي أوردها المازوني والمتعلقـــة بالمرأة البدوية التي تنسب الى بني هلال تشير الى الانحلال الخلقي ، وتسامح الرجل تجاه المرأة ، حيث قال نساء العرب لايسألن عما يفعلـــن

وقد ذكـــر أبو عثمان نص عن القبائل فقال : وصفها المؤرخ بأنها سيدة جميع مايتعلق بالبيت أثاثا ومتاعا ، ونحو ذلك ، والرجل بمثابة الضيف ، فلها أن تفعـــل

---

1 ــ المازوني : الدرر المكنونة ، ج1 ، ورقة 155 ، وقد نقل الفتوى التي افتى بهـــا الشيخ أبي موسى عمران بن موسى المشدالي ، نزيل تلمسان في حكم اتخـــاذ الركاب من الفضة والذهب ، حين سأل ذلك السلطان أبو الحسن المريني وأمـــر أن تكتب بالسؤال نسخ ويبعث الى فقهاء المغرب وفاس وتلمسان

2 ــ المقري : نفح الطيب ، ج9 ، ص 332 ــ 334 ، أنظر أيضا رشيد مصطفاي : تلمسان في الأدب العربي ، مقال بمجلة الأصالة : ع 26 ، 1975 ، ص 356

في البيت ماشــاءت من غير اعتـــرا ض عليهـــا ، ولا مــراقـــــة (1)
لكـــن ماجاء في النصين يبدو أنه يتنافى مع الواقع لأن الحرية في المدن يــــــة
والريف لم تكن أكثــــر انطلاقـــا وانفتاحا عنها في المدن ، ولكن علينا أن نتعرف على
مايسحب سلطة رؤساء القبائل ، والعشائر من ناحية وقيود العرف والعادات والتقاليد
من ناحية أخرى ، ممايجعلها تحدد أفق الحرية في الريف أكثر من المدينة ، ممايبدو
معه نص المازوني لاأساس له من الصحـــة ، من ناحية أخرى أنه في حالة حضور ضيوف
في غيبة الرجل فلهن أن يفعلن لهم من الاحسان مايقوم به الرجل لوكان حاضرا ويضرب
مثلا بذلك : " ان كان الأسد يقتل فاللبوءة تقتل والرجل الهيلالي يفتخر اذا قامت
زوجته بدوره في اكرام ضيوفـــه أثناء غيابـــه " (2)

أما الونشريسي فقد أشار الى انتشار الخمر في المدن ، حيث كان الناس يخرجـــون
من الأزقـــة ، وعلامة الخمر بارزة على أفعالهم ، ويتفق بذلك مع المازوني الذي ذكـــر
هو الآخر انتشار الخمر ليس في المدن فقط ، بل في القرى ، وحسب هذا الفقيـــــه
فان أفرادا من الجاليـــة اليهوديـــة كانوا يقومون بنقله الى الأرياف ، حيث يبيعونـــه (3)
الى سكانها ، وهكذا نرى أن أهل الذمة من اليهود والنصارى لعبوا دورا خبيثا في انتشار
ظاهرة الادمان على الخمر ، ولعل هذا مرتبط كذلك بضعف سلاطين الدولة الزيانية
نتيجة للصراعات التي عاشتها خلال المراحل التي مرت بها (4)

ومن الأمراض الاجتماعية ، ظاهرة التسكع ، ذلك أن بعض الذكور كانوا يتجمعـــون
في الأزقـــة المؤدية الى الأسواق التي يكون الاقبال عليها من قبل النساء ، لمراقبتهن
وفي هذا الصدد يقول العقباني : " " الاماء اللواتي يخرجن متلحفات كالحرائر أو مكشوفات

---

1 ـ أبو ضيف : المرجع السابق ، ص 247
2 ـ محمد بن ماء العينين ، الجاش الربط ، ص 37 ـ 38
3 ـ المعيار : ج 4 ، ص 235
4ـ الدرر المكنونة ، ج1 ورقة 136

بما لا يحل كشفه منهن كالظهر والبطن ، لأن الأمرين في حقهن محظور ، وكذلك خروج الرابعات (1) في هذا الزمن متكشفات كالرجال فإن ... المفتنة " يتجلى لنا هذا من النص أن وجود مجموعة من الجواري كان له أثر سلبي على الحياة الاجتماعية لخروجهن سافرات (2)

ذلك وأن الخروج لم يكن مقتصرا على الجواري بل شمل حتى الحرائر وهذا يتجلى لنا من خلال النصوص التي أوردها كل من العقباني والمازوني والتي أشار فيها لخروج النساء للحمامات العمومية ، وقد طالب بتحريمها على اللواتي اتصفن بالجمال (3)

ومن خلال ما سبق يبدو أن المجتمع الزياني ، بالرغم من أزدهار الحركة الصوفية فان المرأة في المدينة تتمتع بحرية ، وهذا قد أدى الى ضعف الوازع الديني ، مما نتج عنه بعض الأمراض الاجتماعية

أما في الريف فكانت المرأة تشارك الرجل في جميع الأعمال ، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالنشاط الزراعي مثل تربية المواشي وجني المحصول ، لكن بعض النصوص تشير أيضا الى ضعف الجانب العقائدي ، الا أن هذه النقطة تبدو للباحث في الدولة الزيانية شائكة التناول لأن السكان في أواخر عهدها كانوا يشتكون من التدهور الخلقي والديني وبخاصة ما يتعلق بالظواهر التي كانت مرتبطة بالقيم الدينية مثل الحج . فهذه الظواهر يبدو أنها فقدت محتوياتها الدينية وأصبحت في الغالب ظاهرة اجتماعية قبل كل شيء ، كما كان فقهاء العصر قد هونوا من فرض الحج والحوا على شرط الاستطاعة مبينين انه فقد محتواه الديني وأصبح في الغالب ظاهرة اجتماعية قبل كل شيء أو يكاد لعدة عوامل أولا ، اختلال الأمن ، ويعلق على هذا العبدري فيقول :

---

1 ـ المازوني : المصدر السابق ، ج1 ورقة 262

2ـ العقباني : تحفة الناظر ، ص 200 ، الونشريسي : المعيار ، ج4 ، ص 387

3ـ الدرر المكنونة ، ج 1 ورقة 167

ان المسافر عندما يخرج عن انظار مدينة فاس لايزال الى الاسكندرية في حوض ظلماء وخبط عشواء ، لا يأمن على ماله ولا على نفسه ، ولا يؤمل راحة في غده الدهر همها في يومه وأمسه (1)

وقال البرزلي (2) بعد ما أورد للخمي فتوى جاء فيها ان الطريق اليوم من الاسكندرية وما بعدها ذلك الى مكة على صفة لا يلزم معها فرض الحج ولا يؤثم من تأخر في هذه الأحوال ، لأنه يكون من باب القاء النفس الى التهلكة ، وبهذا كان يفتي شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الله الشبي ت 782هـ/ 1382م وقد جرب هذا الطريق ، يقول الذي يقصد للحج في هذا الوقت انما هي شهوة نفس وهوى وخيصة ولا لقصد الله تعالى فتراه من حين خروجه يرتكب من الاثام من سب الغير وتعاطي الحرام وترك الصلاة والقذف والغيبة ، وعدم الوقوف عند حدود الله (3) كما كانت الصراعات بين دول المنطقة سببا في اختلال الأمن وهو ما يوضحه السلطان أبو الحسن المريني في رسالة ارسلها الى السلطان المملوكي

بعد سيطرته على تلمسان 737هـ/ 1336م يتهم فيها أبوتاشفين وسلاطين الدولة الزيانية بالتعرض للحجيج فقال ، ولم يكن الامانال الحجاج من تعنية وتعدية وطال عليهم من تعرضه وتصديه حتى جزعن الحجاز الشريف قصاده ، وحكم سلب الحجاج وسد عليهم المسالك والفجاج وعوق طريقهم

أما فيما يتعلق بفريضة الصيام فقد جاء مثلا في هذا الحديث عن السنة النبوية المتعلقة بتقديم الفطور وتأخير السحور قول البرزلي وكان بعض شيوخنا يقول هذا انما هو عند المتقدمين الذين كانوا يأكلون الطعام الكثير حتى يشبعون ويمسكون بالنهار (4)

---

1 ـ الرحلة ، ص 16

2 ـ نوازل البرزلي ، ج 1 ورقة 156

3 ـ نفس المصدر ، ورقة 136

4 ـ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 217

أمـا الونشريسي فقد تعرض هو الآخر الى المظاهر السلبية ، فذكر أن بعض النساء (1) يفطرون من غير عذر شرعي ، ويرجع السبب في ذلك ان المرأة كانت تخاف مـن انخفاض وزن جسمها وتغيير جمالها خاصة اذا كانت مقبلة على الزواج ، وهذا يوضـح لنا أن الرجل في عصر الونشريسي كان يفضل المرأة البدنية على الرشيقة مما جعل البعض يضطرن الى الافطار بضغط من قبل أسرهن .

أما انتشار الرشوة وشهادة الزور فيقول ، عنها المازوني ومنه ما يفعل في هذا الوقـت من أخذ الجعائل على الفتوى في رد المطلقة ثلاثا ونحوها من الرخص كما يفعله كثيـر من جهلة فقهاء البادية ، فلا يحل ولا يجوز بالاجماع ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل تكون تلك العادة معدومة أو أقل انتشارا في المدن لا أظن ذلك وبخاصة في أواخر عهد هـذه الدولـــة

كذلك تطرح شهادة أهل البادية فيها أيضا قد ورد ولا يكتفي فيها بالقوانين المتعارف عليها في الاسلام في الشهادة فقد قال المازوني (1) والطرر لابن غاث عند قوله تجـوز شهادة أهل البادية حظي بعض الشيوخ المتأخرين من الثقات ان أهل الباديـة ان شهدوا في حق امرأة أو غيرها ، أولم يكن عدل يستكثر منهم ويقضى شهادتهـم في رؤيـة الهلال

ويبدو للباحث أن هذا التشدد في الشهادة مرتبط بتدهور عام وجد في المـدن أيضا وجعل مقاييس الشهادة تتغير نتيجة انتشار الكذب والمجاملة .

1ـ المعيار ، جـ4 ، ص156

2ـ الدرر المكنونة ، جـ1 ورقة 256 و

نلاحظ من دراستنا لموضوع المسكن في الدولة الزيانية [illegible] في ذلك المادية والأدبية لقلة ما [illegible] من العمران ، وخططه بالمغرب [illegible] الحضارة المدنية بالاضافة الى أن الأدب لم يكن قد وصل الى حد وصف المرافق العامة والخاصـــــة وصفا دقيقـــا فيما عدا بعض الاشارات التي وردت من خلال ما كتبه المؤرخون المعاصرون مثل ابن خلدون والرحالة المشارقـــة والمغاربة على السواء

ذكر ابن خلدون ان المدن كانت المساكن فيها تختلف باختلاف المستوى الاجتماعي فالطبقة الغنية تتخذ القصور المشتملة على الدور والبيوت والغرف الكبرى لكثرة الأولاد والحشيـــة والعبيـــد (1)

ومن بين الرحالة الذين تعرضوا لذلك العبدري الذى زار مدينة تلمسان فذكـــر (2) أن مساكنها عالية تحتوى على مجموعة من الطوابق ، وسطوحها مغطاة بالقرميـــد ولعل استعمال القرميد خاص بالطبقة الغنية ، أما الطبقة الفقيرة فقد كانت بيوتهـــا مغطاة بالطين الذى كان على بعض سطوح المنازل ، ويتكون من مخلفات الحيوانـــات (3) وهذا النوع يعتبر من الديار البسيطة التي يطلق عليها اسم **القربي** ، ويكون مغطـى بالنباتات الجافة كالديس والحلفـــــاء (4)

ومن بين الذين تعرضوا لمساكن تلمسان ابن مريم الذى قال عنها انها مزودة باسطبلات الخيـل ، وهي منفصلة عن المساكن ، وبالقرب منها بيوت مخصصة للضيوف (5) أما الحسن الوزان فيشير الى منازل الأغنياء في المدينة فيقول : (بها مباني غايـــة (6)

---

1 ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص 736

2 ـ الرحلة المغربية ، ص 16

3 ـ المازوني : الدرر المكنونة ، ج1 ، ورقة 236

4 ـ حليمي عبد القادر : جغرافية الجزائر ، ص 113 ـ 114

5 ـ البستان : ص 316

6 ـ وصف افريقيا ، ص 391

في ترجمته لسيدي أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب الونيدي فقال في شأنه

" كان رضي الله عنه لا يأكل الا خبز الشعير بالادام "

ومن بين المأكولات البسيسة ، وكانت تصنع بسميد الشعير المحمص، والزيت، والماء وفي بعض المناطق من القمح ، وهي قديمة ببلدان المغرب الاسلامي ، حيث ذكرت المصادر التاريخية أثناء تعرضها للكاهنة اشارة الى صنع البسيسة من قبلها (1) ولا تزال تصنع الى يومنا هذا ، وخاصة بمناسبة الولادة، حيث تقدم الى الاشخاص الذين يأتون المتهنئة بالمولود الجديد ، وهناك العصيدة التي تصنع من الدقيق الرفيع ، ينضاف اليه في المناطق الرعويـــة الزبدة والسمن (2).

ومن بين الاطعمـــة أيضا الهريسة التي تطبخ باللحم والقمح ، ولحم الدجـــاج مع زيت الزيتون (3) ، وهناك أنواع أخرى مثل اليسار وهو الفول المطبوخ في اللبـــن والسمن ، وأوراق السلق المطبوخة بالحمص أو الجزر أو الفول (4) ، ومن ذلك الدويدة أو الشعيرة التي تطبخ بلحم الدجاج ، وتستعمل في الاحتفالات ، وكذلك أيام رمضان نجد الحسو أو الحساء ، وهذا النوع من الأكـل لا يزال الى يومنا هذا بالمغـــرب الأقصى ، و تعتبر أكلة شعبية كثيرة الانتشـــار (5).

وفي تلمسان أشار ابن مرزوق خلال تعرضه لأبي الحسن المريني بمدينة تلمســـان فقال : " أخذ يسيرا من حسو ، وأغلب مناطق الجزائر لا تزال الى يومنا تستعمل الحساء خلال شهـــر رمضـــان "

---

1 _ DHINA(A) Le Rugaume abdelwadid P 181

2 _ الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 108

3 _

4 _ وصف افريقية : ص 397

5 _ المسند الصحيح : ص 232

5 _ وصف افريقية : ص 389

أما الحسن الوزان فيشير الى نوع من الأطعمة قدمت للسلطان الزياني خلال الحصار المريني للمدينة سنة 698 ـ 707 هـ / 1298 ـ 1307 م هي عبارة عن لحم خيل مشوي مخلوط بشعير، وورق البرتقال (1)

أما الحلوى فتصنع أيام المواسم مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، وأيام رمضان حيث يكثر الاقبال عليها من طرف السكان (1)، ومنها الكعك والزلابية التي تأخذ طابعها الشعبية في المغرب الاسلامي (2)، وهناك المشهد التي أشار اليها ابن مريم خلال تعرضه لكرامات سيدى الحلوي، حيث قال أخذ مشهدة لم ير الراؤون مثلها ولا طيبتها امراة في الدنيا من احكام طبخ، وجودة صنع، وكثرة أدام فأكلنا، وتوجهنا الى دار عمتي، فأخرجت مشهدتها فوجدناها لاتشبه الأولى فأكلنا منها قليلا

ومن الحلوى أيضا السفنج مصنوع بالعسل والمورنيق، ومنها القطائف والقريص مصنوعة بالسميد، ومنها القباط الذي يحشى باللوز (3)

ثالثا : الملابس

واذا كانت نوعية المأكولات مرتبطة أشد الارتباط بمستوى الطبقات الاجتماعية فالملابس هي الأخرى تختلف من طبقة الى أخرى من المدنيين والعسكريين، والحضر وسكان البوادي، كما توجد ملابس خاصة بالصيف، وأخرى بالشتاء، وأغلب الملابس مصنوعة من الصوف والقطن والحرير (4)، وهذا الأخير اقتصر على النساء، لأن الرجل لا يلبس الا ماحل له كالكتان، والقطن، والصوف، فقد كان فقهاء الدولة الزيانية يحرمون على الرجل لبس الحرير، ولكن طبقة الحكام لم يلتزموا، هذا من جهة

---

1 ـ تحفة الناظر : ص 212

2 ـ البستان : ص 69

3 ـ رشيد بورويبة : تاريخ الدولة الحمادية، ص 162

4 ـ وصف افريقية : ص 392 وأنظر أيضا :

ومن جهـــة أخرى فان الباحث يلاحظ وجود ملابس أندلسية في المجتمع الزيـــاني (1) لقرب الحواني التي تشتهر بصناعة المنسوجات مثل المرية [illegible] الادريسي (2) خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (3)، وذلك أن السلع كانـــت تصل باستمرار الى حنين وغيرها من الحواني الزيانية كما وجدت ملابس مشرقية في الأسواق (4) الزيانية أشار لها العماري عند تعرضه الى تلمسان (5)، وملابس أوروبية ذكرهـــا شارل عما نوئيل دي فورك Ch. DUfaurcq (6) والمازوني في نوازله (7) وهي الفـــرو حيث سئل : هل تلبسون فسلها ؟ وعن اختلاف الملابس حسب الطبقات الاجتماعية يرى ابن خلدون أن الطبقة الغنية كانت (8) الملابس الفاخرة من الحرير والديباج

---

1 — تحفة الناظر، ص 139 — 140 ، أنظر أيضا بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوســـط في القرن التاسع الهجري، ص 44

2 — تحفة الناظر : ص 266 ، الدرر المكنونة ، ج 1 ورقة 320

3 — يلاحظ الحسن الوزان هناك تشابه بين ملابس المرأة في غرناطة وفاس ، واصل ذلك امتد حتى تلمسان نتيجة للاحتكاك الذي وقع بين سكان تلمسان والأندلسيين نتيجة للهجـــرة ، أنظر الوزان ، ص 248 أنظر أيضا : R.ARIE: Quelques remarques sur le costume musulman de l'espagne au temps des Nassirides dans Arabica N° P.260.

4 — صفة المغرب : ص 172

5 — DHINA (A) OP CIT P 363

6 — DUFOURCQ (CH) Le commerce du maghreb medieval avec l'europe chretienne et marine musulmane -Données connues et problèmes en suspens (communication au congrés d'histoire et de civilisation du maghreb-tunis) Decembre 1974.Actes du congrés serie histoire N° 1 T I . TUNIS 1979. P 187.

7 — المازوني : الدرر المكنونة ، ج 2 ، ص 136

8 — المقدمة : ص 776

وأن هذه الملابس تتطور بتطور الدولة ، لأن أغلب ماتركه لنا ابن خلدون من عبارة عن تجارب مستوحاة من البيئة المغربية التي عاش فيها ، (1) ويقدم لنا الحسن الوزان صورة لما كانت عليه ملابس الطبقة الحاكمة اذ يقول : ان ملابس سلاطين الدولة كانت أنيقة

أما الملابس بالنسبة لأهل تلمسان فيقول : انها لاتختلف عن فاس (2) ، ومن بين تلك الملابس العمامة التي كان يتعمم بها سلاطين المغرب الاسلامي ، فقد ذكر صاحب الاستبصار أن أهل بجاية كانوا متخصصين في صناعة العمائم ، وهي مطرزة بالذهب تساوي العمامة الواحدة مابين الخمسمائة والستمائة دينار (3) ، والعمامة شعار الاسلام في المغرب الاسلامي عامة ، فقد أورد صاحب كتاب مسالك الأبصار عند تعرضه (4) للدولة الحفصية أن ملوكها يلبسون عمامة كما أشار أيضا أبو حمو موسى الثاني الى لبس العمامة من قبل سلاطين الدولة الزيانية (5)

ومن الملابس التي كانوا يرتدونها البرنوس (6) أما الفقهاء فقد كان لباسهم يتمثل في الجبة من الصوف أو القطن ، وأما الصوفية فكانوا يرتدون الخرقة (7) ، يقول الغبريني في ترجمته لأبي فاضل قاسم بن محمد القرشي انه قال : " دخلت سوق الصوف فرأيت خرقة أعجبتني ، فأشتريتها بثلاثين درهما " كما كان الفقهاء يلبسون البرنوس الأبيض ، فقد أورد القلقشندي قوله (8) : وأما العلماء وأهل الصلاح فانه لاحرج عليهم

---

1 ـ وصف افريقية : ص 393 ومابعدها

2 ـ نفسه : ص 394

3 ـ الاستبصار ، ص 20 ، أنظر أيضا بورويبة : المرجع السابق ، ص 82

4 ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج5 ، ص 142 ، نقلا عن العمري : مسالك الأبصار ، أنظر أيضا :
BOZY : Vetements, P 28F

5 ـ واسطة السلوك : ص 144

6 ـ القلقشندي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 204

7 ـ عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، ص 175

8 ـ صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 204

في ذلك ، ولاحن في غير الملون مثل الأبيض من البرانيس، والى ذلك الاشارة في قول ابن مريم (1) أثناء حديثه عن سيدي أحمد المشدالي ، حيث قال لما أتى سوق تدرومة ، ودل قلمون برنوسه على وجهه لكي لايعرفه الناس

والسروال يعتبر هو الآخر من الملابس التي كانت تخص طبقة الاغنياء (2) يقول العبريني في ترجمته للمتجيبي (3) كان يوما يسير الى باب البحر ، ومعه بعض خواصه ، واذا بشخص يتمايل سكرا ، فألقى يده في يد الشيخ فقال له : ياسيدي أدفع لي ما أتم به هذه السكرة ، فانتهره الناس ، فقال لهم : لا عليكم ، دعوه ، فتركوه فأخذ سرواله ، ودفعه اليه لأنه لم يكن عنده غيره

ومن الملابس أيضا الجلابة (4) ، وقد وجدت هذه الأخيرة في المغرب الاسلامي والاندلس منذ عهد الخلافة الأموية ، واستمرت الى العهد الزياني ، ويتجلى ذلك من خلال ماكتبه العماري (5) حيث يقول : ان الملابس كانت في المجتمع الزياني تختلف حسب المكانة أو العرق أو المهنة حيث يلبس ابن الجبل لباس أمثاله من أهل الجبال ، ويلبس العربي لباسا عربيا ، ولكن أفضل الناس كساء هم الأساتذة (6)

---

1 ـ البستان : ص 60

2 ـ عنوان الدراية ، ص 150 ، أنظر أيضا : MARCAIS (G) le costume musulman de l'algerie P 19.

3 ـ باب البحر من الأبواب الرئيسية لمدينة بجاية في عهد الحماديين والدول الموالية لهم ، أنظر بورويبة : المرجع السابق ، ص 154

وعن ارتداء البرانيس في تلمسان يذكر MALMOL أن تلمسان بها الكثير من البرانيس الجيدة من القماش الأبيض والأسود والأزرق ، راجع : MALMOL OP T II P92

عن الجلابة : أنظر DOZY:Articles de jellabia PP 203

5 ـ صبح الأعشى : جـ5 ، ص 148

6 ـ وصف افريقية ، ص 392

وإذا كنا لم نعثر على مايساعدنا في تحديد نوعية هذه الملابس، لذلك أعتمدنا في هذا البحث على الوثائق السابقة، ومنها ماذكره ابن صاحب الصلاة، حيث قال (أنعم عليهم السلطان بالكساء من العمائم والغفائر (1) والبرانيس، والأكسية فحصل كل فارس على غفارة وعمامة وكساء وقبطية (2) وشقة (3)) وقال أيضا : " كسا جميعهم بالقباطي والقمص والغفافير والعمائم "

وفي رواية ثالثة يقول : (أعطى الكسوات للموحدين، والأشياخ من كل رتبة، وللطلبة والعرب، فأعطى لكل واحد ستة أثواب، عمامة، وغفارة، وقبطية مبطنة ومقطعين مهد وبين وكساء)

فالنصوص الثلاثة توضح لنا نوعية الملابس التي كانت أكثر انتشارا في المغرب الاسلامي، ومنها أراضي الدولة الزيانية، لأن ملابس هذه القبائل في البوادي هي امتداد لما كان عليه خلال العهد الموحدي.

أما الوثائق الزيانية فقد أكتفت بالاشارة الى الحديث عنها دون التعرض لنوعيتها ففي عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني توافد عليه ثمانية الآف من العرب فقدم لجميعهم الكسوة (4)

---

1 ـ الغفارة : هو لباس يلبس فوق آخر وقد ذكره ابن مرزوق عند تعرضه لحصار تلمسان من قبل أبي الحسن المريني سنة 737هـ/ 1336 م أنظر المسند، ص 192
2ـ القبطية : هي الثوب الأبيض يقول الدكتور عبد الباقي محمد علي، في محاضرة شفهية، القبطية والقباطي، صناعة مصرية قديمة، وقد كانت المعلقات تكتب بماء الذهب على القباطي، وتعلق في جوف الكعبة، فالقبطية بالباء وبالميم معرفة، يدل لذلك قول ابن صاحب الصلاة، فكسا جميعهم بالقباطي : أنظر صبح الأعشى : جـ5، ص 203
3ـ شقة : عبارة عماشق من الثياب على شكل مستطيل، أنظر المن بالامامة جـ 2، ص 437، أنظر أيضا أبو ضيف : المرجع السابق، ص 254
4ـ بغية الرواد : جـ2، ص 28

أما أبو الحسن المريني ، فانه بعد الاستيلاء على تلمسان ، خرج اليه سكانها فأعطاهم ألف فرس من عتاق الخيل بجهازاتها ، وعدتها ، وشيعتها ، والكسي المناسبة والجهازات مابين مرصع بالذهب ، ومخطط ، ومنبل بالذهب ، والفضة والكسي منها ما هو بالتفصيل المكسب ومنها ما هو بالخز الرفيع ، وكان عدد الكساء اثنا عشر ألف كساء (1)

وأغلب هذه الملابس التي تم توزيعها من قبل السلطان أبي الحسن المريني هي من صنع سكان عاصمة الدولة الزيانية (2) ، لأن النصوص التاريخية تشير الى غناء تلمسان وشهرتها في انتاج المنسوجات

واذا كان أبو الحسن المريني قد استولى على مخازن الحبوب فان الذي يتبادر الى الأذهان هو استلاؤه على دور الطراز ، ومصانع المنسوجات بالعاصمة الزيانية وربما كانت الاشارة الى ذلك واضحة فيما عرض له ابن مرزوق ، حيث يقول عن ملابس أبي الحسن المريني وحاشيته : " كانت ثيابه وثياب ولده رضي الله عنه من أثواب ملوك تلمسان قد صارت اليه ، فلم يشتغل منها قط للباسه ولفرشه (3) ، على أن النص الذي أراده ابن مرزوق يبدو التناقض فيه واضحا بين العبارتين المتجاورتين ولعل ذلك يعود الى أن أبا الحسن المريني كان قد أهدى الحلل المرقومة المذهبة والأنساق ، والقنع والمحررات المختمة ، والبرانيس المصنوعة من الحرير المشفف وأحاريم الصوف لدولة المماليك بمصر (4)

---

1 — فيما يتعلق بالملابس الموشاة بالذهب ، أنظر قائمة الهدية التي أرسلها السلطان أبو الحسن المريني للسلطان المملوكي الناصر محمد سنة 738هـ/ 1339م أنظر عنها العبر ، مجا 5 ، ص 904 ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ص 452 ، وص 80

وأما لفظة " المكسب " فيميل الدكتور عبد الباقي محمد علي الى أنها محرفة عن " المقصب" وهي صناعة أندلسية مغربية شهيرة

2 — المسند : ص 452 ، وما بعدها

3 — نفسه : ص 452

4 — العبر ، مجا 5 ، ص 904 ، المسند الصحيح ، ص 453

في فصل الصيف بدرية ذات أكمام عريضة مما يساعدهم على تسرب الهواء الى أجسادهم وتخفيف شدة الحرارة، وأما في فصل الشتاء فانهم يلبسون كساء من الجلد، ويضعون فوقه الصدرية، أو الكساء، ويلبسون وشاحا كبيرا من قماش القطن يلقونه، ويتلحفون به شتاء (1)، وتغيير الملابس من فصل الى آخر ان دلت على شيء فانما تدل على امرين اثنين :

1 — طبيعة المناخ الذي تتميز به أراضي الدولة الزيانية، حيث يكون الصيف شديد الحرارة، والشتاء قارسا

2 — الرقي الاجتماعي الذي وصلت اليه الحياة في عهد الزيانيين

هذا من جهة ومن جهة أخرى نلاحظ الاختلاف بين ملابس الجنود وضباطهم، وهذا مايوضحه الوزان بقوله (2) : "أما العسكريون القادة من ذوي الرتب العالية فيلبسون فوق الصدرية لباسا آخر، ويضعون فوق المعطف قبعة كتلك التي كانت متصلة بالمعاطف والتي كان الناس يرتدونها سابقا في ايطاليا خلال أسفارهم"

نستنتج من هذا النص أن الضباط تميزوا بملابس راقية فاخرة جميلة متأثرة بالأنماط العسكرية الأوروبية (3)، ولعل ذلك يرجع لوجود جنود مرتزقة من أوروبا في صفوف الجيش (4) كما حدث في عهد أبي حمو موسى الأول مثل القائد مسامح

أما الحرفيون في المجتمع الزياني فكانت لهم ملابس مميزة عن بقية السكان حيث يلبسون لباسا لائقا، ولكنهم يضعون قوبا (5) قصيرا، وقليل منهم هم الذين يضعون عمامة على الرأس

---

1 — وصف افريقية : ، ص 392

2 — نفسه : ص 399

3 — عن تواجد الجنود المرتزقة ضمن الجيش الزياني، أنظر ابن خلدون : العبر : مجلد 7، وأنظر أيضا

DU Fourcq (ch;E) la traduction: le traité de tlemcen de 1286. Dans:Bulletin de la societé géographique,Archéologie d'oran/1967 PP 33 ect.

4 — ابن خلدون : العبر، مجلد 7، ص 166، يحيى بن خلدون : بغية الرواد، ج1، ص 214 أنظر أيضا :

5 — قوبا يفسر ابن منظور هذه الكلمة بقوله قبت الأرض أقوبها اذا حفرت فيها حفرة مقورة، فانقابت هي ابن سيده قاب الأرض قوبا وقوبها تقويبا : حفر فيها شبه التقوير، لكن عن فيما يتعلق بنص الوزان المقصود بها القلنسوة ذات الاطار البارز من أمام، أنظر التفسير الأول ابن منظور : لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ج3، ص 182

وقد أشار القلقشندي الى ملابس الرجال في المغرب الاسلامي على الصعيد فقال (1): " ان الاشياخ والعامة كانوا على زي واحد لايمتاز بعضهم على بعض الا في شيء واحد لايكاد يظهر لنا هو الذي يتمثل في صغر العمائم، وضيق القماش، كما أنهم يتلثمون تحت أذقانهم (2)، وعند تعرضه للسلطان الحفصي، يقول له عمامة لايتعمم أحد من دولته قدرها في الكبر، وهذه رؤية من بعد لأن القلقشندي، وان كان من تلاميذ ابن خلدون الذين تأثروا بمنهجه الاجتماعي في فلسفة التاريخ ينظر للملابس في المغرب الاسلامي من خلال رؤية موضوعية شمولية، ولعل ذلك يعود الى ماكان يراه أويسمعه عن ملابس المغاربة بالقاهرة، فهو لايتحدث عن ملابس الملوك فقد وانما يتحدث عن ملابس مايتوافدون على القاهرة من العلماء، ومايمرون بها من الحجاج أما العمائم عند الملوك، فقد قارنها بعمائم الشيوخ في الازهر، حيث كانت تختلف في حجمها على حسب المناصب الدينية وأكبرها جميعا عمائم شيخ الازهر

أما الفرسان من البدو فكان الديهم عمائم قليلة العرض من كتان، يحمل فوقها احرامات يلفونها على أكتافهم، ويتقلدون السيوف الخفاف في أرجلهم (3)

أما المهاميز (4)، فكانت مقصورة على شيوخ القبائل، على أن الجنود كانت ملابسهم تختلف اختلافا كليا عن ملابس المدنيين، ولاتقل جمالا ورشاقة عنها حيث يرتدون

---

1 ــ صبح الاعشى ، جـ5 ، ص142 ، عبد الحميد يونس : الهلالية ، ص97

2 ــ وتعرف العمامة بالرزة أيضا ، ويتبين لنا ذلك من ترجمة يحيى بن خلدون للمجاصي ، حيث أعابه وسخ رآه على رزة شيخ ، بغية الرواد ، جـ1، ص106

3ــ الخفاف خاص بالنساء أيضا ففي عهد الحكم بأمر الله الفاطمي 386ـ411هـ/ 996 ــ 1020 منع الخفافين من عمل الاخفاف أنظر: DOZY : OP CIT.P.186 يقول العقباني : ان الخفاف تباع بأسواق الدولة الزيانية ، أنظر تحفة الناظر، ص222

4 ــ المهاميز : مفردها مهماز وهو آلة من حديد توضع في رجل الفارس فوق كعبه أنظر القلقشندي ، جـ2 ، ص136

ذات ثنيات ، وملابس النساء ذكرها الحسن الوزان وبين أختلافها بين نساء العرب والبربر

أما العربيات فكن يرتدين ملابس تتألف من قميص أسود عريض الكمين يضعن فوقه خمارا من نفس اللون أو لون أزرق، ويتحجبن به ويلففن به أجسادهن بصورة تصل معها حافته الى الكتفين من أمام ومن خلف، ويكون مثبتا بدبابيس (1)

واذا كان الوزان قد ذكر أسماء ملابس نساء القبائل العربية ، فانه سكت عن ملابس النوميديات

أما ملابس المرأة المسلمة فانها ترتبط بالحجاب الاسلامي قربا وبعدا على حسب المؤثرات الدينية في المجتمعات الاسلامية ما بين المشرق والمغرب الاسلامي (2) ، وبحيث في المغرب الاسلامي تأخذ شكل متقارب في ظل الوحدة الثقافية الاسلامية وان اختلفت من حيث الشكل في ضوء النظريات المنبثقة من واقع المجتمع (3) ، على أن الحجاب الاسلامي تعددت فيه وجهات النظر ، فالبعض يرى أن المرأة يجب أن يكون حجابها كامل والبعض الآخر يرى الحجاب ما عدا الوجه والكفين ، ولكن الوضعية بالمغرب الاسلامي اختلفت فالبعض يأخذ بنظرية ماعدا الوجه والكفين ، والبعض الآخر يغطي جزءا من الوجه عدا العينين أو عينا واحدة على اختلاف ظاهرة ما بين المغرب الأوسط والأقصى والأدنى

واذا حاولنا أن نتصور هذه الوضعية التاريخية فلابد لنا من الدراسة الميدانية أي واقع ملابس دول المغرب الكبير في مواطنه المختلفة ما بين الحائك في المغرب الأوسط والجلابة في المغرب الأقصى ، والسباءة بالمغرب الأدنى ، واذا ما حاولنا أن نتصور ماكانت عليه المرأة في المجتمع الزياني فلابد لنا من استعراض النصوص

---

1 — وصف افريقية : ، ص 61

2 — الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 61

3 — المازوني : المصدر السابق ، جـ 1 ورقة 356

وهي قليلـــة فيما أورده الوزان والمازوني والزهري

فالزهري يقول : ان المرأة كانت تلبس كساء[1] وهو عبارة عن قطعة من القمـــاش[2] المصنوع من الصوف تتلحف به ، وهو خاص بالطبقة الغنية ومعنى هذا أن الكســـاء يشبه الحـــائك

أما الحسن الوزان فيقول عن نفس الطبقة ان نساء ها كن يسيرن في الأنهج[3] ، وهن يرتدين ملابس بيضاء واسعة ، والملاحظ أنه لم يوضح لنا طريقة الحجاب في هـــذه الملابس الا عندما تحدث عن النساء العربيات فقال : " أما العربيات فكن يرتديـــن ملابس تتألف من قميـــص أســـود عريض الكميـــن يضعن فوقه خمار من نفـــس اللون أو لون أزرق ويتعصبن به ، ويلتففن به أجسادهن بصورة تقعل معها حافتـــه الى الكمين من أمام أو من خلف ، ويكون مثبت بد بابيس"

واذا حاولنا أن نتصور هذا الزي فاننا تلاحظ أنه لازال سائدا لحد الآن في المناطق التي تتواجد بها مضـــارب للقبائل العربية مثل جبل عمـــور

واذا كان هذا الرحالة قد أشار الى نوع من الاختلاف بما تلبسه المرأة العربيـــة وقد سكت عن ملابس النوميديات واكتفى بقوله بأنها مختلفـــة[4]

ويبدو أن هذا الاختلاف كان حقيقة واقعة وانه بالتدريج تأثرت المرأة النوميديـــة بالمرأة العربية حتى صارت الى الحال التي أصبحت اليه ملابس المرأة المسلمة موحـــدة من غير اختـــــلاف

---

1 ــ الزهري : كتاب الجغرافيا ، ص 196

2ــ الكساء : هو الحائك الذي ترتديه المرأة أنظر:

Brunchvicq(R) La berbere orientale T.II P 265, DHINA (A) AP CIT P179

3 ــ وصف افريقية ، ص 392

4ــ الحسن الوزان : المصدر نفسه ، ص 392

(1)
أما المازوني فيعطينا صورة للحائك تشبه الى حد بعيد ماتلبسه المرأة في المغرب الجزائري ، والجنوب ، ويبدو أنه من مخلفات التراث الرسمي لأنه استمر عبر التاريخ الزياني ومازال موجودا حتى الآن وفي هذا الصدد يقول : ان زي النساء الالتحاف بالكساء ، ودون نقاب من كتان ولا غيره ، وانما يسترن وجوههن بطرف من نفس الكساء بأيديهن

أما الرحالة الاسباني مرمول (2) فقد ذكر أن المرأة بالمغرب الأوسط ترتدي حائك ذالون أبيض ، وقد أشار هيدو (3) الى المرأة في الجزائر فقال : انها ترتدي معطفا أبيض من الصوف الرقيق (4) ، ومن التماشي والحرير يعرف بالحائك والجواري كن يخرجن غير ملتحفات عكس المرأة الحرة (5) ، ومن ملابس النساء المفساري الخاص بالمرأة في المجتمع الزياني ، حيث ارتفعت شهرته في العالم الاسلامي ، وقد اشتهر بلونه الأبيض (6) ، كما وجدت بتلمسان ثياب تعرف با لتلمساني ، ويشير ياقوت الحموي الى نوع آخر من الملابس فيقول : ان نساء تلمسان لبسن الكتانيين وهي أنواع (7)

كما كانت المرأة ترتدي سروالا ، وقد تعرض الرحالة الاسباني مرمول MARMOL لذلك فذكر أن السروال كان بالمغرب الأوسط ، ولعله نفس الطراز الذي لا يزال مستعملا لدى نساء العاصمة الجزائرية حتى الآن ، وأما أهل الذمة فقد كان مفروضا عليهم ارتداء ملابس خاصة منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وهي تختلف عن ملابس المسلمين ولونها أصفر ، وعلى رأسهم الشفائر

---

1 ـ الدرر المكنونة ، جـ1 ، ورقة 262

2— HEDO TOPOGRAPHIE D'ARGEL FEL 28 P.P 148-149

3 — Brunchicq(R) : La berbérie orientale sous les hafsides; T.II P 265.

4ـ الذرر المكنونة ، جـ1 ورقة 262

5ـ عن السفساري : انظر الزهري : المصدر السابق ، ص 198

6ـ معجم البلدان ، جـ5 ، ص 226

7—. LA decription de l'afrique T.II. F83 3 VOLUMES GRENADE 1573-1599

الأأنهم لم يتقيد وا بتلك الملابس ، وبخاصة في مرحلة نص[illegible] وقد تناول المازوني (1) لباس أهل الذمة ، حيث لاحظ تقليد الذميات للمسلمات نقال : والعادة عندنا أن نساء النصارى يستترن كالمسلمات غالبا من غير علامة ، ومنهن من يلتزم زي النصارى ، واليهوديات لهن علامة المشي بالقرق (2) أو حافية ، وعلامة الذكور من اليهود المشكلة الصفراء فوق الاحرام لا تحته

أما الأحذية فكانت مصنوعة من الجلد ، مثل البلغة والمداسة (3) والقبقاب (4) والقرق والسندالة والرحية ، وأما الحرفيون فكانوا يلبسون أحذية تصل الى سيقانهم ، وهذا النوع من الأحذية مرتبط بنوعية المهنة التي تقتضي منهم ارتداء هذا النوع من الأحذية محافظة على أجسامهم ، والحلي تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية ، ومن بينها السوار الذي يصنع من الذهب للطبقة الغنية ، والفضة لبقية الطبقات الاجتماعية الأخرى ، والخلخال كذلك من ذهب أو فضة (5) ، ويذكر الونشريسي أن القوارير والأمشاط والأمرية (6) والانعلة والقباقب كانت تخرز بخيوط الذهب ، بالاضافة الى النطاق (المحزمة) التي تقدم في أغلب الحالات تهدية بمناسبة الزواج ، والأقراط والخواتم لكن هذه الأخيرة لم تبق مقتصرة على المرأة فقط ، بل شملت الرجال ، مما أدى بالفقهاء

---

1 — الذرر المكنونة : جـ1 ، ورقة 356

2— القرق : يعرف لدى الأندلسيين باسم السندالة عند أنظر : DOZY.Supplément P 363.

3— تحفة الناظر : ص 202

4— القبقاب : نوع من الأحذية بقي يحمل نفس الاسم في الجزائر عنه أنظر : DOZY: Supllément.T.II. P 303 , Brunchvic : OP CIT. T.II. P 282 Maràais (t) : OP.CIT.

5— المعيار : جـ5 ، ص 47

6— العقباني : تحفة الناظر ، ص 97 ، المازوني : الذرر المكنونة ، جـ1 ، ورقة 376

الى اصدار فتوى تمنع الرجـــال التختم بالذهب أو ارتداء الملابس المطـــرزة بـــه ومن أدوات التجميل الكحل للعين ، والحرقوس للحواجب ، والسواك للثغر ، كذلك الوشم الذي يتميز بطابع معين يختلف من منطقة الى أخرى (1) ذلك أن السكان الذيـــن يقطنون المنطقـــة بين برشك وشرشال يضعون الوشم في الخدين واليدين (2)

أما القبائل العربية فان من عاداتهن ان تخضب المرأة بالحنة يديها ورجليهـــا حتى نهاية الأصابع ، وذلك قبل الزفاف ، ويستعملن خضابا مركبا من سخام الدخـان وجوز العفص ، والزعفران يضعن منه فوق الحاجب ، و على الذقن ، ويرسمن شكـــلا يماثل ورقة الزيتون ، وتعمد بعضهن الى سد الحواجب تمامـــا (3)

دور المـــرأة في المجتمع الزيـــاني :

الطابع العام للأسرة الاسلاميـــة هو السائد من حيث مركز الأب و نفوذه على زوجته وأبنائه ، واحترام الزوجة لزوجها ، والأبناء لوالديهم ، لذلك فان المجتمع الزياني يعتمد كثيرا على الذكور ، فالأب هو المسؤول الأول عن الأسرة ، وهذا تطبيق لما ورد في القرآن العظيم " الرجال قوامون على النساء " (4) ويقوم برعاية الأسرة في غيابه العم ، والابـــن الأكبر ، وأقرباء الأســـرة من الذكور ، وأما داخل المنزل فان الأم أو الأخت الكبـــرى هي صاحبة الأمر والنهي ، واذا كان الأمر يتعلق بشؤون بالغة الأهمية مثل الزواج ، والطلاق ، والبيع ، والشراء ، فان المسؤول الأول عن العائلة يعقد مجلسا عائليـــا

---

1 ــ وصف افريقية : ص 401
2 ــ نفسه : ص 61
3 ــ نفســـه : ص 61
4 ــ سورة النساء : آيـــة 36

يستمع فيه لآراء جميع أفراد العائلـــة الراشدين ، وبذلك فإن نظام الأسرة ديموقراطيا

على الرغم من مظهره الدكتاتوري

لكن هذا لا يقلل من دور المرأة في الحياة العامة بالدولة الزيانية ، فبالرغـــم من القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة ، إلا أنها أسهمت بدور بـــارز في النشاط السياسي ، حيث أن أم يغمراسن بن زيان سوط النساء كـــانــــت على رأس الوفد الزياني الذي وقع المعاهدة مع أبي زكرياء الحفصي عند ما حاصر تلمســـان (1) ، كما أنه خلال المعارك التي دارت بين الدولتين المرينية والزيانيـــة كانت النساء يشاركن فيها ، حيث يقفن وراء المحاربين لحثهم ، وتشجيعهم عـــلى القتـــال (2) ، ولم يكن مقتصرا على الدولة الزيانية ، بل شمل حتى المرينيين (3)

وخلال الحصار المريني الكبير لتلمسان سنة 698 ــ 707هـ/ 1298 ــ 1307م (4) كان لهن دور كبير في حث أمراء الدولة الزيانية على القتال ، فقد ذكر ابن خلـــدون من بين الخادمات اللواتي يعملن في قصور الدولة دعد وهي قهرمانة القصر ووصيفة بنت السلطان الحفصي أبي اسحاق ، وزوجة أبي سعيد عثمان بن يغمراسن ، قـــد خرجت من القصر ، واتجهت لابنيها أبي زيان وأبي حمو الأول ، وحيتهما بتحيتها ثم قالت لهما : خطابا قصركم ، وبنات زيان حرمكم ، مالنا والبقاء ، وقد أحيـــط بكم ، وأسف عدوكم لاتهامكم بالجبن ، ولم يبق الا فراق باكية لمصارعكم ، فأريحونـــا من معرة السبي ، واريحوا فينا أنفسكم ، وقربوا الى مهالكتنا ، فالحياة في الذل عذاب

---

1 ــ العبر : مجا 7 ، ص81 ، الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصيـــة ، ص 22 ، ابن قنفد : الفارسية ، ص 109 ، أنظر ، الجيلالي : تاريخ الجزائـــر العام ، جـ2 ، ص 15 ، الميلي : المرجع السابق ، جـ2 ، ص780 ط1976

2ـ لمجهول : الذخيرة السنية ، ص131

3ـ نفســـه : ص 132

4ـ العبر : مجا 7 ، ص ص 194 ــ 196 ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص212

الاستقصا : جـ3 ، ص 80

والوجود بعد كسم عدم ، فالمتريونيين لنا تدخل نساء الدولة في الشؤون السياسية (1)

أما داخل المنزل فكانت الزوجة تقوم بشؤون منزلها ، وربما خرجت الى السوق

لاستحضار مطالب الأسرة ، الاأن خروجها لايتم الا بموافقة أحد أفراد العائلة من الذكور

لكن مؤلفي النوازل الفقهية يذكرون أن المرأة كانت تتوافد على سوق الغزل ، وسوق

العطارين (2) ، والصياغين ، حيث توجد الدكاكين التي تقوم بصناعة وبيع الصياغة

وسويقة منشر الجلد وأجادير (3)

يضاف الى ماسبق أن المرأة كانت تقصد المنتزهات التي توجد بداخل المدينة

أو خارجها كالحدائق ، والمقابر ، خاصة أيام المواسم الدينية ، وزيارة قبور الأولياء

كالعلويين ، وسيدي بومدين ، وغيرهما من الأولياء الصالحين بتلمسان ، ويؤكد ماذهبنا

اليه أن مؤلفي النوازل الفقهية انتقدوا الانحلال الخلقي الذي وصل اليه المجتمع

نتيجة لخروج المرأة في المدن كتلمسان (4)

علما بأن أحكام هؤلاء كانت متأثرة بالطابع الصوفي الذي كان يسود المجتمع

الزياني ، وبخاصة لدى بعض العلماء الذين حاولوا تحريم الصلاة في المسجد بالنسبة

للفتيات ذات الجمال ، والحسن ، وقصره على القواعد من النساء (5)

---

1 ــ بغية الرواد ، ج1 ، ص 212

2 ــ عن سوق العطارين في تلمسان أنظـــر :

B.BROSSELARD : Les inscriptions arabes de Tlemcen p 431

3ــ يذكر ابن خلدون يحيى ، هذه السويقة عند ترجمته للشيخ أبوعلي عمر بن العباس

الصنهاجي المعروف بالحباك ، فقال : رجعت الى تلمسان واجتزت سويقة

أجادير فلقيتني زوجتي وخادمها تحمل أحد أولادي ، أنظر ، بغية الرواد :

ج 1 ، ص 108

4ــ العقباني : تحفة الناظـر : ص

5 ــ نفسـه : ص

الـــزواج والأســـــرة :

ركز الاسلام على الزواج ، ومن بين أهدافه تكوين الأسرة ويتجلى ذلك في الآية الكريمـــة قال الله تعالى : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنـــوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمـــة " (1) فقد بينت هذه الآية أن كلا من الزوجين يجـــد السكــن والطمأنينة والاستقرار في الآخر ، وأن ذلك يؤدي الى المودة والرحمـــة والزواج في الاسلام نصف الدين ، فقد قال الله تعالى : " وانكحوا الأيامـــى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم " (2) لأن كما يقول القرطبي " طريق التعفف " (3) وقول الرسول (ص) " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطيع (4) فعليه بالصوم ، فانه له وجاء " وقوله (ص) " من كان موسرا ثم لم يتزوج فليس مني " (5)

والزواج عدة أركـــان هي

أولا : الخطبــــة : وهي مقدمة تمهيدية للزواج أساسها التعارف ، وقد أجيـــز للفتى أن يلاحظ الفتاة ، ويتساءل عنها ، ويراها خلسة أو علنا قبـــل الاقـــدام على الخطبـــة (6) ، فاذا رجح لديه جانب الايجاب واطمأن الى أن أخلاق الفتـــاة وشخصيتها ونواحيها المختلفة تلائم رغباته ، فانه يتقدم لخطبتها ، وتجري العـــادة أن يقدم الفتى شيئـــا يرمز للارتباط (7)

---

1 ــ سورة الروم ، الآية 21

2 ــ

3 ــ أحمد شلبي : الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي ، مباحث اجتماعيـــة في نطاق الأســـرة والمجتمع ، والمال ، مكتبة النهضة بدون تاريخ ، ص28

4 ــ أحمد شلبي : نفس المرجع ، ص 31 نقلا من تفسير القرطبي

5 ــ ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج2 ، ص 3
أنظر أحمد شلبي : نفس المرجع ، ص 32

6 ــ المازوني : الدرر المكنونة ، ج1 ، ورقة 294

7 ــ البهيي الخولي : مناهج الاسلام في الزواج والطلاق ، ص 26 ــ 27 ، أنظر أيضا شلبي : نفس المرجع ، ص59

وتنتهي مدة الخطبة بعقد الزواج الذي غالبا ماكان يتم عن طريق قاضي الأنكحة على اختلاف في اجراء الخطبة بين البوادي والمدن

والاثر الذي يترتب على الخطبة هو أنه يحرم على غير الخاطب أن يتقدم لخطبة هذه الفتاة، فالمؤمن أخو المؤمن، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا أن يخطب على خطبة أخيه، ومثل هذا الواجب يسري على المرأة أيضا فلا يخطب من جديد فتى مرتبطا بخطبة لم تنفك بعد (2)

ثانيا : العقد : عقد القران، وسوفي المدينة لا يتم الا بموافقة القاضي، بعد موافقة والد الفتاة على ذلك ثم يدعو الخاطب أصدقاءه للاجتماع في المسجد، ويصطحب معه كاتبا عدلا يقوم بتسجيل العقد، وتحديد شروط المهر (3)

أما العائلات الغنية، فكانت تستدعي القاضي لكتابة العقد بالمنزل بعد موافقة الطرفين وبحضور أفراد العائلتين (4)، وأما في البادية فتتم الخطبة بحضور كبار القرية الذين يتدخلون حتى في تحديد شروط المهر، ولهم الكلمة المسموعة حيث أنه لا يرفض طلبهم، وهذه الظاهرة بقيت بأريافنا حتى الثورة التحريرية، ولا تزال في أغلبها حتى الآن

ويرى الونشريسي أن عدم حضور القاضي وتسجيل عقد الزواج راجع بالدرجة الأولى الى انتشار الجهل، في هذه البوادي، حيث يقول : من عادة أهل البادية عدم الكتب حين العقد، وعدم حضور من يعرف أركان النكاح (5)

---

1 ــ المازوني : الدرر المكنونة، جـ1، ورقة 294

2 ــ الدرر المكنونة : جـ1، ورقة 293

3 ــ نفسه : جـ1، ورقة 240 و

4 ــ نفسه : جـ1، ورقة 256

5 ــ المعيار : جـ4، ص 186

على أن واجبات المرأة تختلف ، فالبدوية تك وتجد [illegible] يكون الزواج في بعض الأحيان نوعاً من الاسارة والعبودية لا يمكنها التخلص منه بينما تكون حياة الحضرية أكثر رفاهية ، ومما يؤكد ذلك قول المازوني (1) : مما يلزم الزوجة من الخدمة

" كان شيخنا عبد الله السبيبي رحمه الله ت 782 هـ/ 1389م يحكي عن شيخ من شيوخنا أنه أتته امرأة من ضعف الحضر ، وكان قاضي أنكحة تشكو وجع يديها من الصحون قام زوجها بشراء خادمة تخدمها ، وجاءته بدوية تشكو شدة خدمتها من الطحن وحمل الماء والحطب وغير ذلك من خدمة البادية ، ومشقاتها فأمرها بأن تبقى معه ، وتعاشره على ذلك ، وقال ان نساء البوادي دخلن على ذلك "

ثالثا : الصداق : الصداق أو المهر هو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل للمرأة ، فقد قال الله تعالى " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " (2) ونتوصل من خلال هذه الآية أن الصداق منحة وعطاء للمرأة على رغبته في الاقتران بها واقباله التام عليها ، والمال حقا خالصا للفتاة ، والمفروض أن يقدم المهر كله عند العقد ، ولكن قد يجري العرف أن يقدم نصفه أو ثلثاه ويؤخر الباقي الى أقرب الأجليين الطلاق أو وفاة أحد الزوجين ، وكان هذا متبعا خلال العهد الزياني فقد ذكر المازوني عن رجل زوج ابنته البكر بصداق وخادم ، على : ان المعجل من ذلك الشطر الدنانير " (3)

والصداق هو من أركان الزواج في الشريعة الاسلامية ، ولم يكن محددا ، ولكنه يتماشى مع مستوى الشخص ، من حيث الغنى والفقر ، لأنه يزداد كلما ارتفع مستوى الفرد من الناحية الاجتماعية ، ويتجه الفكر الاسلامي الى عدم المبالغة في المهر

---

1 ـ الدرر المكنونة : جـ1 ، ورقة 186
2 ـ سورة النساء : الآية 4
3 ـ الدرر المكنونة : جـ1 ورقة 303

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير المهر أيسره " وقال أعظم الزواج بركة أيسره مئونة " (1)

وفي المجتمع الزياني مرتبط بالناحية الطبقية أحد القضاة خطب ابنته رجل من مرابطي وانه ، ولما كان ليلة العقد عمل لها الزوج في نقد ما يليق به من حلي وثياب وغير ذلك (2) وعمل أيضا الأب لابنته في شورتها ما يليق أيضا بمنصبه وهمته ويساره ، كما يحدد المهر بالدنانير ، فقد ذكر المازوني قوله : "عمن عقد على ابنته البكر النكاح من فقير بمائة دينار ذهبا ، وهو لا يعلم عنده الا قدر ما قيمته عشرون دينار " (3)

ولم يكن الصداق مقتصرا على الدنانير فقط ، بل كان يشمل أيضا السواري الفضية والحلي ، والملابس ، والفراش (4)

والمواشي في البادية كانت هي الأخرى تشكل جزءا من الصداق ، وتذهب أثناء نقل الفتاة من منزلها حتى أن بعض العائلات الغنية كانت تلجأ الى تقديم قطعة من الأرض أو بستان كهدية للعروس عند زفافها (5) ، وهناك زواج بين أمراء المغرب الاسلامي كما حدث بين السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن وبنت أبو اسحاق الحفصي .

كما كان التسري أو التزاوج بين أمراء الدولة الزيانية وجواري من الدول الأوروبية من الأمور الشائعة ، فهناك وثيقة نصت على تسري تم بين أبي سعيد مع جارية مسيحية (6) ولعل هذه لم تكن الحالة الوحيدة ، أما فيما يتعلق بالطبقة الغنية ، فكان الزواج

---

1 ــ أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص 64

2 ــ المازوني : المصدر السابق ، جـ 1 ورقة 284

3 ــ نفسه ورقة 298

4 ــ نفسه : جـ 1 ورقة 287

5 ــ نفسه : جـ 1 ورقة 306

6 ــ

يتم بين أفرادها مثل زواج أحمد الأول بن أبي بكر بن مرزوق أبو العباس [illegible] بنت أبي الحسن التنسي الذي ينتسب هو الآخر لعائلة شهيرة قدمت من تنس الى تلمسان ولعبت دورا هاما في الميدان الثقافي ، خاصة فيما يتعلق بالدراسات الدينية (1)

وهناك زواج بين آل المقريين والمرازقة ، وهذا ما يؤكده قول المقري ان ابن مرزوق الحفيد هو أبو أم جدي (2)

فالنص الآنف الذكر يوضح لنا أن التصاهر كان طبقيا ، الا أن ذلك لم يكن هو القاعدة ، فهناك نصوص كثيرة تدل على الأمر جرى على خلاف ذلك ومنها النص الذي أورده المازوني عن رجل من نبلاء بلدته ، وذوي شرفها ، وابن قاضيها "خطب اليه رجلا من مرابطي بلده ابنته البكر لأن لها جاها وحزما فزوجها منه"

يضاف الى هذا أن بنات هؤلاء المرابطين كن لايتزوجن الا من اتصف بالأخلاق الحميدة ، لأنهن كن محترمات من قبل أفراد المجتمع الزياني ، الا أن البعض كان يغريه الجاه والمال فيعقد زواج ابنته من شبان شيوخ القبائل ، ويقول المازوني: "سئل سيدي العقباني عن أناس من مرابطي وطننا أهل دين وأدب مشهورين بذلك ومحترمين خلفا عن سلف عمد أحد هم الى تزويج ابنته البكر التي في ولايته من شيخ بني تغرين (3) وحال تيغرين أن لهم سلطانا واقتدارا واحتكاما في الرعية ، وبسط (4)

---

1 — نيل الابتهاج : ص35 — 37، البستان : ص66 ، معجم المؤلفين : ج1، ص128 المسند الصحيح : ص19

2 — نفح الطيب : ج5 ، ص419 ، وعن ابن مرزوق الحفيد ، أنظر بغية الرواد : ج1 ، ص114 ، نظم الدر والعقيان : ص236، البستان : ص236

أنظر أيضا حاجيات : الحياة الفكرية في تلمسان : مقال بمجلة الأصالة : ع26 ص140

نفح الطيب : ج5 ، ص417

3— الدرر المكنونة : ج1 ورقة 296 و

4 — بنو تغرين : احدى بطون توجين ، وكان تمركزهم بجبل الونشريس، أنظر العبر مج7 ، ص338 ، وأنظر حاجيات : أبو موسى الثاني ، ص39

يد بالعداء بغير حق ، يضرب بالضروب ، ويقتل الناس بغير سبب شرعي ، ويثير الفتن في الوطن " (1)

أما فيما يتعلق بسن الزواج فقد كان الزواج يتم مبكرا ما بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة ، والفتاة الصغيرة تزف بعد موافقة القاضي على ذلك ، كما كانت تستشار ، ولا يتم العقد الا بموافقتها خاصة في المدن ، وفي بعض الأحيان كانت ترغم على ذلك

احتفالات الزواج :

أما الاحتفالات التي تقام بمناسبة الزواج فتقام في ليلة الزفاف وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء ، تسمى وليمة العرس ، وهي في الواقع وليمتان أحداهما للنساء ، وتقام في بيت العروس ، والأخرى في بيت العريس وربما أقيمت الوليمتان في بيت واحد (2)

ومن بين العادات المتبعة في هذه المناسبة أنهم كانوا يجرون سباق الفروسية وهو ما أشار اليه ابن مريم عند تعرضه لكرامات أحد الأولياء فقال : " اتفق أن كان فيها لك يوم عرس بموضع عثمان بن موسى ، فركب فرسه ، لاجراء السباق بالملعب " (3) وهذه العادة لا تزال بالأرياف الجزائرية حيث ان الفرسان يتسابقون وخاصة بالمناطق التي تزدهر بها تربية الخيول ، كما يحتفلون باليوم السابع ، حيث يعدون الطعام ويستدعون الأهل والأقارب مثل ما هو الحال الآن وهو ما يذكره ابن مريم بقوله : " الطعام الذي جرت به عادة الناس بعمله في السابع من العرس " (4)

أما يوم العرس فكانت تقام سهرات تحييها فرق متخصصة ، وهو ما يوضحه الونشريسي بقوله : " ومنها متخذ الملاهي ، وأنواع الغناء المحرمات والالات والمزامير صناعة وحرفة يكتسبون بها ويستأجرون عليها عند السرور مثل الزفافين والمغنين "

---

1 — من بين العادات الحميدة التي سادت المجتمع الزياني بمناسبة الأفراح كعقد القران ، أن صاحبة العرس تستدعي مجموعة من النساء لتحضير الطعام كالفتل والطهي ، وهذا يعرف لديهن باسم التويزة ، أنظر تحفة الناظر : ص 297

2 — البستان : ص 30

3 — نفسه : ص 233

4 — البستان : ج 5 ، ص 276

أيضا

ومن الاحتفالات العائلية بالحياة الزوجية الاحتفالات ... ولدا أقبلت عليها النساء يزغردن ويرقصن أبراتهن مع ضرب ... كما كانوا يحتفلون بختان الأطفال احتفالا كبيرا يدعى اليه سائر الأهل والأصدقاء (1)

الاحتفـــالات الدينيـــة

أولا : الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

وميلاد الرسول (ص) من الأعياد المهمة عند المسلمين الآن انهم يتذكرون فيـــه مولد هذا الرجل الذي قدر له أن يرسم للبشرية طريق النجاح .

أما عن تاريخ الاحتفال بهذه المناسبة في بلدان المغرب الاسلامي برزت بمدينة سبتة ومن هنا نقلت مراسيمها المعروفة بالمشرق (2)

أما سلاطين الدولة الزيانية فأول من فعل ذلك فيما رواه المقري هو السلطـــان أبو حمو موسى بن يوسف (3) ، وقد وصف ابن خلدون يحيى هذه الاحتفالات بقوله : " وادلت ليلة الميلاد النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم فأقام لها بمشــوره داره العالية مدعى كريما ، وعرسا حافلة احتشدت لها الأمم ، وحشر بها الاشـــراف والسوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ، وشماع كأنها الاسطوانـــات القائمة على مراكز الصفر النحاس المموهة ، والخليفة أيده الله بصدر مجلسه ممتطي سرير ملكه يسر الناظريـــن " (4)

---

1 ـ الدرر المكنونة : ج1 ، ورقة 236

2 ـ احمد شلبي : المرجع السابق ، ص 149

3 ـ ازهار الرياض : ج3 ، ص215

4 ـ بغية الرواد : ج2 ، ص40 ـ 49 ، أنظر أيضا بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري ، ص44 ، حاجيات : السلطان أبوحمو موسى الثاني ، حياته وآثره ، ص35

وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني يتصدر المجالس [illegible] بالعلماء ويحيط به الأشراف وعلية القوم ، وكان الشعراء يحتفون بهذه [illegible]، وخاصة في عصر أبي حمو موسى الثاني ، حيث اجمعت المصادر التاريخية على أنه كان شديد الاحتفاء بهذا اليوم (1) ، وكان يطيب له سماع قصائده التي يتغنى بها المنشدون بحضوره ، وأغلب القصائد تتناول مدح النبي (ص) واظهار الشوق الى زيارة قبره والتبرك بتلك البقاع المقدسة والأماكن الشريفة .

أما المقري فقال : " انه كان يقيم ليلة الميلاد على صاحبه الصلاة والسلام بالمشوار من تلمسان المحروسة مدعاة حفلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة ، ومن بين الحاضرين (2) الشعراء الذين يتقدمون بقصائد شعرية لمدح الرسول (ص) ، والكتب المعاصرة للدولة (3) الزيانية تحوي على مجموعة من هذه القصائد ، وبعضها من تأليف السلاطين أنفسهم كأبي حمو موسى الثاني ، وكانت غرف القصر تفوح بالزرابي ، وتقدم المأكولات المختلفة للمشاركين فيها وهو ما يؤكده التنسي بقوله : " يقوم قائم فينشد مدائح سيد المرسلين (4) وخاتم النبيئين سيدنا ومولانا محمد (ص) ثم يؤتي آخر الليل بموائد كالهالات دورا ، والرياض نطورا ، وقد اشتملت من أنواع المحاسن والمطاعم على ألوان تشتهيها الأنفس وتلذ الأعين ، والسلطان لم يفارق مجلسه حتى يصلي صلاة الصبح (5) .

أما المقري فقد وصف الحفلة بقوله : " فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة وبسائط موشاة ، ووسائد بالذهب ، وشمع كالاسطوانات ، وموائد كالهالات ، ويوزع على الجميع

---

1 ـ أبو حمو موسى الثاني : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، ط تونس ، ص 19

2 ـ نفح الطيب : ج3 ، ص 215 وما بعدها

3 ـ هذه الكتب هي ابن خلدون يحيى ، بغية الرواد ، والتنسي : نظم الدر والعقيان وأبو حمو موسى الزياني : واسطة السلوك

4 ـ نظم الدّر والعقيان : ص 232

5 ـ أزهار الرياض : ج3 ، ص 216 ، أنظر حاجيات : أبو حمو موسى الثاني ، ص 6

أنواع الأطعمـــة ، كأنها أزهار الربيع ، تشتهيها الأنفس، وتستلذها النواظر ثم

يمدحون المصطفى " (1)

وفيما يتعلق ببقيـــة السكان فانه قد أصبح اليوم الثاني عشر من ربيع الأول عيـــدا يحتفل به في الدولة الزيانية على مختلف المستويات، فتقام الافراح ، ويتجمل الناس بما حسن من الثياب ، كما كانوا يحتفلون باليوم السابع منه ، ولا يزال الى الآن سكـــان مدينة تلمسان يحتفلون باليوم السابع (2)

ومن بين العادات المتبعة ايقاد الشمع ليلة المولد النبوي الشريف ، وفي اليوم السابع منه ، الا أن هذه العادة وجدت مقاومة من قبل الفقهاء الذين اعتبروها بدعة ، ومـــن أبرز المعارضين لها أبو عبد الله محمد بن مرزوق الذى استطاع خلال عهده ازالتهـــا (3) من حاضرة الدولة ، الا أنها بعد وفاته قد عـــادت من جديد بل زادت عن السابـــق حسب ما أورده صاحب المعيار ، وقد كان الطلاب يتلقون الهبات ، ويقدمون جزءا منها لشيوخهم ، ومن بين العادات أيضا أن الأولاد يجتمعون للصلاة وتجويد القرآن ، وانشاد قصائد تتعلق بميلاد الرسول (ص) وفي الاسلام . (4)

عيدين رئيسين سن الرسول (ص) الحفاوة بهما ، ورسم طريق هذه الحفـــاوة وهذان العيدان هما : عيد الفطر وعيد الأضحى ، فقد روي أن الرسول (ص)

---

1 ـ ازهار الرياض: جـ3 ، ص 216 ـ أنظر أيضا حاجيات : أبوحمو موسى الثـــاني، ص 6 ، أنظـــر أيضا عبد المالك مرتاض : حركة الشعر المولدى ، مقال بمجلة الاصالة ع 26 / 1975 ، ص ص 311 ـ 332

2ـ المعيار : جـ4 ، ص 276

3ـ نظم الدر والعقيان : ص 233

4ـ هو أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب ، نشأ بتلمسان ، ومن أهم كتبه : المسنـــد الصحيح الحسن في أخبار المولى أبي الحسن ، توفي بالقاهرة سنة 781هـ/1382م عنه ، أنظر مقدمة كتابه ، وكذلك يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ1 ، ص 115 المعيار : جـ1 ، ص 83

لما قدم المدينة وجد للأنصار يومين يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى

ثانيا : الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى

عيد الفطر يحتفل به المسلم بعد أن يلبي ربه بقيامه لشهر رمضان صوما وعبادة وفي ذلك يقول الرسول (ص) للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه ، وبذلك يكون الاحتفال به لا يختلف عن بقية الدول الاسلامية الأخرى ، فيتجهون بعد صلاة العيد لزيارة قبور الأولياء مثل سيدي بومدين بالعباد (1) ، وابو اسحاق الطيار (2) ، وأحمد بن نصر الداودي (3) ، وسيدي الحلوي (4) ، وكان العامة ينتهجون نهج سلاطينهم

ويشير ابن مريم الى بعض العادات الحميدة التي كانت منتشرة في المجتمع الزياني تتمثل في تقديم المأكولات والحلويات خلال هذه المواسم ، أما الأطفال فكانوا يرتدون الملابس الجميلة ، ويلعبون باللعب التي على هيئة حيوان ، وفي هذا الصدد تناول بالتحريم العقباني بيع التصاوير والأشكال المتخذة على هيئة الحيوان التي تستعمر للصبيان في الأعياد ، والاحتفال بعيد الأضحى لا يختلف عن الاحتفال بعيد الفطر ، الا في مظهر واحد يختص بكل منهما ، فالأول فيه الكعك والحلوى ، والثاني تذبح فيه الأضحيات وفي كل يجتمع الناس لصلاة العيد وكلها مظاهر لا يختلف فيها المشرق عن المغرب الا نادرا ، والاحتفال بالعيدين لا يختلف في الدولة الزيانية عما كان يجري في بقية

---

1 ـ احمد شلبي : نفس المرجع ، ص 148 ـ 149

2 ـ عن أبي اسحاق الطيار ، أنظر بغية الرواد ، ج1 ، ص106

3 ـ نفح الطيب ، ج7 ، ص182 ، البستان : ص 56 ـ 57

4 ـ عن احمد بن نصر الداودي ، أنظر ابن مريم : المصدر السابق ، ص236

5 ـ عن سيدي الحلوي : بغية الرواد ، ج1 ، ص 127

دول المغرب الاسلامي الأخرى المعاصرة ، فقد كان أهل تلمسان وغيرهم من سكان الدولة يحتفلون بلبس ما عندهم من الملابس الجديدة النظيفة ، ويذهبون لصلاة العيد ثم يذبحون اضحياتهم بعد أن يذبح الامام

أما النساء في تلمسان فكن يخرجن من دورهن الى الأزقة مترقبات مجيء موكب السلطان ومن بينهن كرائم البوادي والحواضر تعبيرا عن فرحتهن بلقائه ، وقد تعرض صاحب كتاب زهر البستان لوصف استقبال أبي حمو موسى الثاني لولديه أبي يعقوب بعد عودته من المغرب ، فقال ، وعند ما وصل أبو يعقوب والد السلطان أمر المولى أبو حمو بركوب جيشه المنصور ، ثم أخرج الطبول والمظلات وأمر أهل تلمسان بالزينة ، والخروج للملاقاة فخرج الناس كالخروج للأعياد ففيه اشارة لبعض مظاهر احتفاء سلاطين بني زيان بالأعياد ، ولعل الصورة التي قدمها الرحالة المصري عبد الباسط خليل عند ما تعرض الى مراسيم عيد الأضحى في تلمسان سنة 868هـ/ 1463م أكثر وضوحا حيث ذكر أن السلطان قد حضر الى المصلى في موكب مهيب ، وذبح أضحيته أمام المصلى ثم نقلها خادم على بغل وسارع بها الى القصر ، كما عاد السلطان في موكبه الذي يتميز بأبهة خاصة الى بلاطه ، والناس يلوحون ويدعون له

رابعا : الاحتفال بشهر رمضان المعظم

كان المسلمون في أراضي الدولة الزيانية يؤدونه على أحسن وجه مثل ما هو الحال في بقية الدول الاسلامية الأخرى ، حيث يتوجهون الى المساجد لقضاء صلاة التراويح والاستماع الى تجويد القرآن ، وقد أعطيا ابن مرزوق صورة لذلك ، حيث قال : " شهدت منه في قيام رمضان سنة 640هـ/ 1339 ، وكان قد رافق شدة البرد بتلمسان ، وهي أشد بلاد

1 ـ تحفة الناظر : ص 212

2 ـ زهر البستان : ورقة 84 و

3 — R.BARANSHWIG DE RECIT P 135

4 ـ المسند الصحيح : ص 222

البـــاب الأول : الأوضــاع الاقتصادية

الفصـــل الأول ـ الزراعـــة والثروة الحيوانيـــة

ـ المدخـــــل :

الاقتصاد هو عصب الحياة بالنسبة لأي نظام سياسي ، ذلك أنه هو الذي يحدد مدى ثراء الدولة أو فقرها ، ولاشك أن الحياة الاقتصادية تستمد وجودها من امكانيات اقتصادية تتمتع بها المؤسسات المختلفة في الدولـــة سواء فيما يتصل بالزراعة والتجارة أو الصناعـــة .

واذا كانت موارد الدولة تتحدد من خلال هذه المجالات فانها تتأثر أيضا بالوضعيـــة السياسيـــة ومايقوم بين الدولة وجيرانها من حروب ، كما تتأثر بالوضع الاجتماعي ، وخصوصا مايتصل بالأمن ، وكلما كانت الدولة مستقرة أصبح نظامها الاقتصادي أكثر تطــورا ، ورقيا ، والحال بالنسبة للدولة الزيانية يبدو في وضع متوازن بين التحكم في مقـــدرة الدولة الاقتصادية ، ومواجهة الضغط العسكري ، والسياسي من خارجها ، واضطراب الأمـــن داخلها ، وتبدو هـــذه الوضعية نصف مستقرة ، لم تصل الى حد الانهيار أو الاستقرار الكامل الذي يؤدي الى الرقي المنشود ، والتقدم في المجال الاقتصادي وأول من نتعرض لـــه في هذا الباب الملكيـــة

المقدمــــــــــة :

بالرغم من تزايد العناية خلال السنوات الأخيرة بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ومنها أراضي الدولة الزيانية ، فان كثيرا من القضايا لا تزال مطروحة ولا يعرف منها الباحث الا القليل مثل البنية الاقتصاديـــة والاجتماعية ، فان ما نعلمه عن الحياة الزراعيـــة مايزال قليلا ، مشتتا لا يسمح بالتعمق في تحليل الهياكل انطلاقا من نصوص دقيقـــة وواضحـــة ، ولاسيما خلال القرون الخمسة الأولى أي قبل بـــروز ظاهرة كتب الفتاوي والرحلات (1) :

ومن أكبر المشاكل التي تعترض سبيلنا في محاولة التعرف الى الهياكل الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة في المجتمع الزراعي الزياني هي نظام ملكية الأرض ، وهذه الأخيرة لا يمكن فصلها عن بقيـــة بلدان المغرب الاسلامي، لأنها تشكـــل جزءا منها

ومن ناحيـــة أخرى فاذا كانت كتب الرحالة العرب تمدنا ببعض المعلومات عن المناخ وعن الموارد المائية ، وعن زراعة البستنة في ضواحي المدن ، وعن أنواع الزراعات، وعن تربية الماشية ، فانها لا تفيدنا شيئـــا ذا شأن عن نوع ملكية الأرض ، وأوجه انتقالهـــا وأساليب أستغلا لهـــــا

فالمصادر الاسلامية أمدتنا بمعلومات دقيقـــة عن ملكية الأرض في العراق ، ولاسيما

---

1 ــ عن هذا أنظر الجنحـــاني : نظـــام ملكية الأرض في المغـــــرب الاســـلامي القـــرن 1 ــ 6 هـ / 7 ــ 12 م مقـــال في مجلة دراسات اسلاميـــــــة ع 5 ، رمضـــان 1401 هـ / 1981 م ، ص 31

في منطقة السواد وفي بلاد الشام وفي مصر أيضا (1).

أما بالنسبة للمغرب ، فيرى الجنحاني أن المفاهيم المتصلة بالملكية الزراعية في البلاد المفتوحة مثل الفيئة والغنيمة والجزية ، والخراج والضياع والاقطاع والحماية ، وتلك الجباية الموافقة على انتاج الأرض لا تزال مطروحة رغم ما كتب عنها قديما وحديثا ، وأنها قد تطورت حسب واقع اقتصادي واجتماعي معين ، واختلفت من منطقة جغرافيا الى أخرى لأسباب متنوعة " فما نعرفه من تنظيم لشؤون الجزية والخراج في صدر الاسلام في مناطق مثل العراق ومصر يبقى غامضا في بلاد المغرب الاسلامي ، وأنواع الاقطاع الذي عرفته الخلافة العباسية ابتداء من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي " (2).

الا أنه يبدو لي أن العرب المسلمين الفاتحين الأوائل قد انتهجوا نفس السياسة التي سلكوها في العراق ، وفي بلاد الشام ، وخاصة في مصر ، حيث كان المغرب تابعا لولاية مصر ، كما نجد صعوبات في معرفة كيفية تم فتح المغرب هل أراضيه فتحت عنوة أو صلحا ، وقد نقل عبد الله بن أبي زيد في كتابه النوادر والزيادات

---

1 ـ عن ملكية الأرض في العراق ولاسيما في أراضي السواد ، وفي بلاد الشام ، وفي مصر أيضا ، أنظر : تطور ملكية الأراضي في منطقة السواد حتى نهاية العصر الأموي ، مخطوطة ، رسالة ماجستير ، قدمها محمد علي نصر الدين الى قسم التاريخ بجامعة بغداد ، أنظر أيضا عن بلاد الشام : صالح حسين : الحياة الزراعية في الشام في العصر الأموي ، عمان ، 1978 ، ص 43 وما بعدها أنظر جاسم صلبان علي : سياسة الدولة الزراعية في القرن الأول الهجري ، مقال بمجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد 14 السنة 12/ 1399هـ/ 1979 ص 310.

2 ـ الجنحاني : الملكية الزراعية : مقال بمجلة تاريخ العالم

على المدونـــة عن سحنون قال : "كشفت عن أرض افريقيـــة فلم أقف هنا على حقيقة :

هل هي عنوة أو صلح ، وسألت عن ذلك علي بن زياد فقال : (لم يثبت عندي فيها
شـــيء) (1)

أما الونشريسي (2) فقد تعرض في كتابه المعيار لهذه المشكلة فقال : " سئل بعضهم عـــن أرض المغرب ، فقيل أنها عنوية أي فتحت عنوة وقيل صلحية (أي فتحت صلحا وقيل بالتفصيل بين السهل والجبل ، وقيل بالوصف ، أما بلاد المصامدة وأراضي مراكش فقد أسلم عليهـــا أربابها ، وليس فيهـــا صلح ولا عنوة "

كما روي عن أبي الأصبغ القرشي قوله : " أدركنا أهل الفقه ، والورع في بـــلاد الأندلس يشترون الأرض فيهـــا ويبيعون ونحن مبتعون لهم ، وأنتم تبتعون أسلافكـــم في مغربكـــم (3)

فالنصوص الثلاثة لم توضح لنا وضعية الأراضي في بلاد المغرب الاسلامي ، وهذا جعل بعض الباحثين كالجنحاني يرون بأنه يمكن قياس ملكية الأراضي وتنظيم شؤون الخـــراج بالقياس الى مصـــر ، وهو قياس مع الفارق ، لأن الخراج وضع على أراضي مصـــر من أول لحظة (4) ، أما أراضي المغرب الاسلامي فقد أسلم عنها أهلها فيما عدا أراضي الفئة الحاكمـــة وفيئـــة النبلاء البيزنطيين ، فقد أصبحت ملكا عاما يتصرف فيه الأميـــر

---

1 ــ الجنحاني : نفس المقال ، ص 75
2 ــ المعيار : ج 6 ، ص 133 ــ 134

3ــ المازوني : المصدر السابق ، ج 2 ورقة 45 و
4 ــ الماوردي : الأحكام السلطانية ، القاهرة ، 1909 ، ص 256
أبو يعلى الحنبلي : الأحكام السلطانية ، القاهرة ، 1966 ،
أبو عبيد كتاب الأموال ، القاهرة 1352 ، ص 136 ، أبو يوسف ، كتاب الخـــراج ، القاهرة 1352 ، أنظر أيضا محمد عبد الجواد محمد : ملكية الأرض في الاسلام القاهـــرة ، 1319 ، ص 171

باسم الخليفة ، ويقطع منه ، وهذه يستوي فيها جميع الولايات الاسلامية في المشرق والمغرب

أما بالنسبة للمغرب الاسلامي فقد وظف الخراج على فئة اجتماعية معينة أطلق عليها (الافارقة) يقول الجنحاني : لعلهم عجم أفريقية وعلى من بقي من الروم بالبلاد ، ومن أقام منهم على النصرانية (1) ، وأغلب هذه السهول الخصبة في المغرب الأوسط

وخلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، نجد من بين الذين تعرضوا لنظام الملكية العقباني (2) ، فانه أثناء حديثه عن الحكم في أرض الصلح (3) والعنوة (4) قلت " وأما الأرض التي تخلى عنها أهلها بغير قتال فهي للمسلمين يقطعها الامام أقطاع تمليك أن ظهر له وجه المصلحة في ذلك ، وأما الأرض التي اسلم عليها أهلها بغير قتال ولا أخذت عنوة فهم يبيعون ويتصرفون بما شاؤا ، وليس لائمة المسلمين نظر فيها "

وأغلب الظن أن معظم الأراضي في المغرب الاسلامي ، ومن بينها أراضي الدولة الزيانية ، كانت قد تركت لأصحابها ابان الفتح الاسلامي فيما عدا الخطط التي وضعها حسان بن النعمان لبعض بطون زناتة بغرض تحديد أماكن خاصة بكل بطن من بطونها

---

1 ـ الجنحاني : نفس المقال ، ص 78

2 ـ تحفة الناظر : ص 189

3 ـ الصلح : معنى الصلح من الصلاح ضد الفساد ، والصلح هنا ضد الخلف ومعناه أن المسلمين اذا نزلوا على حصن أو مدينة خافهم أهلها فخرج والى المسلمين وبذلوا لهم عن ناحيتهم مالا أو خراجا ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج1 ، ص 39 ، دار صادر ، بيروت ، 1374 هـ / 1955

4 ـ العنوة : هو ضد الصلح ، قالوا العنوة أخذ الشيء بالمغلبة ياقوت الحموي : نفس المصدر ، ج1 ، ص 40 ، المازوني : المصدر السابق ، ج2 ورقة 43 و ، العقباني : تحفة الناظر ، ص 189

وكان الهدف الأساسي هو العمل على استقرارها ، ولهذا نرى أن الملكية قد انتقلت عن طريق البيع والشراء والتوريث ، لأن الفاتحين للمغرب لم يكونوا عرباً مستقرة في الأرياف ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى عاملين

أولا : أن الأراضي المغربية بعد الفتح الاسلامي بقيت لأصحابها ولم تنزع منهم مثلما حدث في المشرق خلال العهد الأموي.

ثانيا : أستمرار الاضطرابات وعلى الخصوص ثورات الخوان

أنواع الملكيـــــــة

وتنقسم الملكيـــــة في المغرب الاسلامي الى ملكيـــة عامة وخاصـــة فالأولى تخص البادية حيث وردنا بعض الأراضي أمتلكت من طرف قبائل قام أفرادها بالعمل فيها بطريقة جماعية ، وتسمى بأرض العروش أي الملكية المشاعة ، وكذلك الحمى (1) وهو ماتحميه القبائل الرعويـــــة من البدو والرحل ، ونصف الرحل ، وقد انتشر هذا النوع في السهوب الواسعة واستغلت الأرض استغلالا لا جماعيا في تربية المواشي ، ويدخل في هذا الاطار مايعرف بنظام الحبوس الذي يمثل قطاعا من الأرض انتقل من الملكيـــة الخاصة الى الملكيـــة العامـــة ، وذلك بزيادة التأثير الديني على المجتمع الزيانـــي علما أن هذا النظام صار يمثل نسبة كبيرة من مجموع الأراضي المزروعة ، والتي آلـــت بعد حبسها للانفاق من عائدتها على المرافق العامة ، مثل المساجد ، والمدارس ، والزوايا ، وما الى ذالك ، وقد زادت أهمية هذا الاتجاه ابتداء من القرن السابع الهجري

1 ـ الحمى : يعني في الأصل الكلأ والماء ، وذلك بتحديد مساحـــة من الأرض لرعي الماشيـــة ، وتكون هذه الأرض حرة ومنفصلة عن أراضي الأحيـــاء الزراعية ، أنظر الموردي : الأحكام السلطانية ، الطبعة الأولى ، القاهـــرة 1884 ، ص 256 ، أنظر أيضا : عواد مجيد الأعظمي ، الزراعة والاصـــلاح الزراعي في عصـــر صدر الاسلام ، ص 35

(الثالث عشر الميلادي) وأدى الى انتشار الزوايـا ، والمدارس في ربوع البلاد حتى

أصبحت المؤسسة الواحدة من المساجد والمدارس، والزوايا تملك أملاكا بأكملهـا
(1)
مثل زاويـة " سنبـا " بسهل البطحـاء التي كانت تشغل أراضي تلك المنطقـة
(2)
بأكملها ، ويؤيد ما ذهبنا اليه أن الأراضي التي كانت تابعة للحبوس قد دخلـت
(3)
في الدورة الاقتصادية العامة رغم الفتاوى الفقهية التي تمنع بيعها وانتقالها ، ويبدو

ذلك من شكوى الفقهـاء من اعتداءات الحكومة ، والأفراد على أراضي الحبوس ،

حيث استثمروها ووزعوهـا اقطاعات بغير سند فقهي ، وقد عالج فقهاء الدولـة

الزيانية وضعية هـذه الأراضي ، حيث أجازوا أقتسامها بغرض المغارسة ، وصدرت
(4)
في ذلك فتوى من شيوخ تلمسان في الأراضي المحبوسـة على المدرسة اليعقوبية

ويدخل في هذا الاطار أراضي الدولة التي تخضع مباشرة للسلاطين ، حيث كانوا

يتصرفون فيها كيفما شاؤا ، وذلك بمنحها اقطاعيات لبعض الأشخاص المقربين مـن
(5)
رؤسـاء القبائل ليستغلوها ، وفي هذا الصدد يقول المازوني : سئل العقبـاني

عن قوم بأيديهم أرض بأوامر السلاطين المتقدمين ، ومن بعدهم يغتالونها (يستثمرونها)

بأنواع الغلل زمن الحرث وغيره ، والأرض التي لذ ئمة انما يعطونها في العادة

لا تمليكـا ، وهي جماعية للمسلميـن

---

1 ـ يذكر الحسن الوزان أن أراضي سهل البطحـاء كانت تعرف بأراضي سنـا وحتى المجـرى الأدنى لوادي مينـا حمل نفس الاسم ، أنظر وصف افريقية ص 396

2 ـ الحسن الوزان : وصف افريقية ، ص 400

3 ـ الونشريسي : المعيار ، ج 4 ، ص 156 ، المازوني : الدرر المكنونة ، ج 2 ، ورقة 45

4 ـ الونشريسي : المعيـار ، ج 4 ، ص 157

5 ـ الدرر المكنونة ، ج 2 ورقـة 44و

وقد كـان الفرد الذي يمنح هذه الأراضي له الحرية الكاملة في استثمارهـا ، والحصول على انتاجهـا ، لكنه لايملك حق بيعها ، وهكذا كانت هذه الأراضي المقتطعة انما تقدم مقابل خدمات يؤدونها للدولة ، وهنا جاز للسلاطين حق نزعهـا في أي وقت ، من ذلك ماروي : " أن رجلا عمد الى تلك الأرض فباعها ، وتصرف فيها ، وتداولها الملاك ، الا أن السلطان انتزعها من يد مالكها " (1)

من كل ماأوردناه يتبين لنا أن اعتداءات كانت تقع على مثل هذه الملكيات العامة المقتطعـة لبعض الاشخاص بغرض الانتفاع بها ، وأن ملوك الدولة كانوا يتدخلـون في بعض الأحيان لازالة هـذه الملكيـة ، واعادة الأرض الى الملكية العامـة ، وفي ذلك يقول الونشريسي : " سئل العقباني عمن كان مواليا لبعض الملوك ، وله تدخل لعمالة وجباية ، ثم قـام قائم على ذلك المالك فقتله ، ثم سلبـه جميع أملاكـه قديمها وحديثها " (2)

وهذا النص يبين لنا نوعا جديدا مايؤول الى الملكية العامة ، بالاضافة الى مصادرة أراضي عمال الدولة الذين يستغلون نفوذهم بالكسب غير المشروع ، وهذه الظاهـرة عرفت في التاريخ الاسلامي ، وبخاصة في فترات الضعف ، والصراع الذي يقوم بين أفراد الأسـرة الحاكمـة ، مما كان له تأثير كبيـر على وضعية ملكيـة الأرض ، وانتقالهـا من الملكيـة الخاصة الى الملكية العامة ، والثانية الملكية الفردية : وهي بدورها تنقسم الى قسميـن :

1 ـ الأراضي الواسعة التي بأيدي الملاك الكبار في الأرياف الذين يفلحونها بواسطة العبيد

2ـ الأراضي المجزأة الى قطع صغيرة لكثرة التصرف فيها ، بالارث أو البيع أو الشـراء .

---

1 ـ الدرر المكنونـة : جـ2 ورقة 44 و

2 ـ المعيار : جـ5 ، ص 126

الاقطـــــاع :

عرضنا لنوعين من الملكيـــة هما : الملكية العامة والملكية الخاصة ... والنوعيـــة من الملكية لاتدخل في هذا الاطار أحيانا ، وانما هي أحيانا ملكية خاصة واحيانـــا ملكيـــة عامة ، وهو نظام الاقطاع (1)

ويحدد أبويوسف نشأة الاقطاع في الاسلام بقوله : أن الأرض التي تقع في أيدي المسلمين وليس لها مالك يطالب بها ، كالأرض التي تكون لحكام البلاد قبل فتحها أو تكون لرجـــل قتل في الحرب أو أن تكون من مغيض ماء أو نحو ذلك ، فهذه الاصناف من الأرض كان الخلفاء الراشدون يجيزون اقطاعها لمن شاءوا على أن يؤدي عشر مالها لبيت المال أو أكثر أو أقـــل" (2)

ويظهر أن قطع الأراضي في عهد الرسول (ص) وماتلاه من الخلفاء الراشدين تـــد تركزت على الأراضي التي ليست في حوزة أحد ولا ملك لأحد ولا عمارة ، ويشير أبويوسف محددا الأراضي التي يجوز اقطاعها من قبل الامام في قوله ، وكل أرض من أرض العـــراق والحجاز واليمن ، والطائف ، وأرض العرب ، وهي غير عامرة ، وليست لأحد ولا ملك لأحد ولا وارثه ، ولاعليها عمارة ان يقطعهـــا الامام من لا يعمرهـــا

1ـ الاقطاع : أو القطائع تعني عملية منح ولاة السلطة قطعة من الأرض لرجـــل يتصـرف فيها ويقوم بأحيائها وزرعها وفرد لها قطيعة ، أنظر الخوارزمي : مفاتيح العلـــوم ، القاهـــرة ، 1341 ، ص40

2ـ أبويوسف : المصدر السابق ، ص25 ـ 26 ـ 28 ـ 35
ابن آدم أبي عبيد القاسم : الأموال ، تحقيق خليل محمد ، ص784 ـ يحيى ابن آدم الخراج ، تحقيق شاكر ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1384 ، ص39ـ 40 ـ 57
البلاذري : المصدر السابق : القسم الرابع ، ص171 ، الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص30 ، انظر أيضا ابراهيم علي الطرخان : النظم الاقطاعية في الشـــرق الأوســـط في العصور الوسطى ، القاهرة ، 1968 ، ص254

من ذلك أنه بعد هزيمة السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني في معركة بجاية سنة 767 هـ / 1366[1] ثم التف العرب حول عدوه أبي زيان الذي قام بمنافسته على[2] عرش الدولة فاندفعوا الى أراضي التل الواقعة شمال أراضيهم فاحتلوها ، وعند ذلك أدرك أبو حمو موسى أن حلفاء أبي زيان لم يجتمعوا حوله الا طمعا في الاقطاعات والأموال فبحث في طلبهم ، وبذل لهم ، وأقطعهم الأرض التي أخذت عنوة من أيدي أصحابها[3]، مثال ذلك أن السلطان الزياني أبا حمو موسى الثاني أقطع قلعة بني سلامة لأولاد عريف[4]، وكذلك منداس[5] وما جاورها ، وقد علق ابن خلدون على هذه الوضعية بقوله : أصبحت بطون توجين كلها خولا لسويد وعبيدا لجباياتهم الا جبل الونشريس ، فانه لم يزل لبني تغرين[6] وفي نص آخر يقول : " عن كثيرها رلجأوا الى سيف البحر وحصل كل منهم على مايلي موطنه من بلاد القفر فاستولى بنو يزيد على حمزة وبني حسن كما كانوا من قبل واستولى بنو حسين على نواحي مليانة والديالم على وزينة والسويد على بلاد توجين كلها ماعدا جبل الونشريس ، وبني عامر على تسالة ومليانة الى كدرة ومازونة لمحمد بن عريف ، ونزلوا لهم على سائر النواحي فاستولوا عليها كافة وأوشكوا على الأمصار"[7]

وان سياسة التنازل عن الأرض لفائدة القبائل العربية بدأت مع قيام الدولة حيث جلب يغمراسن السويد وبني عامر الى تلمسان وأقطعهم الأراضي المحيطة بالبطحاء وسيرات

---

1 ــ العبر : مجا 6 ، ص 101 ــ 102
2 ــ نفسه : جـ 6 ، ص 198
3 ــ العبر : مجا 6 ، ص ص 101 ــ 102 ، بغية الرواد ، جـ2 ، ص 198
4 ــ ابن خلدون : العبر مجا 6 ، ص 101
5 ــ وعن منداس ، أنظر ابن خلدون : نفس المصدر مجا 6 ، ص 254 ، أنظر أيضا الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 63
6 ــ ابن خلدون : العبر مجا 7 ، ص 338
7 ــ نفسه ، مجا 6 ، ص 101 ــ 102

وقد برزت دوافع أخرى عند بعض خلفاء بني أمية في اقطاعهم القطائع الأرضية فقد أعطوا بعض ولاتهم وفضلوهم على غيرهم حيث أقطع يزيد 60 ـ 63 هـ / 680 ـ 683 م عبيد الله بن زياد ضياعاً بالجبل ، وفعل ذلك عبد الملك بن مروان 65 ـ 86 هـ / 680 م ـ 705 م من الحجاج بن يوسف اقطاعات في فلسطين وبلاد الشام والعراق (1) (3)

أما في العهد العباسي وبخاصة القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي فقد زاد الاقطاع عما كان عليه من قبل ، وبخاصة انتشار الاقطاع العسكري الذي جسدا نتيجة لاهتمام بني بويه بالحصول على أكبر ما يمكن من واردات الدولة ، وذلك عن طريق الضرائب وغيرها ، وقد دفعهم هذا الحل الى استبدال دفع رواتب الجند باقطاعهم الأراضي والقرى ليأخذوا منها رواتبهم ، وبذلك تحولت معظم الأراضي الى اقطاعات جند على حساب الملكيات الصغيرة (4)

أما في الدولة الزيانية فالأمر جد مختلف ، حيث نرى الاقطاع عسكريا أو قبليا ، وذلك أن ملوك بني زيان اعتادوا منذ أن قاموا بالحروب مع جيرانهم أن يوزعوا الأرض الزراعية المفتتحة على كبار القواد أجرة لهم (5) ثم على القبائل مع أخذ العهد عليها والميثاق أن تكون حليفة لهم ، في الحرب والسلم ، فان حدث أن نكثوا العهد نزعت منهم ، ثم وزعت من جديد

---

1 ـ الموردي : نفس المصدر ، ص 355 ، عواد مجيد : نفس المرجع ، ص 90

2 ـ الموردي : نفس المصدر ، ص 35

3 ـ جاسم صابان : سياسة الدولة الزراعية في القرن الأول الهجري ، ص 306 أنظر أيضا : Article de Claud Katlen l'erolation de IKTA du IXer au XIII siecle dans annales E.S.C. I953 PP 25. 2 D'hina :(A) les Etats de L'Eocedent musulman P 232-33.

4 ـ المعيار : ج 5 ، ص 43 ، أنظر أيضا :

5 ـ

(1)
على قبائل أخرى موالية للدولة

ومن هنا يتبين لنا أن هذه الأراضي بهذه الصفة التي أعطيت بها لم تكن سوى أسلوب انتهجه الزيانيون، تبعا لمن سبقهم أو عاصرهم من الدول الاسلامية

أما الآثار التي ترتبت على ذلك فلاشك أنها كانت ضارة بالمجتمع، حيث شكل هذا الاجراء الاقطاعي طبقة مستغلة لعمال الأرض، وبذلك انتقلت الدولة من الملكية الخاصة والعامة الى ما يعرف في العصر الحديث باقطاعية الدولة التي أصبحت تملك الأرض، وتملك حق التصرف فيها (2) ثم انتقلت هذه الوضعية السيئة الى القبيلة فأصبح شيخ القبيلة يعطي كل ما ينتمي الى قبيلته، أو يساندها أنواعا من الامتيازات (3)

ولعل من أدق الأمثلة على ذلك موقف بعض القبائل التي استعملها الزيانيون في مواجهة المعارضين لهم مثل مغراوة، وبني توجين والثعالبة وحصين وذوي عبيد الله (4)

---

1 ــ المعيار : ج5، ص44، أنظر أيضا فيما يتعلق بانتقال الأراضي من قبيلة الى أخرى، العبر، مج7، ص315، وقد كان عمل الدولة الزيانية امتدادا للدول التي سبقتها بالمغرب الاسلامي، فقد أقطع الموحدون قبيلة بني عبد الواد، أراضي المغرب الأوسط من ملوية الى مدينة البطحاء كما أقطعوا بني توجين، وبني راشد الأراضي الشرقية، أنظر : العبر مج7 ص337، المازوني : المصدر السابق، ج2 ورقة 44

2 ــ المعيار : ج4، ص251

3 ــ الدرر المكنونة، ج2 ورقة 132، أنظر أيضا عبد المجيد مزيان : النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، ص153

مثال ذلك اقطاع بني مرين أراضي بني توجين لقبيلة سويد التي تحالفت معهم ضد بني عبد الواد، أنظر العبر، مج7، ص337، أنظر أيضا : حاجيات أبو حمو موسى الثاني : حياته وآثره، ص123

4 ــ العبر، مج6 - ص87، أنظر أيضا الديلي : المرجع السابق، ص

ومن المستفيدين من هذا النظام يوسف بن مهدي من مشائخ قبيلة سويد (1) وعنتر بن طراد من نفس القبيلة ، وداود بن هلال بن عطاف (2) وعمر والحارث بن مالك من العطاف وشيوخ من الديلم والمنبات من ذوي منصور (3)

وقد انتهج نفس الأسلوب بنو مرين خلال سيطرتهم على الأراضي الزيانية حيث تحالف السويد مع بني مرين خلال عهد السلطان أبي عنان فأقطع شيخهم ونزمار بن عريف جزءا كبيرا من الأراضي التابعة لبني توجين كالسرسو ، والنواحي المجاورة له

وفي عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني أصبحت البلاد كلها تقريبا اقطاعيات للقبائل ، والأشخاص سواء في ذلك من كانوا من الأسرة الحاكمة أو من أنصارها (4) ، فقد أدى الخوف من بني مرين بالإضافة الى الصراعات الداخلية الى تدهور الملكية الخاصة (5)

فاذا علمنا أن هؤلاء انما كانوا يمنحون الأراضي الجيدة الانتاج تبين لنا أن هذه السياسة انما قامت على حساب الملاك الأصليين ، فيما يشبه المصادرة رغم أنهم كانوا يدفعون عنها الضرائب ، وفي ذلك يقول المازوني (6) : " ان أرضا معروفة لأناس ومنسوبة اليهم قديما وحديثا ينتفعون بها بالحراثة وغيرها ، ويؤدون خراجها للإمام الخليفة ، ثم ان الامام ملكها لرجل من شيوخ العرب لما رأى فيه من المصلحة تمليكا مطلقا والأرض مشتملة على معروث ومعطول "

---

1 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، مجا 6 ، ص 96

2 ـ نفسه : مجا 6 ، ص 106 ـ 107 ، ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 198 أنظر أيضا :

3 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، مجا 6 ، ص 116 وابن خلدون يحيى : بغية الرواد ج1 ، ص 205

ابن خلدون عبد الرحمن : المصدر السابق ، مجا 7 ، ص 37 ، وعن أراضي السرسو أنظر :

4 ـ كان سلاطين الدولة يعينون أحد أبنائهم على بعض المقاطعات ويتركون لهم حرية التصرف فيها ، وكأنها اقطاع لهم أنظر العبر مجا 7 ، ص 129 وأبوحمو موسى الزياني : واسطة السلوك ص ص 138 ـ 139

5 ـ العبر : مجا 7 ، ص 228 ، ومجا 6 ، ص 166 ، بغية الرواد ، ج1 ، ص 167

6 ـ الدرر المكنونة : ج 2 ، ورقة 44و

وقـد أزدادت هذه الوضعية سوءاً مع ضعف الدولة الزيانية التي فشلت في مواجهة أطماع شيوخ القبائل ، أما رؤســاء الطوائف الصوفية فقد توصلوا بسبب نفوذهم الروحـي الى امتلاك الأرض الواسعة فقد روي أن جماعة من المرابطين أنعم السلطان عليهم بأزوان للحراثـة ، وعليها عيون ماء ، فاقتسموا الأزوان ، والعيون ، فصار كل منها يشغل ما صح له بالقسمـة من الأرض والماء " (4) (2)

ومن الذين استفادوا من هذا الاقطاع فقهاء مثل التنسي الذي أقطعه يغمراسن أرضا للانتفاع بها ، ثم بعد ذلك انتقلت الى أبناء الامام في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول (3)

وخلاصة القول أنه اذا كان اقطاع شيوخ القبائل يستدعي بعض المقاومة من طـرف السكـان ، فان الطرق الصوفيـة كان لهم تأثيرهم على السكان نظرا لما تؤديه الزوايـا من خدمات مثل التعليم ، والتربية الروحية واطعام المسافرين (4)

وهناك نصوص أوردها برسلاز (5) في الدجلة الافريقية تتعلق بالوقف في تلمسـان ، حيث كان السلاطين يعمدون الى شراء الأراضي الزراعية ، والبساتيـن (6) لوقفهـا على الزوايا ، والمساجد ، والأضرحـة ، والمدارس ، فيتوزع العائد من غلالها

---

1 ـ الذر المكنونـة : جـ2 ، ورقة 32 و

2 ـ المازوني : المصدر السابق ، جـ2 ورقة 36 و

3 ـ ابن مريم : البستان ، ص 28 ـ 29 ، وعن حياة أبي الحسن التنسي ، أنظـر : بغية الرواد ، جـ1 ، ص 114 ، الرحلة المغربية ، ص 11

4 ـ الذرر المكنونة جـ2 ، ورقة 43 و ، وصف افريقية ، ص ص 399 ـ 400 ، البستان : ص 215 ، المسند الصحيح ، ص 296

5 ـ

6 ـ

وخلال هـــذه المدة أصبح الخماس مجرد أجير يكتفي بأخذ أجرة معينة تمثل الحد الأدنى للمعاش على أنه على ذمة صاحب الأرض طوال السنة يقوم له بالخدمات

المشاركـــــة :

وقد لجأ إليها بعض ملاك الأرض ، لانعدام وطأة الخسارة التي تسببها الجوائـــــن الطبيعية ، والحروب المتواصلة ، ومع أن عدم التوازن بين عناصر الشركة كان غالبا لصاحب الأرض على حســـــاب قوة العمل ، فان ذلك كان مستغلا ، نظرا لتوافر اليد العاملـــة لأن العصر الزياني يمثل بداية انهيار النظام الاقتصادي القديم المعتمد على البـــداوة وتفكك المجموعات القبليـــة الكبرى ، مثل زناتة وصنهاجة وبنوهلال ، مما نتج عنه استقرار سواء البدو في الأريـــاف ، وأرباض المدن[1] ، وهناك أمثلة لهذه الشركات منها :

شركـــة حرث متساويـــة يقدم فيها الشريك الأول البقـــر والآلة والأرض ، والثانـــي الزريعـــة ، والعمل ، وتكون عادة بين فلاحين يمتلكون وسائل الانتاج ولاتفصلهـــم فوارق اجتماعيـــة شاسعـــة (2)

شركـة على الثلث أو الربع ويقدم فيها أحد الشريكين العمل وثلث الزريعة أو ربعها والماشيـــة ، وقد تكون في هـــذه الحالة الأرض ملكا لأحدهم (3)

شركـــة على الخمس يقدم فيها الخماس العمل ، وخمس الزريعة ، والعمل فقط ، حيث لا يوجد تكافؤ بين الشريكين ، فالخماس هو مجرد عامل فلاحي لا يملك أية وسيلة انتاجية (4) وهناك فرق بين هذا النوع من الشركـــة ، ونظام الخماسة .

شركـــة تجمع عدة أطراف مثلا أربعة اثنان منهم يشاركان مباشرة في عملية الانتاج ، فيقدم أحدهما البقـــر والآلـــة ، والبذور ، والآخر العمل والبذور ، وأما الاثنان

---

1 ــ عن بداية استقرار بني هلال خلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشـــر الميلادي) أنظر العبر ، مجـ7 ، ص 326

2ــ المعيار : جـ4 ، ص227

3 ــ الدرر المكنونة ، جـ2 ، ورقة 23 و

4 ــ نفسه : جـ2 ، ورقة 23 و ، المعيار : جـ5 ، ص175

على الطلبة والمعلمين والامام والمؤذن بالمدرسة أو الزاوية أو المسجد ، كما تتميز وثائق الوقف بتحديد الأراضي ، والبساتين التابعة لكل زاوية أسمها وموقعها

فبالنسبة لزاوية العباد نصت الوثيقة على القطع الزراعية والبساتين الآتية

محرث عشرين زوج بتميـــن من زيد ور من قطر تلمسان المذكورة برسم اطعام الطعام بزاوية العباد عمرها الله للفقراء ، والحجاج المقيمين والواردين عليها ، وأثرة عشرة أزواج بالموضع المذكور برسم ساكنين المدرسة المذكورة بحساب خمسة عشر صاعا للطالب الواحد في كل شهر وجميع جنان سعيد بن النجاد المشترى من ورثته الكائـــن بزواغـــة المحروسة ، وجميع جنان التفريسي الكائن تحت الطريق المارين عليهـــا سوريط المشترى من ورثته (3)

أما الوثيقة الخاصة بالسلطان أبي حمو موسى الثاني والمتعلقة بالأراضي المحبوسة على المدرسة اليعقوبية والمرافق التابعة لها منها الأرض الواقعة بقلعة بني معلى والنصف شائعا في روض المنية الكائنة بالرميل ، وزيتون تيفدا وأرض الزيتون المذكور (4)

وفي البوادي نجد بعض الجماعات تلجأ الى أحد المرابطين فتحبس عليه قطعـــة من أراضيها ، وتستغلها لفائدته زمن الحرث ، والحصاد ، ويتجلى ذلك من خــــلال النص الذي أورده صاحب البستان ، حيث قال ان راشد قدموا الى سيدي لحسن بفرس وبغلة ، فارتحل معهم الى الموضع الذي أنزلوه فيـــه ، فبنوا له مدشرا ، وحبســـوا عليـــه أرضـــا

---

1 ــ عن مسجد سيدي أبو الحسن : بغية الرواد ، ج1 ، ص 209 ، أنظر ، بورويبة رشيد جولة في مساجد تلمسان ، مقال بمجلة الاصالة : ع 26 ، سنة 1975 ، ص 74 ، أنظر أيضا

2 ــ

3 ــ

4 ــ

وعن الأحباس والأرض الموقوفة عن المدارس والمساجد ، أنظر المازوني : المصدر السابق : ج 2 ورقـــة 54 ، 55

5 ــ البستان : ص 236

وحين نرى هؤلاء المرابطين قد استفادوا من الفراغ الذي حدث ببعض المناطق نتيجة للهجرة الجماعية للسكان الذين فروا ، وتركوا أراضيهم خوفا من الدولة (1) ذلك ما ذكره الحسن الوزان عن سهل البطحاء

أنواع المزارعة

الخماسة :

أكثر طرق الزراعة انتشارا في المغرب الاسلامي عامة ، والمغرب الأوسط خاصة هي أن يأتي صاحب الأرض بشخص يكلفه بالعمل ، وفي هذا الصدد يقول المازوني "عن رجل عنده أرض يشترك معه آخر في الحرث فيخرج رب الأرض ثورا وزريعة وغير ذلك (2) ويكون العامل في مقابل الأرض (أعني الخدمة) زمن الحرث ، وزمن الصيف ، وهذه (3) الوسيلة هي التي تعرف بنظام الخماسة ، لأن كثيرا من الفلاحين الصغار كانوا في حاجة ماسة الى وسائل الانتاج من زريعة وماشية ، وليس لهم ما يقدمونه سوى العمل ، فالخماس هو شريك يقدم العمل ، ويتحصل على خمس الانتاج نظرا ، لأنه يقدم عنصرا واحدا من مكونات الشركة ، هو العمل بينما يقدم صاحبه (4) الأربعة الأخماس ، الأرض ، الحيوان ، المحراث ، الزريعة

---

1 ـ وصف افريقية : ص 401 ، وسهل البطحاء هو منطقة غليزان الحالية ، راجع ص 8 من الأطروحة

2 ـ الدرر المكنونة ، ج2 ، ورقة 23 و

3 ـ وتعرف الخماسة أيضا بالشركة ، أنظر الدرر المكنونة ، ج2 ، ورقة 56 و ، والخماسة يراد بها المكافأة بالخمس ، فالخماس هو مزارع والخمس نظرا لأن المحصول يتركب من خمسة اجزاء هي جزء الأرض وجزء للزرع وجزء للحيوانات المستخدمة في الحرث وجزء للأدوات وجزءا أخيرا للعمل ، أنظر بهلول ، نفس المرجع ، ص 27

4 ـ المعيار : ج5 ، ص 297 ، أنظر ايضا بهلول : المرجع السابق ، ص 256

الباقيـان ، فانهما يملكـان الأرض، وأخذ واحد على عاتقه كراء الأرض للشريكين السابقين علما ان أحدهما لم يتدخل أبدا في هـذه العملية ، ومما أنه يسكن المدينـة (1) والجدير بالملاحظة هو وجود تدرج اجتماعي بين الشركاء الأربعة ، فالأول فـلاح صغير والثاني خماس، والثالث ، والرابع مالكان عقاريـان (2)

<u>التـويـزة</u> :

وهي الأرض التي يتعاون الفلاحون في حرثها وزرعها ، وحصدها بدون مقابـل (3) وهذا النوع يعرف بالتويزة ، وقد أشار اليه الحسن الوزان عند تعرضه للشيخ سنسا الذي يملك الأرض المحيطة بسهل البطحـاء (4)

<u>السخـرة</u> :

وقد فرضت على الفلاحين من قبل شيوخ القبائل الذين لم يكتفوا بانتزاع الأرض مـن أصحابها ، بل فرضوا عليهم أن يقدموا المواشي والبذور لزرعها بدون مقابل ونقل المنتوج الى مخازنهم بعد حصده ودرسـه ، وهو ما يوضحه المازوني بقوله : " سئل سيدي ابن مرزوق عن رجل من العرب يعطيه السلطان أرضا ينتفع بهـا ، فيمهد لمن تحتـه في زمن الحرث فيأخذ منهم زرعهم اغتصابا ويأمرهم أن يحرثوا في أرض اغتصبها ويكلـف العمل بها للخماسين ، وأرباب البقر ، فان حان حصاده كلفهم أيضا بحصاده ، ونقله بعد درسـه الى مخازنـه في أوعيتهـم " (5)

---

1 ــ المعيـار : ج5 ، ص 126
2 ــ الدرر المكنونـة ، ج2 ، ورقة 24 و ، ومابعدهـا
3 ــ البستـان : ص 225
4 ــ وصـف افريقيـة ، ص ص 399 ــ 400
5 ــ الدرر المكنونة ، ج2 ، ورقة 38 و

توزيـــع الأرض :

هذا عن كيفيـــة استغلال الأرض التابعة للدولة الزيانية ، أما ... الأرض فيلاحـــظ الباحث انها عرفت بجغرافيتها المتنوعة زراعة متطورة ، ومزدهرة شملت مختلف أقاليمها ، ولعل السبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى الى توفر المياه بهـــا (1) فالأرض الممتدة ما بين نهر الملويـــة غربا ، ودلس شرقـــا تتميز بالأمطار المتوسطـــة التي تسقط خلال فصل الشتاء ، ووجود عدد من الأنهار تساعد على أزدهار الزراعـــة المستقيـــة ، وهي المناطق الزراعية المحصورة بين نهر الملوية ووهران (2)

كما ساعدت الوديان الجارية بها الى بعث النشاط الزراعي والاشتغال به مما دفع الفلاحيـــن الى أحياء الموات وعدم الاكتفاء بالأرض الزراعيـــة المهيأة ، وقد شهدت منطقـــة عاصمـــة الدولة ، والأراضي المجاورة لها نشاطا مكثفا ، يتفق كل الجغرافيين المسلمين المعاصرين على التنويه بآثاره من زيادة الانتاج ، فالادريسي يقول عن هذه المنطقـــة : " بأراضيها مزارع وضياع جمة " ، وهذا يتفق أيضا مع ما ذهب اليه العبدري (3) الذي قال عن الأرض المحيطة بتلمسان : " ان الدائر بالبلد كله مغروس بالكروم ، وأنواع الثمـــار " ويقول الزهري عنها : " كثيـــرة الفواكـــه والزرع

---

1 ــ ابن حوقل : صورة الأرض، ص78، الادريسي : المصدر السابق ، ص89 . أنظر أيضا :
VERNET (R) RECHERCHES sur la production et la circulation des cèrèales dans le Maghreb. mèdfval dans R.H. C M.

2ــ الادريسي : نفس المصدر ، ص87

3ــ العبدري : الرحلة المغربية ، ص14 ، أبوالفداء تقويم البلدان : ص124 .

أما يحيى بن خلدون فيقول " وبخارجها الخمائل الأدفانية والأنهار أشبه الحدائق الغناء بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من فواكه الرمان ، والزيتون والتين وتنصب اليها من على جبالها أنهار من ماء غير آسن ، يسقي بساتينها خارجها ومغارس الشجر زمنا بست الحب " (1) وفي موضع آخر يصف قطر تلمسان بقوله : " توسطت قطرا ذكور عديدة تعمرها أمثال البربر ، والعرب ، مريعة الجنبات ، منجبة الحيوان ، والنبات، كريمة الفلاحة زاكية ، الاصابة ، ربما انتهت في الزوان الواحد منها أربعمائة مد كبير ، ومتوسطون برشالة زنتها ثلاثة عشر رطلا من البر سوى الشعير ، والباقلاء حسبما تضمن ذالك رسم سنة ثمانين وخمسين وسبعمائة " (2) (3)

واذا كانت هذه الأراضي الآنفة الذكر غنية من حيث الانتاج ، فهناك أراضي تندن ضمن هذه المنطقة فقيرة نتيجة لعدم صلاحيتها ، وهو ما يؤكده الحسن الوزان بقوله : أما الأراضي القريبة من تبحريت (4) ، فهي حصوية وهزيلة لا ينبت فيها الا قليلا من الشعير والذرة (5) والى الشرق منها تيهرت التي ساعدت الأنهار المحيطة بها على بعث النشاط الزراعي والاشتغال به مما دفع الفلاحين الى احياء الموات ، فقد تطورت تلك الأراضي منذ عهد الرستميين حيث يتفق كل الجغرافيين تقريبا على أهمية تلك المنطقة ، فيذكر الاصطخري أن كورة تيهرت " خصبة واسعة البرية والمزارع والمياه " (6)

---

1 — بغية الرواد ، جـ1 ، ص90 ، نظم الدر والعقيان ، ص بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص

2 — المد : هو مكيال ، ومقداره رطلان ، أو رطل وثلث ، أو ملء كفي الانسان المعتدل اذا ملأهما ، ومد يده بهما ، وبه سمي مدا ، أنظر البخاري : الجامع الصحيح ، جـ2 ص23

3 — والبرشالة : تساوي أثنتا عشرة أوقية ، أنظر ، الوزان ، ص 391

4— تبحريت ، اختفت ولكن اسمها بقي على مسافة ثلاثين كم شمال غرب ندرومة ، ومن المحتمل أنها فوق رأس هضبة تشرف على البحر بلصر 150 ، أنظر الوزان ، ص 401

5— وصف افريقية ، ص 401 — 414

6— مسالك الممالك ، ليدن ، 1967 ، ص 39 ، أنظر أيضا ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ص 226 ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، بجامعة بغداد ، 1404 / 1983

ويصفها المقدسي فيقول "ان تيهرت بلخ المغرب قد أحدقت بها الأنهار، والتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها الأعين"(1) وسهل البطحاء الذي يتميز بجودة أراضيه، لكن كثرة الصراعات التي عاشتها المنطقة خاصة بين بني عبد الواد والحفصيين، أوبينهم وبين القبائل البربرية مثل مغراوة وبني توجين كان له تأثير سلبي على الانتاج، حيث ان مدينة البطحاء تعرضت للانهيار، فهجرها السكان، ماجعل أراضيها تبقى غير مستغلة لفترة زمنية طويلة (2)

بالاضافة الى سهل البطحاء الذي يندرج اليوم ضمن سهول معسكر تعتبر من المناطق الجيدة، حيث كانت تمول مدينة وهران بالمواد الغذائية خاصة عند احتلال الاسبان لها (3)، وناحية الشلف من أجود المناطق لتوفر المياه، وبخاصة في فصل الجفاف لأن المياه تعتبر المشكل الأساسي لانخفاض الانتاج في بعض السنوات (4)

أما الأرض الممتدة مابين وهران وشرشال فهي جيدة الانتاج (5) وكذلك متيجة (6) التي تعتبر أراضيها من أجود أراضي الدولة الزيانية، ولعل هذا هو السبب في اشتداد الصراع عليها حيث حاول الحفصيون مرارا التوسع على حسابها بضم مدينة الجزائر (7)

---

1 - أحسن التقاسيم: ص 228، العبر، مج 7، ص ، بغية الرواد، ج1، ص 286، الاستقصا، ج6، ص 26، أنظر أيضا الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2 ص 223 والميلي: المرجع السابق، ج2، ص 256

2 - وصف افريقية، ص 401

3 - توفيق المدني: حرب الثلاثة مائة سنة، 1492 - 1772، ص 236
وعن هذه المنطقة وأهميتها من حيث الزراعة، أنظر الدراسة التي قدمت من قبل بعنوان

4 - صورة الأرض، ص 78، الادريسي، المصدر السابق، ص 105

5 - وصف افريقية، ص 405

6 - عن أراضي متيجة، أنظر المقدسي: احسن التقاسيم، ص 20، وصف افريقية، ص 417

7 - عن الصراع بين بني عبد الواد، وبني حفص، على جزائر بني مزغنة وماجاورها، أنظر، العبر مج 7، ص 202، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص 207، أنظر ابن قنفذ: الفارسية، ص 96، أنظر أيضا حاجيات: المرجع السابق، ص 16 - 19

أما الأراضي الجنوبية فلا وجود للزراعة بها الافي بعض الواحات مثل واحة ورجلان وهي بلد خصيب كثير الزرع والضرع والمياه .

أما بلاد ريغ فيقول عنها ابن سعيد المغربي وفي شرقها أي ورجلان بلاد ريغ وهي بلاد نخل ومياه ينبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم الى أمد طويل ويسيح في المزارع (1)

الــري :

أما فيما يتعلق بالري فان الطرق التي كانت متبعة خلال هذه الفترة والتي أوردها بعض الرسالة لاتختلف كثيرا عما كان موجود بالنسبة لدول المغرب الاسلامي التي سبقتها فنجد السكان يعمدون الى تجميع مياه الينابيع ، والأمطار في سدود صغيرة ، ثم يقومون بتوزيعها على البساتين والحدائق بالتناوب بين الليل والنهار حتى يستفيد الجميع من المياه ، وهذا مايؤكده المازوني بقوله : لرجل له بازاء عين ماء تسقى كلها من هذا الملك ان هو ملك لهم ومشترك بينهم ، الا أن شركتهم فيه مختلف فمنهم من له أربعة افراد ومنهم من له أقل أو أكثر (2)

هذا النظام الذي ذكره المازوني في النص ، لايزال مستعملا في بعض المناطق الريفية حيث أن سكانها لايزالون يوزعون المياه على بساتينهم بنفس الكيفية التي أوردها المازوني خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)

أما الونشريسي (3) فقد أشار الى تلمسان فذكر أن المياه التي تتزود بها عند ما تخرج منها تتوزع في جدول على الحدائق المحيطة بتلمسان ، وقد اشتكي من عدم أعتناء السكان

---

1 — ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 26

2 — الدرر المكنونة ، جـ1 ورقة 186 و

3 — المعيار ، جـ6 ، ص 334 — 337 ، أنظر أيضا ابن خلدون يحيى ، الذي وصف المجاري المائية حول تلمسان بقوله " تنصب اليها من على (جبلها) أنهار من ماء غير آسن تتجاذبه ايدي المذانب ، بغية الرواد ، جـ1 ، ص 86

بهذه الجداول ما جعل المياه تذهب دون الاستفادة منها (1) ... الة العملية من بعض السدود التي انهارت، ولم تجد من يصلحها، لأنها ... لذلك اقترح من هذه الأموال من السكان الذين لديهم بساتين تابعة للأحباس، ولكن ما موقف سلاطين الدولة من مشاريع الري؟ والجواب أن الأوائل منهم قد وجهوا عنايتهم لاستغلال المياه في ري الأراضي مثلما فعل أبو تاشفين الأول الذي عمد الى بناء خزان من المياه يعرف باسم الصهريج الكبير الذي كان جزء منه يستغل في ري الأرض.

أما المناطق الواقعة على الأنهار فلاشك أن لها دورا في ازدهار الزراعة منها وادي شلف الذي كان "يفيض كما يفيض نيل مصر وترتب التراب في قسمه الأسفل لغزارة مياهه" (2)

وأهمية نهر الشلف تبرز فيما أورده سليمان الباروني، حيث ذكر أن السكان المجاورين (3) لمليانة كانوا يعتمدون عليه في سقي أراضيهم، ويبدو أن هذا لم يكن مقتصرا على أراضي مليانة بل شمل المدن والقرى الأخرى الواقعة على ضفاف نهر الشلف وروافده (4).

ومن الأنهار الأخرى في الدولة الزيانية وادي عين سوفجيج التي تنبع من الجبل المعروف بهذا الاسم، ثم يلتقي بوادي الوشن، فيكون بذلك واد واحد يمر جنوبي مدينة الشلالة

1- الدرر المكنونة، ج2، ورقة 93 و - 54
عن الصهريج الكبير، أنظر بغية الرواد ج1، ص206، نظم الدر والعقيان، ص136 أنظر أيضا:
BARGGS: Tlemcen, Ancienne, Capitales, du Royaune, de ce nom P.P. 353, 35 ,
MARCAIS (G): L'Architecture, Musulmane d'Occident p. 265.

2- نظم الدر والعقيان، ص 236، بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ص 156

3- عن الشلف وتسميته، أنظر الادريسي، ص 87، العبر، مج 6، ص 130، أنظر أيضا:
YAGOUS : La colonisation des plaines de chlef P. 113 Vernet: Recherche sur la production cérales dans le maghreb Medieval dans R.H.C M № 13 Janvier 1976. P.33.
DHINA (A) : Les Etats de l'Occidents Musulmane P.

4- الباروني : الأزهار ج2، ص57

وفي الشمال واد بني تيسي الذي يلتقي بوادي سوفي ، حيث ... البحر
المتوســـط ، وقد لعبت هذه الأودية دورا هاما في تشكيـ... ر

ونفس الشيء بالنسبة لوادي مينا وتافنا ، فان السكان كانوا يستغلون مياههما في زراعة الأرض المحيطـــة بهما ، خاصة حين يحين فصـــل الجفاف (1) ، لأن كتب الرحالة التي سبقـــت تأسيس الدولـــة الزيانيـــة قد أشارت الى وجود أراضي تسقى بمياه تلك الأودية مثل أراضي مليانـــة وسهل البطحـــاء ومستغانم وغيرها (2)

<u>اثـــر الظروف المناخيـــة على الزراعـــة</u>

هذا فيما يتعلق بمياه الأنهار أما الظروف المناخية التي كانت سائدة خلال عهد الدولـــة الزيانية لا تختلف عما هي عليـــه الآن

فالمنطقة الساحلية تتميز بفصل حار وجاف وقصير نسبيا يمتد من شهر جوان الى أكتـــوبر وفصل رطب دافيء ، طويل يمتد من أكتوبر الى ماي وأمطاره السنويـــة تتراوح مابين 1000مم و 350 مم وتربـــة جيدة ، وهي أوفـــر المناطق نباتا وأغناها من حيث النشاط الزراعي (3)

ويصف الدكتور سعد زغلول عبد الحميد علاقـــة المناخ بتوزيع المحاصيل الزراعية ، لأن الأقاليم الجيدة هي التي تتوفـــر فيها الأمطـــار ، وذلك على طول المناطـــق الساحليـــة للبحـــــر المتوســـــط.

والفلاحين بهذه المنطقة يهتمون بزراعة الأشجار ، وتميزت حياتهم بالاستقرار لأن الشجر يحتاج الى العناية به طوال السنة ، وأهم شجرة عرفها المغرب الأوسط هي شجرة الزيتون (4)

---

1 — عندما يتعرض الوزان الى منطقة اسلي ، نيون يمر بالقرب منها جدول يستخدم لري المزروعات لأن المنطقة على درجـــة من الجفاف لا يسمح بنمو شيء ، من المزروعـــات بدون ري ، وصف افريقيـــة ، ص 383

2 — الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 386

3 — تاريخ المغرب ، ج 1 ، ص 102

4 — بهلول : نفس المرجع ، ص 1

والى . انبها وجدت اشجار الفاكهة مثل التين والكروم [illegible] في الواحات تنمو الكروم والتين والزيتون ، وبعض المزارع جمعوا بين زراعة الحبوب وتربية المواشي لان المنطقة صالحة للجمع بين الحرفتين حيث تسمح المياه بالزراعة والوديان بنمو العشب ، كما كانوا يتركون قطعة من الارض كل سنة لتستريح تعرف بالعطايل

والى الجنوب منه اقليم الاستيبس أو السهوب وهو أقليم انتقالي بين الصحراء في الجنوب والتل في الشمال وبه تقل الأمطار نسبيا ويزداد الجفاف (1) ، وبهذا الاقليم نجد السكان يجمعون الى جانب الرعي في أقاليم الانتقال بين المناطق المعتدلة المطيرة والجافة الصحراوية وهي المعروفة بالتل أو التلول ، وأغلب سكانها من رعاة الغنم (2) ينتشرون في كل المغرب الاسلامي من أدناه الى اقصاه ، والمغرب الأوسط هو بلد الرعي بصفة خاصة ولهذا السبب نفسر كلمة الشاوية التي أطلقت على القبائل الذين يهتمون بالرعي والتي لاتزال مستعملة الى اليوم على أنها تعني رعاة الشاة (3) ، ورعاة الغنم ينتقلون عادة بقطعانهم بين المراعي المرتفعة في الجبال والتلول وبين المراعي المنخفضة لما تتميز به من الدفء الضروري للحيوان وخاصة من أجل النتاج ، ولكن العشب لا يلبث أن ينقرض لمجرد اشتداد الحرارة في الوقت الذى تكون فيه الاقاليم العالية غنية بالعشب لأن الطقس لطيفا بها ويسبب هذا التداخل بين السهل والجبل تنقل الرعاة بخيامهم الى ظهور الهضاب والجبال صيفا أويلجأون الى عيون المياه لما يبقرنه لديهم من الشاة في الاقاليم السهلية الجافة (4)

---

1 — سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ، ص 102 — 103

2 — ابن خلدون : المقدمة ، ص 121 ، أنظر أيضا سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ص 104
شارل اندرى جوليان : تاريخ افريقية الشمالية ، جـ 2 ، ص 394

3 — ابن خلدون : المقدمة ، ص 121

4 — سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 104

أما رعاة الابل أو الجمال فيتواجدون على حافة [illegible] يوجد أنواع من النباتات الخشنة الصالحة لرعي الابل والتي لا تستطيع [illegible] من الحيوانات الصغيرة (1)

أنواع المحاصيل الزراعية

الحبوب :

تكمن أهمية الانتاج الفلاحي بالدولة الزيانية في تطور العلاقات التجارية بينها وبين بلدان المغرب والمشرق الاسلاميين وبينها والاندلس والدول الاوروبية مثل جمهوريات أيطاليا (2)، لأن المجتمع الزياني يبقى مجتمعا زراعيا رغم ماعرف من شبكة مسالك نشيطة ومن مدن مزدهرة تجاريا كان لها أثرا فعالا في الدورة التجارية العالمية يومئذ وربما عاد ذلك الى ربطها بين واجهتين تجاريتين ، حساستين الواجهة البحرية والصحراوية ، ومن حركة التبادل التجاري الدولي ببضاعتين ثمينتين من بضائع العصر الذهب والعبيد (3)

وقد ساهم تطور التجارة في تطور الفلاحة حيث أصبحت كثير من المنتوجات الزراعية تمثل مكانا بارزا في قائمة البضائع المتبادلة وقد أدى ارتفاع ثمن بعض هذه المنتوجات ، الى العناية بها وتطور الاساليب الزراعية لانتاجها مثل زراعة الحبوب

---

1 ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص 122 ،

2 ـ عن تصدير الحبوب من موانئ الدولة الزيانية أنظر ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ص 142 ، أنظر MAS LATRIE op. cit, P. , HEERS GENES au XV siecle P,

3 ـ عن تجارة الذهب : أنظر HEERS GENES : op cit, P.

الحبـــــــــــوب :

تعتبر الحبوب أكثــر المزروعـات سيادة لأنها المزروع الغذائي الرئيسي سواء بالنسبة للعائلــة المزارعة أو بالنسبـــة للحيوانات المستخدمة في الزراعة ، وكان الفــلاح خلال العهد الزياني وحتى الآن يبقي قطعــة صغيرة من أرضه في حالة بور كل سنة لرعي ماشيته وحيواناته من جهة ولإعدادها للزراعة في السنــة الموالية

وزراعة القمح بالنسبـة للدولـة الزيانية في الجهة الشمالية حيث المتوسط السنوي للأمطار (1) لا يقل عن ثلاثة مائة ملمتر وهو الحد الأدنى اللازم لزراعة الحبوب التي تقوم على الأمطـــار وبذلك فلا غرابة أن تسيطر على بقيـــة المزروعات من أشجار وخضروات وغيرها ، وذلك بنـــاء على ماعرفته بلاد المغرب الاسلامي من محن ، ومنها أراضي الدولة الزيانية خلال القرون الأخيرة من العصور الوسطى ، وكان ذلك نتيجـــة لتفكك الوحدة السياسية وانتشار الاضطرابـــات والمجاعات (2)

وأغلب حبوب الدولة هي التي تزرع في فصل الشتاء وتشتمل كل من القمح والشعير والحنطة فيما يتعلق بالسهول المحيطة بتلمسان والمدن الساحلية مرورا بحنين ووهران أو على ضفـاف الوديـــان ، كوادي تافنا ، فنجد هـــا غنيــــة بانتاج الحبوب خلال العصور الاسلامية (3) ويتجلى لنا ذلك من خلال وصف الرحالة ابن حوقـــل الانتاج الزراعي الذي كان يســـد حاجيات سكانها مع تصدير الفائض منه نحو الأندلس وبقيـــة أسواق البحر المتوسط ، وما ذكره (4) يحيى بن خلدون عن انتاج الحبوب بالمنطقة التي تقع فيها مدينة تلمسان ، يتفق مع ما أورده

---

1 ـ المازوني : الدرر المكنونة ، جـ2 ورقة 23 و

VERNET: Recherche sur la production cérales P.

3ـ صورة الأرض ، ص 79

4 ـ بغية الرواد ، جـ1 ، ص 193

العبذري [1] ، أما الحسن الوزان فقد تحدث هو الآخر [2] عن تسالة [3] فذكر أنه يمد مدينة تلمسان بالحبوب خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وحتى سفوح الجبال كانت تخصص لانتاج الحبوب ، الا أنها تتميز بقلة الانتاج ، وهو ما يؤكده الوزان بالنسبة لجبل متغارة [4] الذي لا ينبت به من الحبوب سوى الشعير ، وكذلك جبل ولهاصة [5] الذي ينمو به الشعير بكمية قليلة ، أما منطقة تيهرت فقد اشتهرت بزراعة الحبوب خاصة لكثرة مياهها ، وبرودة مناخها ووقوعها قرب التلول الصالحة لتلك الغلة ، ويسوق لنا أبو زكرياء [6] عن أبي مرداس أحد شيوخ جبل نفوسة ، والذي كان قد تعود الذهاب الى تيهرت في فصل الحصاد ، وكانت عادته فيها أنه اذا حصد الناس زروعهم ولقط اللقاطون السنابل ورعوا مواشيهم عقبهم التقط نفقة سنة ، لأن ذلك متروك وهذا النص بالرغم من أن صاحبه قد عاش قبل تأسيس الدولة الزيانية ، فانه يمكن أن ينطبق على عصرنا ، كذلك يوضح لنا كثرة الاهتمام بزراعة الحبوب في منطقة تيهرت الدرجة أن الحصادين واللقاطين ، والرعاة بمواشيهم بعد ورعهم تلك المزارع يتركون ما يكفي نفقة انسان لمدة سنة كاملة ، فلا معنى لهذه الزاوية الا كثرة الحقول المزروعة بالحبوب مثل القمح

أما حوض الشلف [7] فيتميز بوجود مجموعة من المحاصيل منها القمح والشعير والحنطة ، فمليانة مثلا كانت تنتج هذه المحاصيل

---

1 ـ الرحلة ، ص 16

2 ـ وصف افريقية ، ص 397

3 ـ كان هناك قرية تعرف بتسالة توجد على بعد مائة وعشرين كلم على تلمسان ، وكانت خلال عهد الدولة الزيانية مهمة ، الا أنها اندثرت الآن عنها أنظر :

4 ـ متغارة : هي الكتلة الجبلية نيلا ومن الحالية التي ترتفع بـ 1156 عن سطح البحر وتقع مدينة ندرومة عند سفوحها ، وصف افريقيا ، ص 414

5 ـ جبل ولهاصة : جنوب أرشقول ، أنظر الوزان : ص 415

6 ـ كتاب السير واخبار الائمة ، ص 236 ، أنظر ايضا : بحاز ابراهيم : المرجع السابق ، ص 236

7 ـ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 78 ، صفة المغرب ، ص 86 ، وصف افريقية ، ص 405

يضاف الى ذلك سهول صغيرة غنيـــة بالحبوب بشرق مدينة ... تتمثل في أراضي وهـــران (1) ومستغانم وساحـــل برشك (2) وفي المناطق الجبليـــة ، مثل جبل بني سعيد (3) وتمـــــرا و فقد ذكرهما الوزان (4) وبين دورهما في انتاج الحبوب ، وكذلك كانت أراضي متيجـــة وقد ذكـــر الوزان سهلهـــا فقال عنه " انه ينتج كميـــة هامـــة من الحبوب "

الفواكـــه :

أزدهرت غراسة أشجـــار الفواكـــه بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني بفضل مالقيته من عناية واهتمام فقد كان السكان يعتنون بالبساتين ، ويغرسون فيها أنواعا كثيـــرة مـــن الفاكهـــة (5)

فمنطقـــة تلمسان فيها الأعناب من كل الألوان ذات النكهة الرائعة ، والكرز الذي يتوفـر بكثرة والكروم وبقيـــة أنواع الثمار (6) وهي كثيرة الفواكـــه والزروع (7) ، ومن فواكهها الرومـــان والتين والزيتـــون ووصفها الوزان بقوله (8) : " تنتج أعنابا من كل الألوان ذات نكهة رائعـــة وتورا من كل نوع ، وتينا شديد الحلاوة أسود اللون كبير الحجم طويلا جدا يجفف ليؤكـــل في الشتــــاء "

---

1 ـــ ابن حوقل : نفـــس المصـــدر ، ص 79 ، الادريسي : المصدر الســـابق ، ص 86 ، وصف افريقيـــة : ص 402

2 ـــ صفة المغرب ، ص ص 86 ـــ 89

3 ـــ جبل بني سعيد : هو الجبل المطل على مدينة تنس ، ولا يزال الآن مسكون من قبـــل المغراويـــين ، لأن سكانـــه لا يزالون يتكلمون اللهجـــة البربرية ، أنظـــر الـــوزان ، ص 400

4 ـــ وصف افريقية : ص ص 404 ـــ 405

5 ـــ الرحلـــة : ص 16

6 ـــ الزهري : كتاب الجغرافيا ، ص 96

7 ـــ بغية الرواد ، ج 1 ، ص 198

8 ـــ وصف افريقية ، ص 397

وأغلب أشجار التين بالجبل المواجه لتلمسان ، [illegible] بكثرة (1) يحمل منها التين المجفف الى ما يليه من النواحي ، وهو ما يؤكد [illegible] ينقل من مسالك الابصار للعمري ، فقد ذكر من بين فواكه الدولة الزيانية التين والعنب والرمان والتفاح على أصنافه والكمثرى والمشمش والبرقوق والخوخ والجوز ، واللوز والليمون والنارنج والبطيخ الأصفر والأخضر ، كما تعرض السلاوي الى الفواكه خلال تناوله لحصار تلمسان سنة 698 ـ 707 هـ/ 1298 ـ 1307 فقال " الواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهما ، والحبة من التين والاجاص بدرهمين " (2)

يتجلى من النصين أن الفواكه الموجودة بالأراضي المحيطة بتلمسان لا تختلف عن ما هو موجود الآن ، أما الناحية الممتدة ما بين هنين وتلمسان ، فكانت هي الأخرى تنتج كمية هامة من الفواكه ذكر الحسن الوزان من بينها الكروم ، والمشمش ، والتفاح ، والكمثرى والدراق ، ومقادير لا تحصى من التين ، ولكن ليس هناك من يقطفها (3)

وأما تيهرت فيشير ابن حوقل الى فواكهها فيقول تنتج ضروبا من الغلات ، ويصفها (4) المقدسي فيقول : " ان تيهرت بلخ المغرب قد أحدقت بها الانهار ، والتفت حولها الأشجار وغبت في البساتين ونبعت حولها الأعين " (5) ولعل البكري هو أدق من وصف فواكه تيهرت وأحوازها اذ يقول بها جميع الثمار ، وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ، ومشما ، وهو يسمى بالفارس" (6)

---

1 ـ صبح الأعشى ج5 ، ص 176 ، ابن خلدون : العبر مج 7 ، ص 198 ، أنظر أيضا بغية الرواد ، ج1 ، ص 10

2 ـ الاستقصا ، ج3 ، ص 216 ، نقلا عن ابن خلدون : العبر ، مج 7 ، ص 198 المازوني : المصدر السابق ، ج2 ، ورقة 27 ، أنظر حاجيات : المرجع السابق ، ص 57

3 ـ وصف افريقية ، ص 395 ـ 404

4 ـ صورة الأرض ، ص 76

5 ـ احسن التقاسيم ، ص 136

6 ـ المغرب ، ص 156

ومن بين الأراضي المنتجة للفواكـــه تنس التي أشار اليها البكري فقال: "بها السفرجل المعنق مالا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته" (1) كما توجـــد الفواكـــه في الأرض المحيطة بسوق ابراهيم ، وقلعة هوارة التي تحتوي على الكثير من الأشجار والثمار والعنـــب . (2)

أما تنس وشرشال وبرشك فكانت بها فواكـــه حسنة منها السفرجل المعنق كالقرع الصغار ، والأعناب ، وأشجار الزيتون كانت تغطي جزءا هاما من أراضي الدولـــة الزيانية ، والدليـــل على ذلك ازدهار تجارة الزيوت مع البلدان الاوروبية ، (3) كما اشار بـرسلار من خلال بحثه في وثائق الأوقاف بتلمسان وجود بساتين الزيتون كانت تابعة للمساجـــد والمدارس ، والأضرحة . (4) وقد تعرض القلقشندي هو الآخر لأشجار الزيتون بالمناطق الغربيـــة كما توجد أشجار اللوز والجوز بالجبل المطل على مدينة مليانة لكن خلال عهـــد الـــوزان (5) لم تجد من يقطفها نظرا لوفرتهـــا .

والكروم بالأراضي المحيطة بمدينة الخضراء وناحية بني واريفن . (6) وكروم المنطقتان المذكورتان تقعان في سهـــــل الشلف الذي لا يزال حتى الآن يشتهر بهذا النوع من الزراعة.

ومن بين المناطق التي تزرع بالكروم ناحية وجدة وحنين التي كان سكانها يزينون بيوتهم وهو ما يؤكـــده الوزان بقوله : " كان لكل بيت بئر من الماء وصحنه المزين بحاملات الكروم " . كما كان يغرس الكروم بالغريزة القريبة من مسيلة التي بلغ القنطار الواحـــد منها بدرهم . (7)

---

1 ــ المرجع السابق : ص 76 قول البكري : مالا أزال " ما " اسم موصول بمعنى الذي أي الذي لا أزال أحكيه لحسنه"

2 ــ الوزان : المصدر السابق ، ص 405

3 ــ

4 ــ صبح الأعشى : جـ5 ، ص 150

5 ــ وصف افريقية ، ص 400

6 ــ الادريسي : نفس المصدر ، ص 86

7 ــ وصف افريقية : ص 386 ، البكـــري: المغرب ، ص 60 ، الونشريسي : المعيار ، جـ5 ، ص 37

وفي الواحات الجنوبية نجد انتاج التمور الذي يصدر نحو المناطق الشمالية وخاصة موانى الدولة الزيانية ومن هناك يتم تصديره الى أوروبا .

الخضر :

تتوفر في أغلب المناطق التابعة للدولة وبخاصة على ضفاف الأودية يذكر القلقشندي من [1] أنواع الخضر الجزر واللوبيا والكرنب والخيار والقثاء واللفت والباذنجان ، والقرع وقصب السكر ويذكر المازوني البصل الذي يغرس في أحواض . [2]

القطن :

يعتبر القطن من المحاصيل الزراعية الهامة التي ادخلها العرب بلاد المغرب ومنها انتقلت زراعته لما له من أهمية خاصة في صناعة النسيج ، وهو ما يؤكده الحسن الوزان [3] بالنسبة لندرومة فيقول عنها : " تبدو ندرومة الآن مزدهرة ، لأن الصناع كثيرون فيها ، وتصنع بها على الخصوص أقمشة القطن الذي ينبت بالمنطقة وكذلك الأراضي المحيطة [4] بمستغانم التي كان يبذر في أراضيها فيجود ". [5]

ومن بين المحاصيل الصناعية الكتان الذي وجهت له العناية ، فكان يزرع بكثرة حول مدينة تاهرت وعلى وادي الشلف وناحية برشك . [6]

ومن المحاصيل الزراعية أيضا الحناء ، والكمون ، وقد انتشرت زراعتها في مناطق الدولة الزيانية مثل قرية بني واريفين التي تبعد عن مدينة تنس بمرحلة ، فسكانها يزرعون الحناء والكمون على نهر الشلف [7]

---

1 ـ صبح الأعشى ، ج5 ، ص118

2 ـ الدرر المكنونة ، ج2 ورقة 49 و

3 ـ عن القطن وانتقاله الى الأندلس ، أنظر عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، ص74 ، أنظر المازوني : المصدر السابق ، ج2 ورقة 46 و

4 ـ وصف افريقية : ص386

5 ـ صورة الأرض ، ص76

6 ـ الوزان : المصدر السابق ، ص401

7 ـ الادريسي : المصدر السابق ، ص89 ، الونشريسي : المعيار ، ج6 ص56 .

الثـــــروة الحيوانيـــــة:

كانت تربية المواشي في بلاد المغرب الأوسط تقوم جنبا الى جنب مع الزراعة فلا داعـــي الى القول ان المناطق الزراعية التي سبق نا التعرض لها من قبل ، كانت مناطق رعويـــــة اضافة الى كونها زراعية ، فالمزارع غالبا ما يعتمد على المحصول الزراعي مقرونا بالمنتـــوج الحيواني . اذ يعتبر كله من أنشطته ومن اهتماماته .

وتشير الدراسات الحديثة الى أن أراضي الدولة الزيانية كانت في فترة من فترات تاريخها مرتعا ، ومرعى لمختلف الحيوانات ، وبخاصة الغنم والحمير ، والخيل . وتزاول من قبل القبائل . فبنو توجين كانوا ينتقلون مع مواشيهم في المنطقـــة المحصورة ما بين جبل السرسو ، ومنطقة الـــزاب . (1)

وبنو راشد بجبل عمور يهتمون بتربية المواشي ، ومنه انتقلوا الى المناطق الشمالية حيــث يتوفـــر الماء والكلأ لمواشيهـــم (2) . ومغراوة ذكرت المصادر التاريخية أنهم كانوا يهتمون بتربية المواشي ، وأشار اليهم ابن خلدون عند تعرضه لهجوم أبي ثابت الزياني على مضاربهم وقال عنهـــم : " انهم تركوا زعيمهم وفروا بالمواشي الى الجبال المجاورة لتنس (3) .

أما بنو النظير بن عروة فقد كانوا ينتقلون مع مواشيهم بين مناطق التل والواحات ، ونفـــس الشيء فعله بنو عامر (4) الذين كانوا يتمركزون في قرى نهر واصل ، وفي فصل الخريف يتوجهون الى وادي ميزاب ، واستمر ذلك حتى عهد الحسن الوزان الذي قال عنهم : انهم يتوجهون نحو المناطق الصحراوية (5) ، وكذلك ذوو عبيد الله الذين كانوا يقومون بالرحلة مع مواشيهـــم بين قصور توات ، وغرب تلمسان ، وربما توغلوا حتى يصلوا الى تيكرارين (6) .

1- ابن خلدون : العبر مجا 7، ص 315
2- نفسه مجا 7 ص 321 ، ابن سعيد المغربي : بسط الأرض في الطول والعرض، ص 79
3- ابن خلدون : المصدر السابق : مجا 7 ص 251
4- نفسه مجا 6 ، ص 116
5- نفسه مجا 6 ، ص 105
6- ابن خلدون : العبر مجا 6 ، ص 123

هذا فيما يتعلق ببعض القبائل التي تهتم بتربية المواشي . وإذا حاولنا تحديد مناطق تنمية الثروة الحيوانية فاننا نجد أن المنطقة المحصورة بين تيهرت ، والمسيلة كانت تعرف خلال عهد الادريسي (1) وان الذين كانوا يقومون بهذا العمل هم قبائل زناتة ، مغراوة ، بنو راشد ، بنو عبدالواد ، بنو مرين وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون : " هذه القبائل ضواعن ينتجعون من مكان الى آخر وأكثرهم فرسان يركبون الخيل (2) ، أما جبل راشد فيقول عنه الاصطخري " اغلب منتوج أهله تربية المواشي مثل الخيول .

وما يقال عن هذه المنطقة ينطبق أيضا على حوض الشلف ، لأن بني توجين قد انتقلوا اليه واستولوا على أغلب أراضيه ، وظلوا محافظين على تربية المواشي شأن أهل النجعة منهم شأن العرب (3) .

أما اليعقوبي (4) فيقول : هو بلد زرع وضرع ، وابن حوقل يقول : عن تيهرت ، وأحوازها (5) هي معادن الدواب والماشية ، والغنم والبرادين الفارهة .

والادريسي يذكر أن تيهرت تشهر بانتاج البرادين والخيل من كل حسن ، وأما البقر والغنم كثيرة جدا ، وكذلك العسل والسمن ، فلا غرابة أن تتبوأ تيهرت هذا الدور في النشاط الرعوي الى جانب دورها الزراعي .

ولعل ازدهار تربية المواشي بها ترجع بالدرجة الأولى الى أن موقعها ملتقى القبائل الرحل في فصول معينة من السنة فابن الصغير يخبرنا أن قبائل مزاتة (6) وسدراته (7) وغيرهم كانوا يتجمعون في أشهر الربيع بتاهرت ، وأحوازها لما فيها من الشلاء وغيره ، ولا شك أن هذه الصفة الرعوية

1- صفة المغرب ، ص 86

2- الاصطخري : المصدر السابق ، ص 144

3- ابن خلدون : العبر مجا 7 ، ص 321

4- اليعقوبي : البلدان ، ص 176

5- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 86 ، الزهري : كتاب الجغرافيا ، ص 194

6- عن مزاتة : انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، مجا 6 ، ص 235

7- وعن سدراته : نفس المصدر ، مجا 7 ، ص 296 ، الاستبصار ، ص 171

لتيهرت استمرت بعد ذلك ، فقد وصفها صاحب كتاب الاستبصار بأنه تيهرت كثيـــرة الغنم طيبة المرعى ومنها تجلب الاغنام الى بلاد المغرب وبلاد الاندلس لرخصها وطيب لحمها.

ولعل انخفاض أسعار اللحوم راجع بالدرجة الأولى الى ازدهار تربية المواشي خلال العهد الزياني بحيث أصبحت المراكز الحيوية في المغرب الأوسط حيث تربى في حظائرها السلالات الممتازة من الخيول العربية الأصيلة (1) ، ومازاد في تطور تربية المواشي بها أنها أصبحـــت خلال هذه الفترة موضوع البحث مواطن لبني هلال الذين يهتمون بتربية المواشي كالأبقار والأغنام والخيـــول (2) . وكذلك الحال بقلحقبني راشد التي لا تبعد كثيرا عن تيهرت ووهـــران التي يقول عنها الادريسي (3) : وهران السمن فيها موجود ، والزبد والبقر والغنم بها رخيصـــة بالثمن اليسير، وقد كانت مركز تصدير المواشي ومشتقاتها كالجلود والصوف ، ونعتقد أنها بقيـــت محافظة على انتاج المواشي ، وخاصة عندما استولت القبائل العربية على المناطق المجـــاورة لها مثـــل بني عامـــر.

وما يقال عن المنطقة التي يقطنها بنو توجين ينطبق كذلك على المناطق التابعة لمغراوة ، والتي تمتد من شرشال الى مازونة . فهناك اشارات كثيرة من قبل الرحالة تخص باهتمام السكـــان بتربية المواشي (4) ، فيقول الادريسي عن شرشال بادية لأهلها مواشي وأغنام كثيرة يصـــدر (5) منها نحو البلدان الأوروبيـــــة .

---

1 ـ يذكر الحسن الوزان : ان مواشي احد الشيوخ الصوفية بسهل البطحاء ان ثيرانه وخيوله واغنامه تزداد كثيرا لدرجة أصبح هو ذاته لا يعرف عددها ، أنظر وصف افريقيا ، ص 401

2 ـ الوزان : نفس المصدر ، ص 400

3 ـ صفة المغرب ، ص 89

4 ـ نفسه : ص 87

5 ـ الادريسي : نفس المصدر ، ص 83 ، أنظر أيضا :

وعن برشك المجاورة لها أشار ابن حوقل فقال : برشك [illegible] ي (1)

أما المنطقة المحصورة بين برشك ، ومازونة ، فكانت هي الأخرى [illegible] التي يعتمد سكانها على الثروة الحيوانية ، ودليلنا على ذلك أنها كانت غنية بانتاج الصوف ، وبخاصة صوف مستغانم ومزغران ، وسكان جزائر بني مزغنة (2) ، والأراضي المجاورة لها كانوا يهتمون بتربية الأبقار والأغنام لوفرة الكلأ بالأراضي المحيطة بها .

الخيول :

لما كانت القبائل الزناتية والعربية يتعشقون الفروسية فقد ربطت هذه العلاقة الحيوية بينهم وبين خيولهم برباط من التآلف والتعاطف حتى نجد عمرو بن العاص في مصر يستعرض الخيل كما يستعرض الجيش ، وحتى سلاطين الدولة الزيانية كانوا يوجهون عناية كبرى لتربية الخيول ، حيث كان الفرسان يستعرضون خيولهم أمامهم مثل ما حدث في عهد السلطان يغمراسن بن زيان وأبي حمو موسى الثاني (3) .

وقد تطورت تربية الخيول بالمغرب الأوسط على النحو التالي ، وأول من أظهر الاهتمام بها عبد المؤمن بن علي الذي أمر باستجلاب الخيل له من جميع المناطق بالعدوتين الافريقية والأندلسية (4) .

---

1 — ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 78

2 — الادريسي : المصدر السابق ، ص 89

3 — ابن خلدون : العبر ، مج 7 ، ص 174 ، بغية الرواد ، ج1 ، ص 114

4 — علي بن عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص 152
الهلالية : ص 89 ، أنظر أبوضيف : المرجع السابق ، ص 310

نقد أمدت افريقية في سنة 566هـ/ 1170 م ابنه يوسف بأربعة آلاف فارس

أما تلمسان فأمدته بألف فارس وصفها ابن صاحب الصلاة بقوله العرب العتاب الأحساب المدبسة عند الاعراب (1) . وقد تعلم البربر من العرب الاهتمام بالخيل من ذلك ما روي أن الموحدين طلبوا من المكلفين بنقل هذا الخيل الى الأندلس أن يأخذوا أنفسهم ومن معهم بالرفق والمشي واللحاق والمحافظة على الخيل العتاق (2) .

ومما يدل على اهتمام الموحدين بالخيل أن رشيد الموحدين قام بتوزيع خيل عرب المعقل على الموحدين بعد الاستيلاء عليهـــا (3) .

وقد اشتهرت تربية الخيل في المغرب الاسلامي من برقة الى تلمسان عندما استقـــرت بها قبائل رياح والخلط وسفيان والاشيح وزحف اليها عرب المعقل وزغبة وانتشروا في بواديها وأوديتها فقد نقلوا معهم الخبرة العربية في تربية الخيول وتحسين انسابها حتى اشتهرت الخيول الفزارية نسبة الى بلاد فراز وهي بطن من زناتة تقع في تادلا (4) . ومنهم قبائل جبـل راشد من زناتة الذين كان لهم انتاج من الخيول (5) .

وأصبحت تربية الخيول مزدهرة لأنها من بين السلع التي زاد عليها الطلب من قبل تجار أوروبـــا ، فالحسن الوزان يذكر أنها كانت بايطاليا وتعرف بالخيول البربرية ، وكذلـــك بالســـودان الغربـــي (6) .

---

1 — المن بالامامة : ص 215 ، 418 ، أبوضيف : المرجع السابق ، ص 310 .
2 — ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ4 ، ص 364 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 87 .
الاستقصا ، جـ1 ، ص 201 ، أنظر أيضا أبو ضيف : نفس المرجع ، ص 311 .
3 — ابن عذاري : نفس المصدر ، جـ4 ، ص 381
4 — ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق 3 ، ص 168
5 — ابن سعيد المغربي : بسط الطول ، ص 79 .
6 — وصف افريقية ، ص 640

كما أصبحت تشكل الهدايا المفضلة الى الملوك المسلمين في المشرق من طرف السلاطين المرينيين الى المماليك بمصر وبخاصة بعد سيطرتهم على أراضي الدولة الزيانية خلال عهد السلطان يوسف أبو يعقوب وأبو الحسن المريني مما يجعلنا نؤكد من أن جزءا هاما من انتاج القبائل التي كانت تابعة للدولة الزيانية ، وقد بلغت في عهد أبي الحسن أربعمائة فارس من الخيل العتاق المسومة المعلمة (1) .

وقد كان حرص ملوك مصر الاستزادة من خيول بلاد المغرب شديدا لما امتازت به من القوة والصبر على المتاعب والسرعة الفائقة من ذلك ما روي أن السلطان برقوق كلف ابن خلدون بعد استقراره بالقاهرة بالكتابة الى سلطان تونس فأرسل اليه خمسة من الخيول .

ولكن يبدو أن هذه الهدية لم ترق في عين برقوق لقلة عدد الخيل كذلك كلف يوسف بن علي زعيم أولاد حسين من عرب المعقل أثناء عودته من الحج أن يزوده بأكبر عدد من الخيل العربية الأصيلة ، فلما أبطأ عليه أرسل مملوكه المكلف بتربية الخيول أن يذهب الى المغرب للشراء ما شاء (2) .

وفي أثناء الطريق تقابل مع هدية السلطان أحمد بن أبي سالم المريني ، كما أضاف له السلطان أبو زيان الثاني ثلاثين من الجياد ، وكذلك سلطان تونس فأصبحت جملتها خمسة وتسعون فرسا أختارها للتهجين والتوليد بالديار المصرية (3) .

1- ابن خلدون : الرحلة ، ص 337 ، القلقشندي : صبح الأعشى : جـ7 ، ص 385 ،
المقري : نفح الطيب ، جـ6 ، ص 132
أنظر أيضا : أبو ضيف : نفس المرجع ، ص 312
2- ابن خلدون : رحلته ، ص 340 - 345
3- القلقشندي : المصدر السابق ، جـ7 ، ص 383 .

وقد اعتمدت دولة بني عبد الله على عبد الله بن كندور في [illegible] إبلها (1) ورواحلهـــــا . ورغم انتمائه الى زناتة الا أنه عين للاشراف ال[illegible] بن أبي سعيد الرعيى الاكبر وكبيـــر بن صبيح من عرب سويد وأخيه موسى بن أبي سعيـــــد (2) .

ومما يدل على مهارة هوءلاء العرب في تربية الخيل والابل أنه بعد أن ساءت العلاقـــات بين عبد الله بن كندوز وبني عبد الواد لجأ مع أخويه حسان وموسى الى المرينييـــــــن فاسندوا اليه النجاع الابل والرواحل مما يدل على أنهم لهم خبرة بذلك متوارثة من الخلف عن السلـــــف .

وبفضل هوءلاء كانت المراعي الخصيبة في الدولة الزيانية تستغل أحسن استغـــلال من ذلك ما أورده موءلف الاستبصار عن وجدة حيث يقول مراعيها احسن المراعي وأصلحها للماشيـــة (3) .

الابقـــــــــــار :

كثرت تربيتها بالمناطق الشمالية من بلاد المغرب الأوسط حيث المراعي الدائمـــــة الخضراء لانها تتطلب الاعشاب الكثيرة والأراضي المستويـــة الخالية من السفـــــوح الشديدة الانحدار ، وتتميز أبقار الدولة الزيانية بالقامة المتوسطة مما جعل الحسن الوزان (4)

---

1 — يعتقد أبوضيف أن هناك علاقة بين عبد الله بن كندوز كمتولي لرعاية الابل واطـــلاق لفظ كندوز على نوع من اللحم القوي مع ملاحظة أن كلمة كيناز اللحم القوية الكثيرة الصلبة فمن المحتمل أن يكون هو المنسوب الى اللحم ، أنظر أبوضيف ، المرجع السابق ص 313

2— ابن خلدون : المصدر السابق ، مجا 7 ص 345 ـ 346 . السلاوي : الاستقصا جـ2 ، ص 125 .

3— موءلف مجهول : الاستبصار ، ص 177 .

4— وصف افريقية ، ص 642 .

يقارنها بالمعمول في ايطاليا حين تعرض لأبقار المغرب الاسلامي ، وقد زاد الاهتمام بها خلال عهد الدولة الزيانية لأن ذكرنا كانت تستخدم في الزراعة (1) وبعضها كانت تدبغ وتصدر للدول الأوروبية حيث كان الاقبال عليها كثيرا

ومن بين المناطق المنتجة للأبقار والتي تعرضت لها كتب الرحالة جزائر بني مزغنة وتاجرت (2) وكذلك مطماطة (3) التي تقع على نهر الملوية ، الا أنه يبدو لي أن أغلب أراضي الدولة الزيانية خاصة حول المدن مثل تلمسان ووهران وقلعة بني راشد ومستغانم كان سكانها يهتمون بتربية الأبقار لوفرة الكلأ بتلك المناطق

الأغنام ::

تشتهر أراضي السهوب بتربية الأغنام أو الضأن التي تعيش في شكل جماعات أو قطعانا ويعين من القطيع أفراد من الماعزليقود ه الى المرعى

والأغنام تتألف الآن من صنفين واصل ذلك يرجع بالدرجة الأولى الى تأثير قبائل بني هلال التي استقرت في هذه المناطق التي لازال لحد الآن سكانها يهتمون بتربية هذا النوع من المواشي (4) ويتبعون نفس الطرق التي كانت سائدة خلال عهد الدولة الزيانية أي الانتقال بالأغنام بين الشمال والجنوب فيدفنون في فصل الشتاء على الهوامش الشمالية للصحراء وفي فصل الصيف ينتقلون بقطعانهم الى السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس التلي (5) ، أما أصنافها فنجد الصنف العربي الذي يتميز بالأعضاء والأطراف البيضاء والرأس الكبيرة ويعيش في نفس المناطق التي كانت محل استقرار أوتقع ضمن مضارب بني هلال من المعقل و زغبة

---

1 ــ الدباغ : معالم الايمان ، ج4 ، ص 44 ــ 45

2 ــ DUFOURCQUE (ch E) : Paix et niveaux de Vie dans les Pays catalans, et Maghrab; P. 4 1.

DHINA (A) : le Royaume ABdelwadid, P. 166.

3 ــ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 76 ــ 85 ــ 86

4 ــ البكري : المصدر السابق : ص 147

5 ــ حليمي عبد القادر علي : جغرافية الجزائر ، ص 217 ــ 218

أما الصنف البربري فيتميز بالقامة القصيرة والأصواف الكثيفة والرأس المتوسطة ونجد بالونشريس لدى مغارب مغراوة وبني توجين وغيرها من القبائل البربرية، ومن الصنف البربري من يتميز بالذنب السمين المكتز بتجمعات كبيرة من الشحم حيث يعوقه احيانا عن المشي والانتقال بسرعة، وأن تربية الاغنام أكثر تماشيا مع البيئة من الابقار ولذا نجدها أكثر انتشارا في أراضي الدولة الزيانية فتعرض الادريسي (1) الى بعض المناطق التي أهتم سكانها بتربيتها فذكر من بينها مرسى الدجاج التي قال عنها بها الغنم والبقر موجود كثير ويخصب من أرضها الى كثرة من الاغنام، كما انتشرت في جزائر بني مزغنة (2) وتيهرت ووجدة التي اشتهرت أغنامها بكثرة شحومها وذكرها صاحب الاستبصار بقوله انه يوجد في الشاة من اشياههم ماتي أوقية شحما (3)

البغال : هي من حيوانات الحمل وقد كثر استخدامها في بلاد المغرب الأوسط لقدرتها على السير في المناطق الجبلية الوعرة وقد أشار ابن حوقل الى تيهرت فذكر البغال بها (4)

يرجع تاريخ ظهور الابل والخيل في المغرب الأوسط الى فترة ماقبل الاسلام حيث نجد قبيلة زناتة كان لها أهتمام بتربية هذا النوع من الحيوان (5)، وقد زاد الاهتمام بتربية الابل بعد دخول العرب المسلمين خلال الفتوحات الاسلامية وماتلى ذلك من هجرات من المشرق الى المغرب الاسلامي، وأهمها ماعرف في التاريخ بهجرة الهلاليين، فقد كان من الطبيعي أن ينتقل ولاء العرب بالابل فقد كانوا في المشرق قد نجحوا في التدخل الصناعي في توليده وتكثيره، والاهتمام بالانواع الأصلية منه

---

1 ـ الادريسي : المصدر السابق، ص 90
2 ـ ابن حوقل : صورة الارض، ص 76 ـ 85 ـ 86
3 ـ لمؤلف مجهول : الاستبصار، ص 177
4 ـ ابن حوقل : نفس المصدر، ص 86
5 ـ علي بن عبد الرحمن : حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص 43، عبد الحميد يونس : الهلالية، ص 89، أبو ضيف : نفس المرجع، ص 309

الفصل الثاني : الصناعة

المواد الأولية

المنسوجات وأهم مراكزها

أ - في المدن

ب - في البوادي

صناعة الجلود

صناعة المواد الغذائية

صناعة الفخار

صناعة مواد البناء

الصناعة المعدنية

الفصل الثاني: الصناعة

المواد الأولية

كان للصناعة دور هام وأساسي في البناء الاقتصادي للدولة الزيانية ، وقد جاءت أهمية هذا الدور من توفر المواد الأولية المحلية اللازمة مثل الصوف والحرير والقطن ، والكتان ، والجلود ، والحديد ، والخزف ، والأخشاب .

كما ازدهرت المراكز الصناعية مثل تلمسان ووهران لتوفر العمالة الفنية ، وكثرة الأسواق الداخلية والخارجية (١) ومن هنا أصبحت الدولة الزيانية مصدرة لبعض منتوجاتها الى البلاد المجاورة والبعيدة ، الى جانب أنها كانت تستورد ما يلزمها من المواد الخام لتنمية بعض الصناعات التي لاتتوفر المادة اللازمة بأراضيها مثل الذهب الذي يستورد من السودان والفضة التي كانت تأتي من الأندلس ، والنحاس من بعض الدول الأوروبية والسودان الغربي .

أما القطن فكان يغطي الاحتياجات المحلية بينما يصدر جزء منه للدول الأوروبية والكتان كان يزرع بكثرة في حنين وبرشك ، والحرير ينتج بمرسال حسب ما ذكر الحسن الوزان عند تعرضه الى الجالية الأندلسية ، التي توافدت على المدينة فقد اهتموا بتربية دود القز لاستغلال خيوطه في صناعة المنسوجات الحريرية

الزهري : كتاب الجغرافية ، تحقيق حاج صادق ، به .. معهد الدراسات الشرقية دمشق ، ... اب الجغرافية ... وصف افريقية : ص

BARGES : memoire sur les relation commerciale de tlemcen P.4.

HEERS: precis d'histoire du moyen-age. PARIS , 1968, P. 370.

أنظر MAS LATRIE: relation et commerce de l'afrique du nord au moyen-age . PARIS , 1966 , P. 126 .

نفسه : ص

وازدهر انتاج الصوف لارتباطه بتربية الغنم ، حيث يب[illegible] الأسواق ومراكز التصنيع التي تتمركز في المدن ، في منازل الأسر المنتجة ، ويرتبط بتربية المواشي أيضا صناعة دبغ الجلود التي كانت توءخذ من البادية ، وتصنع في المدن مثل مدينة تلمسان ، حيث تغطي الاحتياجات المحلية ، ويصدر الفائض الى البلدان الأوروبية

ومن المواد الأولية الهامة الحديد الذي يستخرج من جبل الونشريس حسب ما ذكره المازوني والحسن الوزان .

والأخشاب كانت توءخذ من الغابات المنتشرة في المناطق الجبلية مثل جبل الونشريس ، والظهرة ، وجبال تلمسان وتستورد من بعض البلدان الأوروبية ، والمادة الطينية التي تختص بصناعة الفخار كانت متوفرة في مناطق من أراضي الدولة الزيانية

أولا : الصناعة في المدن

كثرت بتلمسان أعداد من النجارين والحدادين والخياطين والدباغين فكثر وتنوع تبعا لذلك أنواع مختلفة من الحرف والصنائع المشهورة ، وبخاصة عاصمة الدولة التي تصدتها الوفود من كل الأمصار ، وأقاصي الأقطار ، فقد ورثت دولة بني زيان عن الموحدين قاعدة صناعية عريضة . وتذكر المصادر التاريخية أن أحد المتصوفة

وصف افريقية : ص

الدرر المكنونة ، جا ورقة وأنظر أيضا : MA . LATRIE op, CIT . 22I .

الدرر المكنونة ج ورقة

وصف افريقية : ص أنظر أيضا : HEERS : genes au XV siecle paris, 1962. P. 236.

المقباني : تحفة الناظر . أنظر أيضا : BROSSELARD : les inscription arabes de tlemcen P. 40

LUCIEN GOLVIN ASPECTS DE L4ARTISANAT EN AFRIQUE DU NORD , PARIS. 1957. P. P25.26.

DHINA OP. CIT. P. 355.

كان يشتغل بالخياطة فلايستبعد أن يكون الكثيرون قد اشتغلوا بهذه الصناعة وغيرها فاذا كان العلماء لايتورعون عن الاشتغال بالحرف ، وهومعنىمن المعاني الاسلامية العظيمة ، فقدكانوابذلك مثلا أ على لبقية الحرفيين ، وقدكان للصوفية مزيداختصاص بهؤلاء الحرفيين 1

ولعلأبرز نشاط صناعي عرفته الدولة الزيانية كان مرتبطا بشكلمباشر بالمواد الأولية الفلاحيـة 2

المنسوجـات واهم مراكزها في المدن

أزدهرت المنسوجات الصوفية نتيجة لانتشار المراعي فيأراضي الدولة التيكانت من مصادرها الوبر ، والأصواف ، ومن أبرز هذه المراكز تلمسان ، فقدكان الحواك الصوف يجدون في عمل أثوابه الرقاق فتلك البرنسون عندهم من ثمانية أواقوالاحرام من خمسة " ومن تلمسان جادت صناعة المنسوجات الصوفية ، وأصبحت تصدر الى الأمصار شرقا و غربا ، وكان الاقبال عليها شديدا حيث " كانت تحملالثياب الصوفية المفضلة على جنسها الى سائر المغرب " 3

ومن هذه الصناعات التي لاتتوفر لديكان تلمسان الملابس الحريرية التي تعرف بالمحررات ، وكانت تصدر الى الأندلس ، ويبدو أن صناعة الحرير لم تنتشر علىنطاق واسع ، وانما اقتصرت على بعض المراكز القليلة التياستطاعت رغم قلتها أن تنتزع

---

1) بغية الرواد: ج 1 ، ص، ص 92 أنظر أيضا المدينة الاسلامية
بغية الرواد: ج 1 ، ص 92 الزهري: كتاب الجغرافية ، ص 98
MARCAIS : tlemcen et le commerce euro-fricain au moyen-age;dans eurofricainI953P.9.
أنظر أيضا حاجيات : السلطان أبو حمو موسى الثاني حياته واثاره ص 58
2) بو عياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ص 36
كتاب الجغرافية : ص 186 أنظر أيضا DHINA : les etats P. 355
3) نفسه : 95

الشهرة للبلاد فيهذا المجال فقداشتهرت تلمسان بانتاج أقمشة من الحرير نسبت اليها.

ولقلة خامات الحرير عندهم أضافوا الى خلطه بخيوط القطن والصوف من ذلك أقمشة بالسفاري ، وهي لباس أكابر شيوخهم ، وكانت تعمل من حرير وقطن وصوف رفيع جدا ، ومنها الكساء : وهو غالا رقيق للمرأة ، يقول الزهري: "تلمسان دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان ، وحريم الصوف ، والسفاسر والمنابل الملكية وغيرها ، وتديوبجدبها كساء كاملوزنه تسعة أوراق ونحوها وهذا من بديع ماخص به أهلها "

لقيت هذه المنسوجات رواجا كبيرا لدى دول المغرب الاسلامي المعاصرة للدولة الزيانية من الحفصيين والمرينيين لدرجة أن ملا بس سلاطين الدولة الحفصية وشيوخها كانت تجلب من تلمسان مثل السفاري وغيره الذي كان منه الأبيض والأحمر والأخضر وبخاصة ذلك القماش المعروف بالتلمساني وهو نوعان : مختم ، وغير مختم ، ومنه مايصنع من الصوف والوبر

ويشير ابن مرزوق الى نوع من الملابس قدمها أبو الحسن المريني لأنصاره بعد استلائه على تلمسان من صنع الحرفيين بعاصمة الدولة الزيانية ، ويظهر أن الملابس

كتاب الجغرافية ، ص 97
نفسه ، ص أنظر أيضا عفيفي محمد ابراهيم : أحوال بلاد المغرب الاقتصادية ص 67
كتاب الجغرافية ، ص 66 - 67
ابن مرزوق : المسند ، ص 285 القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 142
العبر ، ج 5 ، ص 552
كتاب الجغرافية ، ص 68

التي أرسلت من قبل المرينيين هي الأخرى صنعت بتلمسان ... الدولة.

ويؤكد الفرد بل أهمية هذه الصناعة بتلمسان ... كانت

تنتج أربعمائة متر خلال العهد الزياني أكثر من أربعين مرة عن السنة التي تمت فيها

السيطرة الفرنسية عليها، وأغلب الورشات المختصة في صناعة المنسوجات

بتلمسان كانت بالأنهج التابعة لأسواقها، وتوزيع الحرفيين فيها حسب التخصص كما

هو الحال في بقية الدول الاسلامية الأخرى، مثل مراكش وفاس وتونس، وهذا ما يؤكده

الحسن الوزان الذي قال عن تلمسان انها لاتختلف عن فاس.

ويبدو أن صناعة المنسوجات كانت مراقبة من قبل الدولة الزيانية بواسطة

المحتسب، والدليل على ذلك أن السلطان أبا تاشفين الأول وضع ذراعا بالقيصرية

يرجع اليه تجار القماش، منذ سنة

وقد كانت هناك مصانع الدولة التي تعرف بدور الطراز، وهي الخاصة بصنع

ملابس الحكام الرسميين، ورجال الشرطة والجيش.

بالاضافة الى مصانع الدولة كان هناك مصانع يملكها الأفراد، والعمال على

قسمين، اما أن يكون صانعا يعمل بالأجرة عند غيره واما أن يعمل لنفسه وهذا

الأخير نوعان:

BEL ; le travail de la aine a tlemcen, ALGER. I9I3. P, 8.

BROSSELAR: les inscrption arabes de tlemcen P. 4II.

MARCAIS . tlemcen. ville de l'art et d'histoire P. 36

LUCIEN GOLVIN : OP; CIT. P. 25.

وصف افريقية : ص 267 أنظر أيضا

BRUNCH VIG : les berberies orientales, T II P.

عن هذا الذراع أنظر:

CUDRAY : les etrangers a tlemcen sous les emirs de beni zeines dans l'algerie nouvelle. P. 664.

BRSSELARD : les inscrption arabes de tlemcen P. I96.

L. GARDET : les hommes de l'slam P P I50, I5I.

أحدهما : نساج يأتيه الناس بالغزل فينسج لهم وهذا يأخذ بالقبالة .

ثانيهما : نساج يشتري الغزل وينسجه لنفسه ، ويبيعه ، والأول عليه أن يبذل

المجهود لمعلمه ، والا تركه ، وأحضر غيره ، والثاني يحترز من استعمال الصبيان

الصغار أن يباشر الغزل.

ومن هنا يتبين لنا أن التجار كانوا يشترون الخيوط الصوفية من سوق الغزل ، ثم

يعملون في إحدى زوايا السوق . وقد كانت مصانع عبارة عن أبنية كبيرة مؤلفة من عدة

أدوار مع قاعات فسيحة ، تحتوي كل قاعة على عدد من عمال النسيج المختصين في نسج

الكتان والقنب .

من ناحية أخرى كان العمال الفنيون ، يقومون بتعليم الصبيان ، فقد ذكر ابن مريم

أن سيدي أحمد بن زكريا الذي توفي سنة 900/ 1494 قد تعلم عند معلم أدخله

في الطراز الذي كان مراقبا باستمرار من قبل المحتسب ، وقد كان هؤلاء الأطفال يتلقون

معالم الايمان : ج ص وعن صناعة الملابس في الدولة الزيانية أنظر :

LUCIEN GOLVINE : Aspecte de l'Artisanat en Afrique du Nord Paris 1957, P.24

عن سوق الغزل أنظر المعيار : ج ص

البستان : ص

عن تأثير الجالية الأندلسية في الصناعة الزيانية ، أنظر : ابن الخطيب : اللمحة

البدرية في تاريخ الدولة الناصرية ، ص أنظر أيضا حابيات : أبو حمو موسى

الثاني : ص أنظر أيضا :

تعليما للمهنة مقابل أجرة زهيدة ، وبعض المعلمين كانوا من الأندلسيين الـــــذين توافدوا على بلدان المغرب الأوسط ، وبخاصة بعد استيلاء الأسبان على غرناطـــة . والمعلم رئيس العمل ، سواء كان العمل صناعيا أو تجاريا والمعلم يشغل ما بين عاملين وعشرة عمال .

أما المصانع أو الورشات التابعة للدولة ، فتقوم بنسج ما يلزم سلاطين الدولـــة وحاشيتهم من كساء وما ينعمون به على أمرائهم من كساوي وخلع .

وقد نقلت الدولة الأموية هذا النظام عن الساسانيين ، ثم توسع فيه العباسيون مـــن بعدهم ، ثم ورثته الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب ، وهي التي تعرف بدار الطراز : " التي تعمل فيها المستعملات السلطانية مما يحمل الى الخزانة الخاصة الفريدة مـــن الأقمشـــة المختلفة الصفات من الحرير والمفتوح ، والمطرز بالذهب والتفاصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة و غير ذلك من رقيق الكتان وغيره مما لا يوجد في قطر من الأقطار ومنه تتخذ الأقمشة التي يلبسها أكابر الأمراء ، وسائر الرعية ، ومنه تبعث الهدايا والتحف الى ملوك الأقطـــار ".

والدولة الزيانية كانت تملك دورا للطراز ، وفي ذلك يقول يحيى بن خلدون: "ان السلطان أبا حمو موسى الثاني قد قدم الكسوة لبني عامر بالرغم من كثرتهم حيث قدرهم هذا المؤرخ بثمانية الآف فـــارس .

فالدولة الزيانية كانت تملك مجموعة من الورش بداخل المشوار وهو ما أشـــار اليه يحيى بن خلدون عندما تعرض الى انشاء مصانع تابعة للدولة في عهد السلطـــان أبي حمو موسى الثاني 760/ 1359 فقال : "ان دار الصناعة السعيدة تمـــوج

W.ET G.Marcais: op cit, P 36.
R. GUEST: Islamiques Textiles 1932. P. I 5.
DHINA (A) : Les Etats, de l'occident, musulmans, P. 355.
بغية الرواد: ج ص أنظر أيضا حاجيات: المرجع السابق، ص

بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغتهم ،وأديانهم فمن دواق ، ورماح ، ولجام وسراج، ونبار وحدادوصائغ ودباغ ، و غيرذلك فتشتك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع وتحار في أحكام صناعتهم الأثمان كل واحديعمل على شاكلته من جميع الصنائع ، وتقف دون بحرمم الأبصار ، ثم تعرض قوتهم أصيلان كليوم ممنوعة فيه بين يدي الخليفة أيده الله " .

ومن المدن الغنية بصناعة المنسوجات الصوفية وجدة ، حيث كان سكانها يصنعون بها أكيسية ليس لها نظير. في الجودة ، وبلغ ثمن الثوب الجيد منها خمسين دينارا أو أكثر .

ومنها ندرومة التي قال عنها الوزان : ان ندرومة مزدهرة والصناع كثيرون بها وتصنع بها على الخصوص الأقمشة القطانية في المنطقة التي تطورت ، ويرجع ذلك الى عاملين أساسيين:

أولا: كانت المنطقة غنية بمحصول القطن ، لأن نسبة كبيرة من الأرض تحولت الى زراعته لتوفر الظروف الطبيعية كالمناخ الملائم مع وفرة الماء ، وخصوبة التربة .

ثانيا : قربها من البحر ، ومن تلمسان التي كانت تتحكم في المسالك البرية مما جعل المنتوج يشتد عليه الطلب من قبل التجار الوافدين عليها

بغية الرواد: ج ، ص أنظر أيضا :

RICARD (R) : Les Artisanat dans le département d'Oran et les territoire du Sud aranais documents n° 92 de la série Economique paru le 2 Février 1952 p.32.

BEL (A): op cit, P 9.

الاستبصار : ص 177 أنظر أيضا أوضاع المغرب الاقتصادية في ظل الدولة الفاطمية ص

وصف افريقية : ص

نفسه : ص 317 أنظر أيضا

EMILES JANSER: les Industries indigenes de la région des Traras dans Revue Africaines, N° 391 - 399.1944; P.43.